

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

القـول الفائـق الأريب بعُتْبى وليد وذكرى حبيب

ضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ)

قرأه وحقّقه وعلّق عليه

الدكتور وليد محمد السرَاقبي

الأستاذ المساعد في كلية الآداب، حماة، سورية





مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

القول الفائق الأريب بعُتْبى وليد وذكرى حبيب

ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)

حقّقه وعلّق عليه

الدكتور وليد محمد السَّراقبي

الأستاذ المساعد في كلية الآداب، حماة، سورية

الكويت

2014







التدقيق الطباعي

ماجد الحكواتي

الصـف والتنـفيـذ

أحمـد متولـي **أحمـد جاسـم**

عـــلاء محـمـود





الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

تصدر هذه الطبعة بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة عشرة للمؤسسة

«دورة أبي تمام الطائي»

واحتفال المؤسسة بيوبيلها الفضي (١٩٨٩ - ٢٠١٤)

مراكش/ المغرب

٢١ – ٢٣ أكتوبر ٢٠١٤

هـاتـف: ٢٢٤٣٠٥١٤ ٩٦٥ +

فاكـس: ٢٢٤٥٥٠٣٩ ٩٦٥ +

E-mail: kw@albabtainprize.org



التصدير

إنطلاقًا من إدراك مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري للحقيقة القائلة: «إن الأمة التي تضع تاريخها وراءها لا تجد غدها أمامها»، فقد أولت مؤسستنا التراث العربي العريق جلّ اهتمامها، هذا التراث الذي أبدعته عبقرية أسلافنا على مر العصور، وكان شاهدًا على أن أمتنا لم تكن أمة عقيمة، أو أمة تعيش على فتات الآخرين، بل كانت أمة خلاقة عاشت واقعها وأوجدت الحلول لمشكلاته وانفتحت على الآخرين أخذت منهم وأعطتهم، وكانت الثقافة العربية في العصور الوسطى بمختلف تجلياتها ثقافة رائدة امتد تأثيرها إلى مختلف بقاع العالم، وأسهمت في تطور الحضارة الإنسانية.



ولا يزال الكثير من تراث أمتنا مخطوطًا منزويًا بين أرفف المكتبات، وفي زوايا بعض المدارس والمساجد والمكتبات الخاصة، ولا يزال التراث متناثرًا في كثير من البلاد الأجنبية بسبب إهمالنا لهذا التراث، أو سرقته من قبل الآخرين.

ومن واجبنا القومي والإنساني الحفاظ على هذا التراث القيم، وإعادة إحيائه من خلال تحقيقه تحقيقًا علميًّا مبرءًا من التشوهات والتحريفات؛ من قبل المتخصصين، ليوضع بين أيدي القراء، لتكون الجسور موصولة مع ماضينا وغدنا، وليغدو لنا زادًا نبني عليه دون أن نرتهن لكل مواضعاته، فلكل عصر استحقاقاته ومتطلباته.

ومن ضمن تجليات هذا التراث القيمة ما سطره نقادنا الكبار في مجال النقد الأدبي سواء في مجاله النظري أو التطبيقي، فلم يغفل أدباؤنا هذا المجال الحيوي بل كانت لهم فيه إسهامات جديرة بالاعتبار.





ومن تراثنا النقدي المشهور كتاب: «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» للآمدي المتوفى (٣٧١هـ)، إذ حاول المؤلف أن يتصدى بحسه النقدي المرهف لشاعرين كبيرين من أبرز شعراء العصر العباسي، وهما: أبوتمام والبحتري فوازن بين مجموعة كبيرة من الأبيات والمقطوعات العائدة للشاعرين بنظرة موضوعية دون تعصب أو ميل لأحدهما ضد الآخر، وتمكن بما يملكه من خبرة ثقافية عميقة ومتنوعة برصد تفوق أحدهما أو إخفاقه في إدراك المهارة الشعرية التي تتمثل في تناغم التعبير مع المعبّر عنه، ولم يكتف بالحكم المجرد بل أتى بمسوغات هذا الحكم حيث أصبح رأيه مقنعًا وقابلًا للاستفادة منه.

وثمة أثر آخر من تراثنا المخطوط يحمل عنوان: «القول الفائق الأريب بعتبى وليد وذكرى حبيب» لضياء الدين بن الأثير المتوفى (٦٣٧هـ) ويبدو أن هذا الكتاب مستخلص من كتاب الموازنة ومتشابك معه وهو ما يفتح الباب أمام مناقشة قضية العلاقة العلمية بين هذين العملين.

وقد قام الدكتور وليد محمد السراقبي مشكورًا ببذل مجهود كبير في قراءة هذا المخطوط، والتعريف بأعلامه، والرجوع بالأبيات إلى مصادرها ورصد اختلافات المصادر في رواياتها، وأنجز مجموعة كبيرة من الفهارس، بحيث أصبح هذا المخطوط مُضاء في كل جوانبه لا يجد القارئ أي عقبة أمامه في السير في مجراه، وتتبع جذوره وثماره.

وإذ نضع هذا المخطوط بعد تحقيقه وطباعته أمام أنظار الباحثين والنقاد فكلنا أمل أن يتبين لهم فيه ما يتمتع به تراثنا من غنًى وثراء، وأن يكون لهم دليلًا وتدريبًا على الدخول إلى عالم الشعر وفك رموزه ومغلقاته ليكون النقد نافذة أمام الشعراء للعروج إلى الأسمى والأنقى.

والله ولي التوفيق

عبدالعزيز سعود البابطين

الثامن من ذي القعدة ١٤٣٥هـ

الموافق ٢٠١٤/٩/٣م

****



الإهداء

إلى رفيقة العمر التي ما فتئت تفرش الدرب بالدعاء والياسيمن... زوجتي.

إلى أنداء الروح وبرْد الأكباد... أولادي.

إلى الشاعر المؤرَّق بالكلمة... حسان عربش.

إلى مثال الودّ، والإخلاص... سيف العريفيّ.

وليد













تقديم

لكُثر ما يتردَّد في خلدي قول الشاعر الداغستاني (رسول حمزاتوف): «إن الذي يطلق رصاصة على ماضيه سيُطلق المستقبل مدافعه عليه»!، لما في هذه العبارة من عمق التّعبير عن أهميَّة تشبث المرء بتراثه، ولما فيها من ردٍّ على المُرجفين الذين ما فتئوا يرفعون عقائرهم ويتَّهمون أمتنا بأنّها أمة ماضوية، ولمَّا يزل بين ظهرانيْنا حتى الساعة من ينعق بمثل هذه الآراء، معتقدين أنَّ القطيعة مع التراث والتنكر له هما اللذان يصنعان الحاضر والمستقبل.

ولكم صادف في نفسي هوى أنْ ندبتني (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين) –حماها الله وأعلى صرحها– إلى مشاركتها جهدها الرائع في العمل على بعث المشرق من تراثنا، وخصَّتني بتحقيق كتاب (القول الفائق الأريب بعُتْبى وليد وذكرى حبيب)، لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٧هـ)، ليكون أحد أعمال ندوتها التي ستعقدها عن الشاعر أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، الذي كان قُطْب الرَّحى في حركة نقديّة عريضة على امتداد العصر العباسي، فصُنِّف في شعره غير ما كتاب، وأثيرت مسائل في نقده منذ أن كتب ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، كتابه (البديع) وأشار فيه إلى ما اختصّ به أبو تمام من فن شعري، ومنذ أن وضع الصّولي (ت ٣٣٥هـ) كتابه (أخبار أبي تمام)، والآمدي (ت ٣٧١هـ)، كتابه (الموازنة)، واختار ابن الأثير منتقيات من أشعاره وأشعار البحتري والمتنبي، بعد أن كان قد حفظ كثيرًا من أشعارهم، وهكذا دواليك.

وهذا الكتاب الذي نُدبت طائعًا مختارًا إلى تحقيقه وإخراجه يمثِّل حلقة في سلسلة الاهتمام بأبي تمّام والموازنة بينه وبين البحتريّ في المعاني التي هجما عليها، أو في التشكيل الأسلوبي الذي سلكاه، ويمثِّل كذلك امتداد الحركة النّقدية حول الشاعرين المذكورين إلى عصر متأخِّرٍ عن الزمن الذي عاشا فيه، ومرآة تعكس ملامح التصنيف عنهما، وهو أخيرًا صورة لمكانة الشّاعرين في نفس ابن الأثير، على الرُّغم من الإيمان بأن هذا الكتاب لا يعكس جهدًا إبداعيًا للمصنّف، إذْ كان معوّله على كتاب أبي الحسن الآمدي (ت ٣٧١هـ)، فاختار



بعض فصولٍ منه، وكأني به ينظر إليهِ نِظرة من يؤمن أن كتاب (الموازنة) للآمدي من أهم مصادر الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

وإنني إذ أضع بين يدي محبي تراثنا وقارئيه هذا الأثر الأدبي، لأتقدم بالشكر الجزيل إلى مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ممثلة بعميدها الشاعر عبد العزيز سعود البابطين، على حبه لتراث أمته، وتفانيه في خدمته. ثم على ما أولتني مؤسسته من ثقة يوم ندبتني لأنهد لتحقيق هذا الأثر.

والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور الباحث المحقق محمد مصطفى أبو شوارب، المتفاني في حب تراث أمته، الحريص على إخراج نفائس تراثها، فقد كان له فضل الإشارة إلى المخطوط، وندبي إلى تحقيقه.

ولست أنسى من الشكر أخي الكريم المحقق العامل بصمت العلماء الأستاذ ماجد حكواتي، الذي عودني على رحابة صدره، ودماثة خلقه، وبذله نور حبيبتيه في سبيل هذا التراث العريق.

وإلى ولدي الدكتور محمد السراقبي –جعل الله التوفيق خدينه، وألبسه الله لباس العافية، وكبت شانئيه وحساده– إذ عمل –وهو في مغتربه– على تزويدي بكثير من المصادر والمراجع التي كانت معوَّلي في التحقيق، وجهد في تنسيق الكتاب وإخراجه، وصنع فهارسه!.

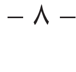
وكذلك لست أنسى من الشكر الجزيل السيد فؤاد عبد الهادي الناصر الذي كان له فضل طباعة الكتاب على الحاسوب، وتصحيح تجارب الطباعة، فسار والكتابَ خطوة خطوة، وماشاه لحظة بلحظة إلى أن استوى على سوقه، فله مني الشكر والدعاء بالتوفيق.

وأخيرًا أتقدم بالشكر العميم إلى كل من نظر في هذا العمل، أو قدَّم ملحوظة دقَّتْ أو جلَّتْ في سبيل الارتقاء به؛ فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

الدكتور وليد بن محمد السراقبي

حماة ٢٨ من رمضان ١٤٣٥هـ

الموافق ٢٧ من تموز عام ٢٠١٤م







١ - ابن الأثير: نثار من حياته

هو نصر بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ضياء الدين[١]، أبو الفتح، المشهور بـ (ابن الأثير)، أحد ثلاثة إخوة عرفوا بهذه الكنية[٢].

ولد في جزيرة ابن عمر سنة (٥٥٨هـ)، وفيها نشأ وترعرع. ثم رحل مع والده إلى (الموصل)، وشدا فيها بعض العلوم، وحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وشدا شيئًا من علوم اللغة والنحو، وحفظ شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي.

اتصل ببلاط صلاح الدين الأيوبي، ثم غادره إلى بلاط ولده (الملك الأفضل)، وغدا وزيرًا له، واحتل مكانة مرموقة في جنبات رعايته. وبعد أن خرجت ولاية دمشق من يد الملك (الأفضل) غادرها إلى (صَرْخد)[٣]، ونقل معه ابن الأثير، ولكن سمعة هذا الأخير لم تكن حسنة بين أهل (صَرْخد)، فأخرجوه منها، فولى وجهه قِبل مصر. وفي مصر لقي حتفه سنة (٦٣٧هـ) تاركًا جملة من الآثار العلمية، منها[٤]:

---

(١) ترجمته في: وفيات الأعيان ٥: ٣٨٩، وتاريخ الإسلام ٦٤: ٣٣٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣: ٧٢ و٧٣، والعبر ٥: ١٥٦، ومرآة الجنان ٤: ٧٦، حوادث سنة ٦٣٧ هـ، والوافي بالوفيات ٢٧: ٢٤-٢٧، وشذرات الذهب ٧: ٣٢٨، وبغية الوعاة ٢: ٣١٥، وكشف الظنون ٢: ٢٠١٢، وإيضاح المكنون ٢: ٥٠٧، وهدية العارفين ٢: ٤٩٢ و٤٩٣، والأعلام ٨: ٣١، والمقدمة الضافية التي كتبها الأستاذان هلال ناجي ونوري حمودي القيسي لرسائل ابن الأثير الصادر ضمن أعمال ندوة أبناء الأثير، جامعة الموصل.

(٢) أخوه الأول هو: مجد الدين، أبو السعادات بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، صاحب كتاب (النهاية في غريب الحديث)، وأخوه الثاني هو: عز الدين، أبو الحسن بن الأثير (ت ٦٣٠) صاحب كتاب: «الكامل في التاريخ».

(٣) مدينة تعرف الآن بـ (صَلْخد)، وهي مما يتبع مدينة السويداء في جنوب سورية حالياً. انظر: معجم البلدان (صرْخد).

(٤) اقتصرت في هذه المقدمة على ذكر أهم آثاره، تجنبًا للإطالة والتكرار، فقد أفاض في عرضها محققا (رسائل ابن الأثير)، وقسماها إلى: آثار مطبوعة، وأخرى مخطوطة، وثالثة مفقودة، فكفيانا مؤونة البحث في ذلك، أحسن الله إليهما، وجزاهما خيرًا. انظر: مصادر ترجمة ابن الأثير المذكورة فيما سبق، ومقدمة تحقيق رسائل ابن الأثير: ٤٥-٤٩.





١ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر[1]، وهو أشهر كتبه على الإطلاق، وبه ذاع صيته وانتشر علمه. وقد أثار هذا الكتاب حركة نقدية، فكان مدار نقد وأخذ ورد، فوضعت حوله جملة مؤلفات، منها[2]:

– الفلك الدائر على المثل السائر، لابن أبي الحديد، صاحب كتاب «شرح نهج البلاغة».

– نشر المثل السائر وطيُّ الفلك الدائر، لمحمود بن الحسين الركني السنجاري.

– قطع الدابر عن الفلك الدائر، لعبد العزيز بن عيسى. والكتابان الأخيران كتبا انتصارًا لابن الأثير وكتابه وردًا على منتقديه.

– نصرة الثائر على المثل السائر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٤٨هـ)، وهو في الرد على ابن الأثير، ومناصرة خصومه[3].

٢ – الوشْي المرقوم في حل المنظوم[4].

٣ – المعاني المخترعة[5]، وهو كتاب في صناعة الإنشا[6].

٤ – مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي[7].

---

(١) صدر الكتاب بتحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، في ثلاثة مجلدات عن دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩-١٩٦٢، وأُلحق به كتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) لابن أبي الحديد.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٧: ٢٤-٢٧، وكشف الظنون ٢: ١٥٨٦.

(٣) طبع الكتاب في مجمع اللغة العربية، في دمشق، بتحقيق المرحوم الدكتور محمد علي سلطاني.

(٤) طبع الكتاب طبعة غير علمية في مطبعة «ثمرات الفنون»، بيروت، عام ١٢٩٨هـ. ثم طبع بتحقيق الدكتور جميل سعد عن المجمع العلمي العراقي، وطبع في القاهرة بتحقيق يحيى عبد العظيم، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١٢١)، عام ٢٠٠٤، ويقع الكتاب في ٤٦٠ صفحة من القطع المتوسط، مستدرِكا على طبعة المجمع العلمي العراقي.

(٥) ورد عند الصفدي باسم: «المعاني المبتدعة». الوافي بالوفيات ٢٧: ٢٤.

(٦) إ يضاح المكنون ٢: ٥٠٧.

(٧) العبر ٣: ٢٣١، ومرآة الجنان ٤: ٧٦، وشذرات الذهب ٧: ٣٢٩.





٥ – ديوان ترسُّل[١]، ذُكر أنه في عدة مجلدات، والمختار منه في مجلد واحد[٢]. نشرت رسائل أبناء الأثير نشرتين ليس بينهما صلة ولا تكرار. أما النشرة الأولى فهي التي تولى تحقيقها الأستاذ الأديب أنيس مقدسي، وتاريخ صدورها هو عام ١٩٥٩م، وضمت هذه النشرة ٦٩ رسالة من رسائل ابن الاثير. والثانية هي النشرة التي نهد لتحقيقها الأستاذان هلال ناجي ونوري حمّودي القيسي، وكانت ضمن أعمال ندوة أبناء الأثير التي أقامتها جامعة الموصل. وقد بين المحققان انفصال النشرتين عن بعضهما بعضًا: «وجدير بالذكر أنه ليس بين هذه المجموعة من رسائل ابن الأثير –يعنيان نشرة المقدسي– وبين المجموعة التي ننشرها اليوم أي اشتراك أو تكرار في الرسائل أو المضمون. والراجح عندنا أن ما نشره المقدسي وما ننشره نحن اليوم أجزاء من ديوان ترسُّله الذي أشار إليه ابن خلكان أو أجزاء من المختار من رسائله، والله العالم»[٣].

وزاد خير الدين الزركلي عددًا من الآثار، هي:

٦ – كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب[٤].

٧ – المفتاح المنشا لحديقة الإنشا[٥]: وقد رتبه ابن الأثير على بابين: الأول: في مراتب الكتب والمخاطبات وكيفية وضع الأسماء ومحالها، وفي صور العنوانات والألقاب والرتب، ووضع الأسماء. والثاني: في الأدعية، والأدعية لأرباب الملل غير الإسلام، وتوابع الأدعية الواقعة بعدها.

---

(١) هكذا ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٥: ٣٩٢. وذكره اليافعي في مرآة الجنان بعنوان: «ديوان شعر ترسل». انظر مرآة الجنان ٤: ٧٧.

(٢) مرآة الجنان ٤: ٧٧.

(٣) رسائل ابن الأثير: ٤٦.

(٤) طبع الكتاب بتحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، من منشورات جامعة الموصل، ١٩٨٣.

(٥) طبع (باب الأدعية) من الكتاب بتحقيق هلال ناجي، من منشورات جامعة الموصل، ١٩٨٤. وطبع الكتاب بتحقيق عبدالواحد حسن الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩.





٨ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد، ونشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦م، واعتمد المحققان على نسخة واحدة هي نسخة دار الكتب المصرية، و«هي كثيرة التصحيف، وفاتهما الوقوف على نسخة مكتبة (خدا بخش بتنه فوهي) التي تعود للقرن السابع الهجري وخطها مشكول»[١].

٩ - البرهان في علم البيان، وهو مخطوط، سيرى النور محققًا، إن شاء الله.

١٠ - الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان: وهو رد على ابن الدهان النحوي الذي وجه نقدًا لابن الأثير في كتابه البلاغي «البرهان في علم البيان» سابق الذكر. وكتاب الاستدراك صدر في القاهرة بتحقيق حفني شرف سنة ١٩٥٩م.

١١ - غُرَّة الصباح[٢] في أوصاف الاصطباح: وهو مما يستدرك على محقِّقَيْ رسائل ابن الأثير، فقد فاتهما ذكره.

---

(١) رسائل ابن الأثير: ٤٥.

(٢) وانفرد بذكره الصفدي في: الوافي بالوفيات ٢٧ : ٢٤، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ١٢ : ٣٢٨.





٢ - الكتاب[(١)]

يقع مخطوط (القول الفائق الأريب) في (٩٣) ورقة من القطع المتوسط مكتوبة بالخط الفارسي، وجعلت عناوين الفصول بخط أكبر من النص الأساسي. وأوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه التوفيق. الحمد لله الذي خصَّ من شاء من عباده بالغوص على لطائف المعاني...»، وآخره: «...وهذا آخر ما قصدنا إليه، والحمد لله أولًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا... وقد كمل ذلك [...][(٢)] بعون الله -تعالى- على يد العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه العلي القدير، علي بن أحمد الدَّماصي[(٣)]، غفر الله -تعالى- له ولوالديه، وأسبغ نعمه في الدارين عليه...في [...][(٤)] ذي القعدة سنة [٣..][(٥)]. وليس في الكتاب إشارة إلى الشخصية التي طلبت من المؤلف وضع هذا المختصر، ولا إلى زمان وضعه، أو مكانه. وناسخ هذا الكتاب هو ناسخ إحدى نسخ كتاب «مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس» للفتح بن خاقان الصادر عن مؤسسة الرسالة ودار عمار في عمَّان بتحقيق الأستاذ محمد علي الشوابكة عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٩م.

كتب على ورقة الغلاف عنوان الكتاب، وذهب التصوير بجزء منه، ولم يبق منه سوى: «...وليد وذكرى حبيب». وجاء تحت العنوان مانصُّه: «محاكمة بين أبي تمام

---

(١) لم أجد ذكر هذا الكتاب في فهارس الكتب بين آثار ابن الأثير هذا، ولعله الكتاب المعنون بـ (مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي).

(٢) بياض لم أستطع تبينه.

(٣) لم أقف له على ترجمة، ونسبته إلى «دماص» إحدى قرى منطقة الشرقية في مصر. اشتهر منها عبد القادر بن أبي بكر بن خضر الشافعي، وجمال الدين عبد الله بن محمد بن معبد القاهري الدماصي، والأخير أحد تلاميذ السخاوي، قرأ عليه صحيح البخاري، وتوفي سنة ٨٩١هـ، وترجم له السخاوي في الضوء اللامع.

(٤) بياض لم أستطع تبينه.

(٥) بياض لم أستطع تبينه.



والبحتري للفاضل صاحب المثل السائر [......] ابن الأثير، عليه رحمة الملك القدير».

وكتب على الورقة ذاتها بعض الأشعار إلا أن أكثرها مطموس. وعليها ختم تملك لم أستطع تبين مضمونه. ولكن من الراجح لدي أنه ختم حديث باسم المكتبة التي تحتفظ بالنسخة الخطية، وتحته ما يبين مضمون الكتاب مرة أخرى، على النحو الآتي: «محاكمة بين أبي تمام والبحتري لابن الأثير». وكتب على يسار الورقة من أسفل اسم من تملكه حديثاً، وهو: عبد الحي فتحي المدرس... عُفي عنه.

وعنوان الكتاب في بطاقة التعريف: «الفائق الأريب بعتْبى وليد وذكرى حبيب». وهو من محفوظات جامعة (إستانبول)، برقم (١٤١٥). وفي معهد المخطوطات نسخة مصورة عنها، محفوظة برقم (٦٦٧/أدب). وحُدِّد على بطاقة التعريف تاريخ نسخه، وهو سنة ١٠١٣هـ، وعدد أوراقها (٩٥) ورقة[١].

وفي أثناء مراجعتي ديوان البحتري بتحقيق المرحوم الشاعر (حسن كامل الصيرفي) وجدت أنَّ هذا المخطوط كان متكأه في تحقيق الديوان، وورد عنده عنوان الكتاب: «القول الفائق الأريب في عُتبى وليد وذكرى حبيب»[٢]. ولكن المؤلف يذكر في المقدمة عنوان الكتاب، وهو: «القول الفائق الأريب بعُتْبى وليد وذكرى حبيب»[٣].

---

(١) -الصواب (٩٣) ورقة كما أشرت سابقًا، فقد ألحقت به ورقتان ليس لهما علاقة بالكتاب.

(٢) -انظر: مراجع تحقيق الصيرفي لديوان البحتري، ص٣١٥٨.

(٣) -القول الفائق: ق١/آ. وانظر النص المحقق.





٣ - عملي في التحقيق

لم أقف على نسخة أخرى لهذا الكتاب؛ لذلك كان معوّلي على هذه النسخة الخطية اليتيمة التي بين يدي. وقد اتبعت في تحقيق الكتاب الخطوات الآتية:

لما كان المخطوط اختصارًا لكتاب «الموازنة بين الطائيين» للآمدي جعلت الكتاب المطبوع بتحقيق السيد أحمد صقر نسخة عاضدة للنسخة الخطية، فقارنت بين النص المخطوط ونسخة «الموازنة» من أول المخطوط إلى منتهاه، وأثبت الخلاف بين النصين في الحواشي.

أشرت إلى الخلاف في رواية النصوص الشعرية وهو خلاف عائد إلى أن النسخة الخطية التي اعتمد عليها مؤلف الكتاب غير النسخة التي أخرج محقق الموازنة كتابه عنها.

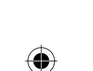
اتبعت منهجًا ألزمت به نفسي من أول الكتاب إلى آخره في تخريج النصوص الشعرية والشواهد، بالنص على رقم القصيدة أو القطعة، ورقم البيت، ورقم الصفحة، ومناسبة القصيدة، والخلاف في الرواية بين المصادر.

– أثبت تواريخ قصائد البحتري بالاتكاء على تحديد الشاعر حسن كامل الصيرفي ذلك في تحقيقه ديوان البحتري.

– فسرت الغامض من ألفاظ النصوص الشعرية، اعتمادًا على معجمات اللغة وكتب شروح الشعر، وعرفت بالأعلام غير المشهورين، وبالمواضع أيضًا.

– نقلت تعقيبات بعض العلماء الذين تعقبوا كلام من أبي تمام والبحتري، كالصولي، والمعري، والمرزوقي، والتبريزي، وابن المستوفي، وذلك بغية إيضاح المستغلق أو المختلف فيه من شعر الشاعرين.

– خرجت الأشعار التي تمثل بها المؤلف من دواوين أصحابها ما وسعني ذلك، أو من أشعارهم المجموعة، أو من المجموعات الشعرية، كالمفضليات، والأصمعيَّات، والحماسات،...إلخ.





٤ - كلمة أخيرة

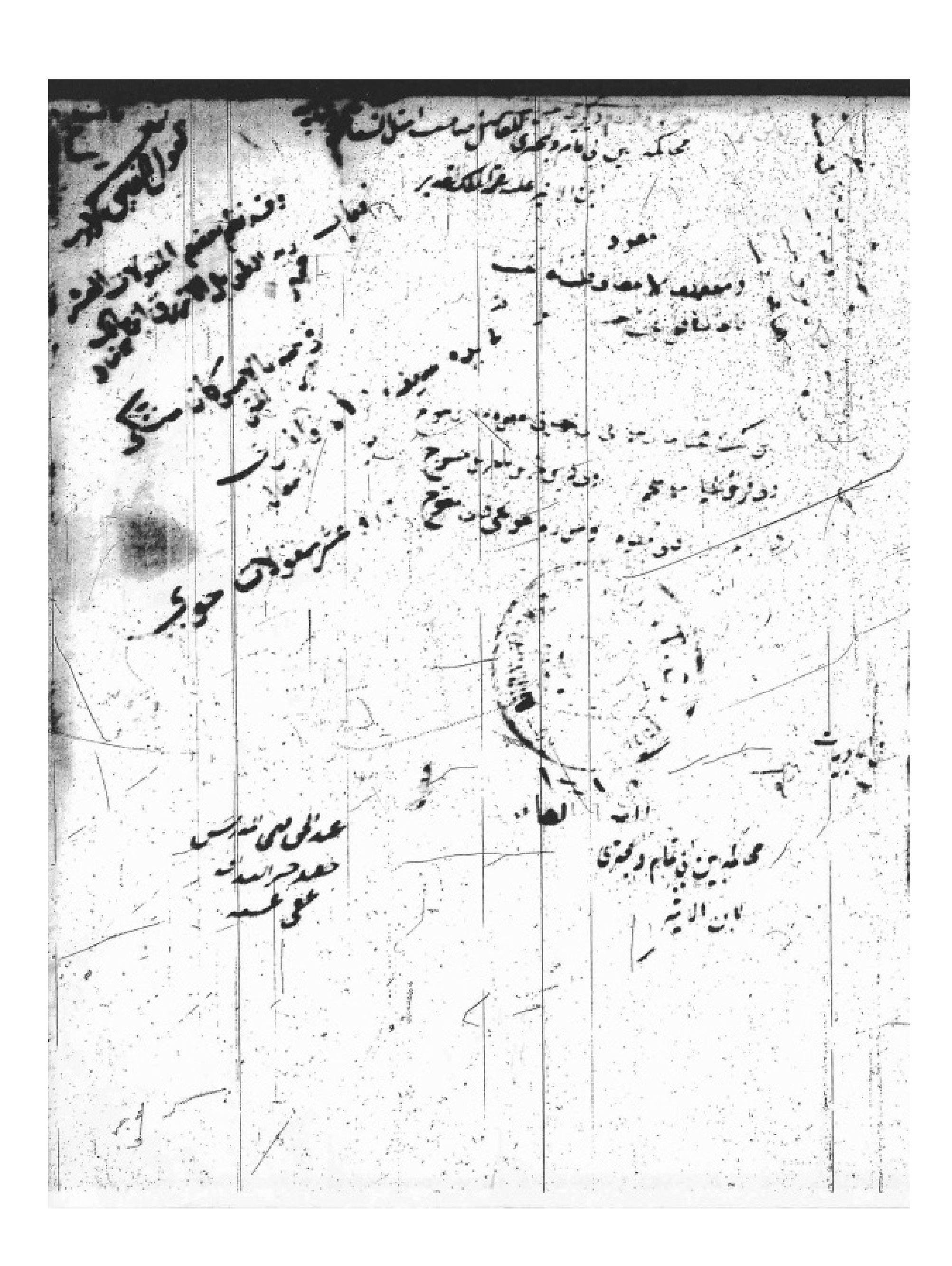
الكتاب في حقيقة الأمر نسخة مصغرة عن كتاب (الموازنة) للآمدي، واختصار كثير من فصوله؛ سُلخت منه فصول بتمامها، وحذفت فصول أخر. ولم يضف إليها المُختصر إلا ترقيم الفصول فحسب، وتقسيمها ثلاثين فصلًا، وعنواناتها هي عنوانات غالب مباحث كتاب الموازنة مع بعض التغيير. ومختصِر الكتاب لم يصرح مرة واحدة بإغارته هذه الإغارة على كتاب (الموازنة)، ولم يشر إلى رغبته في الاختصار، وهذا ما يدفع بي إلى الشك في نسبة الكتاب إلى ابن الأثير، ولا سيما أننا لم نعثر في كتب الفهارس، ولا في الكتب التي ترجمت لابن الأثير على ذكر الكتاب!!

وقد شك محققا رسائل ابن الأثير في نسبة هذا الكتاب إليه، اعتمادًا على أن في الكتاب نقولًا عن علماء متقدمين، وهي حجة تسقط لو أن المحققين الفاضلين وقفا على حقيقة هي أن الكتاب اختصار لكتاب «الموازنة» وأن الذي ينقل عن علماء متقدمين هو الآمدي وليس ابن الأثير.



٥ - صور المخطوط

الورقة الأولى من المخطوطة



صفحة العنوان من المخطوطة





الورقة الأخيرة








النَّص المحقق










بسمِ اللهِ الرَحمنِ الرّحيم
وبهِ التوفيقُ

[٢/أ] الحمدُ للَّهِ الّذي خصّ مَنْ شاءَ من عِبادهِ بالغَوْص على لطائفِ المعاني الأدبيّة، فاستخرجوا مِنْ أصدافها محاسن الدّرر السّنيّة[١]، والشهادة له –سُبْحانَهُ– الذي جَعلَ السّبْقَ في ذلك للطائيّين[٢] بلا شكّ في هذهِ القضيّة، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا محمد خيرِ البريّة، وعلى آله الطّاهرين وأصْحابهِ الطّيّبين أنجم الكمالات البهيّة، وبعد:

فقدْ وفيتُ –أسعدك اللهُ وأَسعدَ بك– بما وَعَدْتُكَ من جَمْع شعرِ أبي تمّام[٣] حبيب ابن أوس الطائي، وشعر الوليد[٤] المنبوز بـ (البحتريّ)، ثمّ سَأَلْتَني –أعزّكَ اللّهُ– بأنْ أَجْعلَ لك كتابًا يتضمَّن ما قالاه في فنون مختلفةٍ، ومعانٍ مؤتلفةٍ: من ذكْر الوقوفِ

---

(١) السنيَّة: السَّنا: ضوء البَرْق.

(٢) الطائيان هما: أبو تمام حبيب بن أَوس الطّائي وأبو عبادة الوليد بن البحتري، وستأتي ترجمتهما.

(٣) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: شاعر وأديب وأمير من أمراء البيان. مولده في جاسم إحدى قرى حَوْران في جنوب سورية سنة ١٨٨ هـ. ارتحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، وغدا صاحب الحظوة عنده. توفي سنة ٢٣١ هـ من تصانيفه: ديوان الحماسة، وهو مطبوع، والوحشيَّات، ويسمَّى الحماسة الصغرى، ونقائض جرير والأخطل، وديوان شعر ضخم طبع في أربعة مجلّدات بتحقيق محمد عبده عزام، وصدر عن دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٧٦م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان.

(٤) هو: الوليد بن عُبَيْد بن يحيى الطائيّ، المعروف بـ (البحتريّ): شاعر كبير. ولد في منبج سنة ٢٠٦ هـ، ثم سافر إلى العراق واتصل بالمتوكل العباسي وغيره من الخلفاء، ثم عاد إلى منبج وفيها توفي سنة ٢٨٤ هـ. له ديوان شعر يقع في خمسة مجلدات، صدر بتحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٧. حذا حذو أبي تمام فوضع جملة مختارات شعرية سمّاها (الحماسة)، وقد طبع الكتاب غير مرة آخرها –فيما أعلم– سنة ٢٠٠٧ عن المجمع الثقافي في أبو ظبي بتحقيق د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد. انظر ترجمة البحتري في وفيات الأعيان ٦: ٢١–٣١، ترجمة رقم ٧٧٠، والأعلام ٨: ١٢١.



على الدِّيار، ووصْفِ الدِّمَنِ والأطْلال والسّلامِ عليها، وتسْمية الدّهورِ والأَزْمان، وغيرِ ذلك مما سَتَقِفُ عليهِ، إنْ شَاءَ اللَّهُ، تَعَالى، فأجبتُكَ -أَرْشَدكَ اللَّهُ- لذلكَ، وسلكتُ بنظري في تلكَ المسَالكِ، وجعلتُ لكَ فيهِ مقدَّمةً رائقةً[١]، زاهيةً فائقة في محاسِنِ أخبارِهما، وطرائف ما تَوَخَّياهُ، ورتّبْتُهُ على ثلاثينَ فصْلًا، وسمّيتُهُ: (القولُ الفائقُ الأَريبُ[٢] بعُتْبى[٣] وليد وذكرى حبيب)، والآنَ الشُّروعُ في فِهْرست[٤] الفصول، فأقول:

الفَصْلُ الأوّلُ: في ذكْرِ ما قالاهُ في الوقوفِ على الدِّيارِ.

[٢/ب] الفَصْل [الثاني][٥]: في ذكْرِ ما قالاهُ في السّلامِ على الدِّيارِ.

الفَصْلُ الثّالثُ: في ذكْرِ ما قالاهُ في الدّهُورِ والأزْمانِ.

الفَصْلُ الرّابعُ: في ذكْرِ ما قالاهُ في تعْفيةِ[٦] الرّياحِ للدِّيارِ.

الفَصْلُ الخامسُ: في ذكْرِ ما قالاهُ في البكاءِ على الدِّيارِ.

[الفَصْلُ السادس][٧]: في ذكْرِ ما قالاهُ في سؤالِ الدِّيارِ واستعجامها[٨] عن الجواب.

الفَصْلُ السّابعُ: في ذكْرِ ما قالاهُ فيما يخلُفُ الظَّاعنين في الدِّيار من الوحش.

الفَصْلُ الثامن[٩]: في ذكْرِ ما قالاهُ فيما تُهَيِّجُهُ الديارُ وتبعثُه من حُزْنِ الواقفين فيها.

---

(١) الرّائق: الصّافي.

(٢) الأريب: الحاذق.

(٣) العُتْبى: الرِّضا. واستعتبه: أعطاه العُتْبى.

(٤) الفِهْرس: الكتاب الذي تجمَعُ فيه الكتُب، معرَّب فهرست.

(٥) ما بين حاصرتين مطموسة في الأصل، والتكملة بالاعتماد على السياق.

(٦) التّعفية: التغطية بالتّراب.

(٧) الكلمتان مطموستان، والتكملة بالاعتماد على السياق.

(٨) الاستعجام: العجز عن التكلُّم، مأخوذ من العُجْمة، وهي عدم القدرة على الإفصاح.

(٩) الكلمتان مطموستان في الأصل المخطوط.



الفَصْلُ التّاسع: في ذكْرِ ما قالاهُ في الدُّعاءِ للديار بالسّقيا.

الفَصْلُ[(١)] العاشر: في ذكْرِ ما قالاهُ في لوْم الأصحاب في الوقوف على الديار.

الفَصْلُ الحادي عشرَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في أَوْصافِ الدِّيارِ والبكاءِ عليها.

الفَصْلُ الثّاني عشرَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في وصْفِ الأطلال والدِّيارِ والبكاءِ عليها.

الفَصْلُ الثالثَ عشر[(٢)]: في ذكْرِ ما قالاهُ في مَحْو الرِّياح للدِّيارِ.

الفَصْلُ الرابعَ عشرَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في وصْف الدِّيارِ وساكنيها.

الفَصْلُ الخامس[(٣)] عشر: في ذكْرِ ما قالاهُ في الدّعاءِ للدِّيارِ بالسُّقْيا والخصْب.

الفَصْلُ السادسَ عشرَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في مخاطبةِ الأَصْحاب في الوقوفِ على الدِّيار.

الفَصْلُ السابع عشر[(٤)]: في ذكْرِ ما قالاهُ في ترك البكاء على الديار والنَّهْي عنه.

الفَصْلُ الثّامن عَشرَ[(٥)]: في ذكْرِ ما قالاهُ في البكَاءِ على الظّاعنين مُطْلقًا.

الفَصْلُ التاسعَ عشرَ: في ذكْرِ ما قالاهُ مِنْ بكاءِ النِّسَاءِ [المفارقات][(٦)].

الفَصْلُ العشرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ مِنْ باب الفراقِ في معانٍ شتّى.

[٣/ب] الفَصْلُ الحادي والعشرون[(٧)]: في ذكْرِ ما قالاهُ منِ استيلاءِ النّوى على الأحباب المفارقينَ.

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢) (الثالث عشر): مطموستان في الأصل.

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٤) (الفصل السابع عشر): مطموس في الأَصْل.

(٥) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٦) الكلمة غير واضحة.

(٧) الكلمة مطموسة.



الفَصْلُ الثاني والعُشْرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في الأنْفاسِ والحُرَقِ[1] والزَّفَراتِ.

الفَصْلُ الثالث والعُشْرونَ[2]: في ذكْرِ ما قالاهُ في قلَّةِ الصَّبْرِ والتَّجلّدِ.

الفَصْلُ الرابعُ والعُشْرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في المفَارق وسَفْكِ دَمِهِ.

الفَصْلُ الخامس[3] والعُشْرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ منْ تشبّهِ النِّساءِ بالظّباءِ وغيرِهِ.

الفَصْلُ السّادسُ والعُشْرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في وصْفِ الثّغورِ.

الفَصْلُ السَّابع والعُشْرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في البُكَاءِ والدّمعِ.

الفَصْلُ الثّامنُ والعُشْرونَ[4]: في ذكْرِ ما قالاهُ في وَصْف السَّهَرِ وطولِ اللَّيْلِ.

الفَصْلُ التّاسعُ والعُشْرونَ: في ذكْرِ ما قالاهُ في الجمال والبَهْجة وحُسْن الوجوهِ ووصْفِ القدودِ والخُصورِ.

الفَصْلُ الثّلاثونَ: في ذِكْرِ ما قَالَاهُ في الحُزْن والوَجْد والشَّوْقِ والعَنَاءِ وابتلاءات المحبِّين، ونوحِ الحمامِ، وبهِ تمامُ الكتابِ.

فلنذكر المقدّمة، وهي مشتملة علىَ مرتبتَيْن:

المرتَبةُ الأُوْلَى: في فَضيلةِ أبي تمّام.

المرْتَبةُ الثّانيةُ: في فَضْل البُحْتريّ

فالمرتبةُ الأُوْلَى: فَضْلُ أبي تمّامٍ فأقولُ:

وَجَدْتُ أهلَ النَّصَفةِ[5] مِنْ أصْحاب البحتريِّ مَنْ يُقَدِّمُ مطبوعَ الشِّعرِ دونَ متكلَّفهِ لا يدفَعون أَبا تمّامٍ عن لطيف المعاني ودَقيقِها، والإبداعِ والإغرابِ فيها، والاستنباطِ

(١) الحُرق: جمع حَرقة وحُرّقة وحَريقة: الحرارة في الجوف.
(٢) (الفصل... والعشرون): مطموس في الأصل.
(٣) (الفصل الخامس والعشرون): العبارة مطموسة في الأصل.
(٤) (الفصل الثامن والعشرون): العبارة مطموسة في الأصل.
(٥) النّصَفة: العَدْل والإنْصاف.





لها، ويقولون: إنَّه -وإنِ اختَلّ في بعْضِ ما يوردُه منها- فإنّ الذي يُؤْخذُ فيها مِنَ النّادر المستحسنِ أكثرُ ممّا يوجَدُ من السَّخيفِ المسْترذَلِ، وأنّ اهتمامَهُ بمعانيهِ أكثرُ من اهتمامهِ بتقويمِ ألفاظهِ على شدّةِ غرامهِ بالطّباق والتجنيسِ والمماثلةِ. وأنّه إذا لاحَ لهُ أخرَجهُ بأيِّ لفظٍ استوى من ضعيفٍ أو قويّ، وهذا منْ أعْدلِ ما سمعته من القَوْل فيه:

وإذا كان هذا هكذا فقد سلّموا له الشَّيْء الذي هو ضالّةُ الحكماءِ الشُّعراء وطلبتهم، وهو لطيفُ المعاني؛ ولهذه النِّحْلةِ دونَ ما سواها فَضُل امرؤ القَيسِ؛ لأنَّ الذي في شِعْرهِ من دَقيقِ المعاني، وبديعِ الوصْفِ ولطيف التّشبيهِ، وبديعِ الحكم فوقَ ما في أشْعارِ.

[٥/أ] سائرِ الشُّعراء منَ الجاهليّةِ والإسلامِ. على أنّهُ لا يكادُ تخْلُو لَهُ قَصيدةٌ واحدةٌ مِنْ أنْ تَشْتَمل مِنْ ذلكَ على نَوْعٍ أَوْ أنواعٍ.

ولولا لطيفُ المعاني واجتهادُ امرئ القَيْسِ وإقبالُه قبلَها لما تقدّمَ على غَيْرهِ، ولكانَ كَسَائرِ الشُّعراء مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ؛ إذْ ليستْ له فَصَاحَةُ تُوْصفُ بالزِّيادةِ على فصاحتهمْ، ولا لألفاظهِ منَ الجَزالةِ والقوّةِ ما ليسَ لألفاظِهمْ، ألا ترى أنَّ العلماءَ بالشِّعر إنّما احتجّوا في تقديمه بأن قالوا: هو أوّلُ مَنْ شبّه الخيلَ بالعصيّ وبالوحشِ والطّيرِ، وأوّلُ منْ قال: كذا وقال كذا مِنْ قيدِ الأوابد وغيرهِ[1]. فهلْ هذا التقديمُ له إلّا مِنْ أجْلِ مَعانيهِ؟ قالوا: وماذا يكونُ إذا اضطربَ لفظُ أبي تمّام واختلَّ في بعضِ المواضعِ؟ وهل خلا مِنْ ذلكَ شاعرٌ قديمٌ ومحَدثٌ؟! هذا الأعشى يختلُّ لفظ كثيرٍ ويُسَفْسِفُ دائمًا، ويرقُّ ويضعُفُ، ولم يَجْهلوا حقَّهُ وفَضْلَه حتّى جَعلوهُ نظيرًا للنابغة، وألفاظ النّابغة في الغاية من البَرَاعَةِ والحسن، وعديلًا لزُهَيْرِ الذي صَرَف اهتمامَه كلّه إلى تَهْذيبِ ألفاظهِ وتقويمِها، وألْحقوه بامرئ القيسِ الّذي جمعَ الفضيلتين، فجعلوهم طبقةً، وصَارَ فَضْل كلِّ واحدٍ من غير الوجْه الذي فَضُل به صاحبَه. ولو أن أبا تمّام حيٌّ يخلو من كل لفْظٍ جيِّد البتّة، أو لو أنّه قال بالفارسيّة أو الهنديّة[2]:

(١) في الموازنة ١: ٤٢١: (... وأوَّل مَنْ قال: قيد الأوابد، وأول من قال: كذا، وقال كذا).

(٢) ديوانه، ق ٣٧، ب ٤٦ و٤٧، ١: ٣٩٧، والموازنة ١: ٤٢٢.



[الكامل]

وإذا أرادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضيلةٍ
طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النّار فيما جاورتْ
ما كانَ يُعْرَف طيبُ عَرْف العودِ

أو قال[1]:

[الطويل]

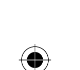
هي البدرُ يُغْنيها تَودّدُ وجْهِها
إلى كلِّ مَنْ لاقتْ وإنْ لم تودّدِ

[٥/ب] أو ما أشبه هذا منْ بدائعه حتّى يفسِّرَ لنا ذلكَ مفسِّر بكلام عربي منثور. أما كانَ يكونُ هذا شَاعرًا محسنًا يثابرُ شعراء زمانه من أَهْل اللغةِ العربيّةِ على طَلبِ شعره وتفسيره واستعارة معانيه؟ فكيف وبدائعُهُ المشهورةُ ومحاسِنُهُ المتداولةُ لم تأتِ إلّا بأبلغِ لفظٍ وأحْسن سَبْكٍ؟ والله تعالى أعلَمُ بالصّوابِ.

المرتبة الثانية: في فضْل البحتريّ[2]

وَجَدتُ[3] أكثر أصحابِ أبي تمّام لا تدفعُ[4] البحتريَّ عن حُلوِ اللفْظِ، وجَودةِ الرّصفِ وحسنِ الدِّيباجةِ، وكثرةِ الماءِ، وأنّهُ أقربُ مأْخذًا وأَسلَم طَريقةً منْ أبي تمّام. ثمَّ[5] يحكمون –مع هذا– أنّ أبا تمّام أشْعرُ منْهُ. وقد شاهدتُ وخاطَبتُ منهْم على ذلكَ عَددًا كثيرًا، وهذا مذهبُ مَنْ جُلُّ[6] ما يراعيهِ منْ أَمرِ الشِّعر دقيقُ المعاني، ودقيقُ المعاني موجودٌ في كلِّ أمّةٍ وفي كلِّ لغةٍ.

(١) ديوانه، ق٤٦، ب٤، ٢: ٢٣، الموازنة ١: ٤٢٢. والمراد بتودد وجهها: حسنه، فكل من يراه يحبّه.
(٢) انظر: الموازنة ١: ٤٢٣–٤٢٩.
(٣) في الموازنة: (ووجدت).
(٤) في الموازنة: (لا يدفعون).
(٥) في الموازنة: (ويحكمون).
(٦) في الأصل: (مذهب رجلٍ)، والتّصحيح عن الموازنة.





وليسَ الشِّعْرُ عند أهل العلمِ بهِ إلّا حُسْنَ التأتّي، وقُربَ المأْخذِ، واختيارَ الكلمِ[1]، ووضعَ الألفاظِ في مَواضِعها، وأن يوردَ المعنى باللفْظِ المعتادِ فيهِ، المستعملِ في مثلِه، وأنْ تكونَ الاستعاراتُ والتمثيلاتُ لائقةً بما استُعيرتْ لهُ وغير نافرة[2] لمعناه، فإنّ الكلامَ لا يكتسي البهاءَ والرّوْنَق إلّا إذا كانَ بهذا الوصْفِ، وتلكَ طريقةُ البُحْتريِّ، قالوا وهذا أصلٌ يحتاجُ إليهِ الشّاعرُ والخطيبُ صاحبُ النَّثرِ؛ لأنّ الشِّعْرَ أجودُه أبلغُهُ، والبلاغةُ إنّما هي إصابةُ المعنى، وإدراكُ الغرضِ بألفاظٍ سَهلةٍ عذبةٍ مستعملةٍ سَليمةٍ من التكلّف، كافيةٍ لا تبلغُ الهذَرَ الزايَدَ على قدْرِ الحاجةِ، ولا تنقُصُ نقصًا يقفُ دونَ الغايةِ، وذلكَ كما قالَ البُحْتريِّ[3]:

[المنسرح]

[6/أ] والشِّعْرُ لمحٌ تكفي إشَارتُهُ

وليسَ بالهذْرِ طُوِّلتْ خُطَبُهْ

وكما قال أيضًا[4]:

[الخفيف]

ومعانٍ لو فصلّتَها القَوافي

هجّنتْ شعر جَرْولٍ ولبيدِ

---

(١) في الموازنة: (الكلام).

(٢) في الموازنة: (غير منافرة).

(٣) ب١٦، ق ٦٨، ١: ٢٠٩ من قصيدة يهجو عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، والبيت في: الموازنة ١: ٤٠١، والفلك الدائر: ١٧٩، والغيث المسجم ١: ١٥٨. اللمح: البّرق، واختلاس النظر. الهذر: سَقَطُ الكلام، يقال: هَذّر في منطقه يهذِرُ ويهذُرُ هَذْرًا وتَهذارًا.

(٤) الأبيات في ديوانه ق ٢٥٩ (الأبيات ٣٨-٤٠)، ج١: ٦٣٢. والقصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيّات. والأبيات في: الموازنة ١: ٤٢٤، والمنتحل: ٨، والعمدة ١: ٤٢٤، ودلائل الإعجاز: ٥١٨، وشرح ديوان المتنبي ٤: ١٨، وهبة الأيّام: ٩٤ هجَّنت: أزرت وعابت. جَرْول: هو الحطيئة. ولبيد: هو لبيدُ بن ربيعة الشاعر.



جُــــزْنَ[1] مُسْتعمـلَ الـكَـلامِ اخْـتـيـارًا
وتجــــنّــــبْنَ ظُـلْــمـةَ الـتّـعـقـيـدِ
ورَكــــــبْنَ الـلـفـظَ الـقـريـبَ فـأدْ
ركْـــنَ بـــهِ غـايـةَ المـــرادِ الـبـعـيـدِ[2]

فإنِ اتّفقَ –مع هذا– معنى لطيفٌ أو حكمةٌ غريبةٌ، وأدبٌ حسن فذاك زائدٌ في بهاءِ الكَلام، وإنْ لم يتّفقْ فقد قام[3] الكلامُ بنفسهِ واسْتغنَى عمّا سواهُ. قالوا: وإذا كانتْ طريقةُ الشّاعرِ غيرَ هذهِ الطريقةِ وكانت عبارتُه مُقَصِّرَةً عنْها، ولسانُه غيرُ مدركٍ لها حتّى يعتمدَ دقيق المعاني من فلسفةِ يونانَ، أو حكم[4] الهند، أو آدابِ الفرسِ، فيكونَ أكثرُ ما يوردهُ منها بألفاظٍ متعَسَّفةٍ[5]، ونسْجٍ مضطربٍ.

وإنِ اتفقَ في تضاعيفِ ذلكَ شيْءٌ منْ صحيحِ الوصفِ وسليمهِ[6] قلنا له: قد جئتَ بحكمةٍ وفلسفةٍ[7]، ومعانٍ لطيفةٍ حسنةٍ. فإنْ شئتَ دعَوْناكَ حكيمًا، أوْ سمَّيْناكَ فيلسوفًا، ولكنْ لا نسميكَ شاعرًا، ولا ندعوكَ بليغًا؛ لأنَّ طريقتَكَ ليستْ على طريقةِ العربِ ولا مذاهِبهم. فإنْ سمّيناكَ بذلكَ لم نلحقكَ بدرجةِ البلغاءِ ولا المحسنين الفصحاءِ. وينبغي أنْ تعلمَ أنّ سوءَ التّأليفِ، ورداءَةَ اللفْظِ يذهبُ بطلاوةِ المعنى الدّقيقِ ويُفْسِدُهُ ويعمِّيهِ حتّى يحوجَ مستمعَهُ إلى طول تأمُّلٍ، وهذا مَذْهبُ أبي تمّام في عُظْمِ شِعْرهِ. وحُسنِ

---

(١) في الديوان والمصادر كلها: (حُزْن) بالحاء المهملة، ولا معنى لشعر يحوز الكلام المستعمل، والصّواب: (جُزْن). قال الشيخ محمود شاكر معلّقًا على رواية المصادر (حُزْن) بالحاء: «... وهو عندي خطأ لا شكّ فيه، وتصحيف مفسدٌ للكلام والشعر معًا، وإنما هو (جُزْن) بالجيم المعجمة من (جاز بالمكان) إذا تعدّاه. وتركه خلفه. يقول: إنّ معانيه تعدَّيْن مبتذل اللفظ والكلام وتركْنه». دلائل الإعجاز: ٥١٨، ح١، وروته بعض نسخ الديوان (جُزن)، وهو الصواب.

(٢) يريد بذلك اللفظ الجيد المختار بعناية فائقة، فلا ابتذال فيه ولا تعقيد ولا معاظلة.

(٣) في الأصل: (فقد دام).

(٤) في الموازنة: (أو حكمة...).

(٥) المتعسَّف: عسَف واعتسف وتعسَّف: مال وعدل عن القصد.

(٦) في الموازنة: ١: ٤٢٥: (وسليم النظر).

(٧) في الموازنة ١: ٤٢٥: (وفلسفة النظم)، ولا معنى لهذا التركيب، وظاهر أن كلمة (النظم) نابية عن السياق.

التأليفِ وبراعةِ اللفْظِ يزيدُ المعنى المكشوفَ بهاءً وحُسْنًا ورونقًا حتّى كأنَّهُ قدْ أحدثَ فيه غرابةً لم تكنْ، وزيادةً لم تُعْهدْ، وذلكَ مذهبُ البحتريِّ، ولهذا قالَ النّاسُ: لشِعرهِ ديباجةٌ، ولم يقولوا ذلكَ في شِعْرِ أبي تمّامٍ.

[٦/ب]وإذا جاءَ لطيفُ المعاني في غيرِ بلاغةٍ ولا سَبْكٍ جيّدٍ، ولا لفظٍ حسنٍ، كانَ ذلك مثل الطِّراز الجديدِ على الثّوب الخَلَقِ، ونقشِ العبيرِ على خدِّ الجاريةِ القبيحةِ الوجْهِ. وأنا أجمعُ لكَ معاني هذا البابِ في كلماتٍ سَمعتُها من شيوخِ أهلِ العِلمِ بِالشِّعرِ: زعموا أنَّ صناعة الشِّعر وغيرها من سائرِ الصِّناعاتِ، لا تجودُ وتستحكم إلّا بأربعة أشياء، وهي: جَوْدَةُ الآلةِ، وإصابةُ الغرضِ المقصودِ، وصحَّةُ التّأليف، والانتهاءُ إلى تمامِ الصّنعةِ مِنْ غير نقصٍ فيها، ولا زيادةٍ عليها. وهذهِ الخلالُ الأربعُ ليستْ في الصِّناعاتِ وحدها. بل هي موجودةٌ في جميعِ الحيوانِ والنبات. انتهى[١].

ذكرتِ الأوائلُ أنَّ كلّ محدَثٍ مصنوعٍ يحتاجُ إلى أربعةِ أشياءَ:

علّة هَيُولانيّة[٢]، وهي الأَصْـلُ، وعلّة صوريَّة، وعلّةٍ فاعلة، وعلّةٍ تماميّة. فأمّا الهيولانيَّة فإنَّهم يعنون اللطيفة التي يبتدعُها الباري -جلَّ جلالُه- ويخترعها ليصوِّرَ ما شاءَ تصويرَه منها. والعلّة الصُّوريّة[٣] هي المعنى الذي يقصِدُ الباري -جلّ جلالُه- تصويره من رجلٍ أو[٤] فرسٍ أو جملٍ أو غيرها من الحيوان، أو بُرّةٍ[٥]، أو كَرْمَةٍ، أو نخْلةٍ، أو سَرْوةٍ، أو غيرها من سائر أنواع النبات[٦].

---

(١) هنا ينتهي النص في الموازنة ١: ٤٢٦.

(٢) الكلمة يونانية الأصل، وتعني الأصل والمادة. ومعناها اصطلاحًا جوهر في الجسم يقبل ما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال. التعريفات: ٢٥٣، وانظر: الفروق اللغوية: ٢٠٨، والكليات ٥: ٦٤، و٧٠، وكشاف اصطلاحات الفنون: ١٧٤٧.

(٣) العلّة الصّوَرِيَّة: العلَّة التي يوجَدُ بها الشيء بالفعل، فلا يتوقّف بعد وجوده على شيء آخر. التعريفات: ١٥٧، وكشاف اصطلاحات الفنون: ١٢١٠.

(٤) (أو فرس.... النبات): ليس في الموازنة. هنا ينتهي كلام الآمدي في الموازنة، وما بعدها زيادة.

(٥) البُرَّة: القمح والحنطة، والأولى هي اللغة العليا.

(٦) النص في الموازنة ١: ٤٢٦.



[٧/أ] والعلَّةُ[١] الفَاعلةُ[٢] فهي تأليفُ الباري -جَلّ جلالُه- لتلك الصّورةِ. والعلَّة التمامية[٣] فهي أن يتمَّها تبارك اسمُهُ - ويفرَغَ من تصويرها مِنْ غير انتقاصٍ منها. وكذلكَ الصّانعُ المخلوقُ في مصْنوعاتهِ الّتي علَّمهُ اللَّهُ -جلّ جلالُهُ- إيّاها لا يَستقيم له وتجودُ إلّا بهذهِ الأربعةِ أشياء وهي آلةٌ يَستجيدُها ويتخيَّرها من خشبِ النّجارِ، وفضّةِ الصّائغِ، أو آجُرّ البنّاءِ، وألفاظِ الشّاعرِ والخطيبِ، وهذهِ هي الهيولانيّة التي قدّموا ذكرها وجعلوها الأَصْل. ثمّ إصابةُ الغرضِ فيما يقصِدُ الصّانِعُ صنعتَهُ، وهي العلَّة الصّورية[٤] التي ذكروها، ثمَّ صحّةُ التأليفِ حتّى لا يقعَ فيهِ خَلَلٌ ولا اضطرابٌ، وهي العلّة الفاعلةُ ثمّ أنْ ينتهيَ الصانعُ إلى تمام صنعتهِ مِنْ غير نقصٍ منها ولا زيادةٍ، وهي العلّة التماميّة. فهذا قولٌ جامِعٌ لكلِّ الصناعات والمخلوقاتِ.

فإن اتّفقَ الآنَ لكلِّ صانعٍ بعدَ هذهِ الدّعائم الأربع أنْ يُحْدث في صنعتهِ معْنىً لطيفًا مسْتَغرَبًا، كما قُلْنا في الشِّعْر، من حيثُ لا يخرجُ عن الغرضِ، فذلكَ زائدٌ في حُسْن صَنْعتهِ وجَوْدتها، وإلّا فالصَّنعَةُ قائمةٌ بنفسِها، مستغنيةٌ عمّا سواها.

وقد ذَكَر بُزَرْجُمَهْر: فضائلَ الكلامِ ورذائلَهُ، وبعضُ ذلكَ داخلٌ في الشِّعْر، قال:[٥] «إنّ فضائل الكَلام خمسٌ: إن نقصت فضِيلة واحدة سقط فضل سائرها وهي: أنْ يكون الكلامُ صِدْقًا، وأنْ يقعَ موقعَ الانتفاعِ بهِ، وأنْ يُتكلّم بهِ في حينهِ، وأنْ يحسنَ تأليفَه، وأنْ يستعملَ منهُ مقدارُ الحاجةِ. قال: ورَذائلُها بالضدِّ من ذلكَ، فإنّهُ إنْ كانَ صدقًا، ولم يوقع موقعَ الانتفاعِ بطَلَ فضلُ الصّدقِ، منه، وإن كان صدقًا وأُوقَع موقعَ الانتفاع به وتُكلِّم به.

(١) (والعلة الفاعلة... الصورة): ليس في الموازنة، فقد تابع الآمدي الحديث عن العلة التمامية.

(٢) العلّة الفاعلة: ما يوجد الشّيء بسببه. التعريفات: ١٥٧، وكشاف اصطلاحات الفنون: ١١١٢.

(٣) العلّة الغائيّة: ما يوجد الشيء من أجله، نحو: لقاء الحبيب قبل حصوله. التعريفات: ١٥٧، وكشاف اصطلاحات الفنون: ١١١٢.

(٤) في الأصل: (العلّة والصّورية).

(٥) في الموازنة: ٤٢٧: (... فقال). والنصّ في الموازنة ١: ٤٢٧-٤٢٨.





[٧/ب] في حينه ولم يحسنْ تأليفه لم يستقرّ في قلب مستمعهِ وبطَل فضلُ الخِلال الثَّلاثِ، ولم يُتكلَّم بهِ في حينه، وأُحْسِنَ تأليفُه، ثمّ استُعْملَ منهُ فوقَ الحاجةِ خرج إلى الهَذَرِ، أو نقصَ عن التّمامِ، صار مبتورًا، أو سقطَ فضلُ الخِلال كلِّها. وهذا إنّما أرادَ به بُزَرجُمَهْر المنثورَ الذي يخاطَبُ به الملوكُ، ويقدّمه المتكلِّمُ أمامَ حاجتِه، والشّاعر لا يُطَالَبُ بأنْ يكونَ قولُه صدقًا، ولا أنْ يوقَعهُ موقعَ الانتفاعِ بهِ؛ لأنّهُ قَدْ يقصُد إلى أن يوقعَهُ موقعَ الضّرورة، ولا أنْ يجعَلَ لهُ وقتًا دونَ وقتٍ. وبقيت الخلّتان الأُخريانِ وهما واجبتانِ في شعرِ كلِّ شاعرٍ؛ وذلكَ أن يحسن تأليفُه، ولا يزيدَ فيهِ شيئًا على قدْر حاجتِهِ».

فصحّةُ التّأليفِ في الشِّعر وفي كلِّ صناعةٍ هي أَقْوى دَعائمه بعد صحّةِ المعنى. فكلّ مَنْ كانَ أصحَّ تأليفًا كانَ أَقْوم بتلك الصِّناعةِ ممّن اضطرَبَ تأليفُهُ[١]، [واللّهُ تعالى أَعْلمُ بالصّواب][٢].

****

(١) ههنا ينتهي النص في الموازنة ١: ٤٢٩.

(٢) ليست في الموازنة.



الفَصْلُ الأوّلُ

في ذِكرِ الوقوفِ على الدّيار[1]

قال أبو تمّام[2]:

[الكامل]

ما في وُقوفِكَ ساعَةً مِن بَاسِ[3]
نَقضي ذِمامَ الأَربُعِ الأَدراسِ[4]

وهذا ابتداء جيّدٌ بالغ.

وقولُهُ: (الأَدْراس): جمع (دارسٍ)، وقلّما يُجْمَعُ (فاعلٌ) على (أفعالٍ)، ومنه: شَاهِد وأشْهادٌ، وماجِدٌ وأمجادٌ، وصَاحبٌ وأَصْحابٌ.

وقال أبو تمّام[5]:

---

(١) في الموازنة ١ : ٤٣٠ : (الابتداءات بذكر الوقوف على الديار).

(٢) مطلع قصيدة يمدح فيها أحمد بن المعتصم، وهو في ديوانه، ق ٨١، ب١، ١ : ٢٤٢، والموازنة ١ : ٤٣٠.

(٣) الأصل في الكلمة الهمز، ويمتنع همزها ههنا لأنه يصير عيبًا في القافية. شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢٤٢.

(٤) يمكن أن يكون (أدراس) جمع (دارسٍ) مثل شاهدٍ وأشهادٍ، أو جمع (دريسَ) مثل يتيم وأيتام، الذِّمام: الحقّ والحرمة، ويجمع على أذِمّة.

(٥) البيت مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبَانة الخراساني، وهو في ديوانه، ق ٥٠، ب١، ٢ : ٦٨. ذهب التبريزي إلى أنَّ الأجودَ جَعْل الفعل (تسمع) غير متعدٍّ على قياس قولهم: سمعَ له وأطاعَ، لأنه إذا جعل متعديًا قبح إدخال اللام، وإن كان جائزًا إلّا أنه مكروه. وردّ ابن المستوفي كلام التبريزي السابق، ومنع تقدير الفعل على قياس (سمعَ لهُ)؛ لأنَّه لم يرد أنها تطيع نشدان الناشدِ، وإنما مراده أنها تسمعه. انظر: شرح ديوان أبي تمام ٢ : ٦٨، والنظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ٦ : ٢٢٤. والنِّشدان: نَشَدَ الضالّة نِشْدةً ونِشْدانًا : طلبها وعرَّفها.

[الطّويل]

قِفوا جَدِّدوا مِنْ عَهدِكُم بِالمَعاهِدِ
وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسمَعْ لِنشْدانِ ناشِدِ

أراد (لِنِشْدان النَّاشدِ) الذي يقول: أينَ أهلُكِ يا دارُ؟ كما يَنشدُ النّاشدُ الضالّة إذا طلَبها.

وقال أبو تمّام[1]:

[الكامل]

قِفْ بِالطّلولِ الدّارِساتِ عُلاثا
أضحتْ حِبَالُ قَطينِهِنَّ رِثَاثا[2]

(عُلَاثةُ): اسمُ صاحبِهِ، أراد: قفْ يا علاثةُ. وهذان ابتداءان صالحان[3].

وقال أيضًا[4]:

[الخفيف]

قفْ نؤبِّنْ[5] كِناسَ ذاكَ الغزالِ
إنّ فيه لمسرحًا للمقالِ[6]

(١) مطلع قصيدة يمدح بها طَوْق بن مالك، وهي في: ديوانه ١: ٣١١، والموازنة ١: ٤٣٠، والنظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ٥: ٨٧.
ومالك بن طوق: هو مالك بن طوق بن عتاب التغلبي أحد الأمراء الأشراف والفرسان، ولي إمارة دمشق للمتوكل. توفي سنة (٢٥٩ هـ). ترجمته في: فوات الوفيات ٢: ١٤٢.

(٢) عُلاثا: ترخيم (عُلاثة)، يقال: إنَّه كان مع أبي تمّام غلامٌ يحملُ هذا الاسمَ، ويحتمل أنه افتعال من أبي تمام على سَنن الشّعراء الأقدمين الذين كانوا يذكرون أسماء نساء في مطالع قصائدهم.

(٣) القطينُ: أهل الدّار. الرثاث: جمع رثّ، قال ابنُ المستوفي: «كيف رويت لفظة (علاثا) فهي رديئة. ولو أنّ (علاثة) غلامهُ على الحقيقة لوجب عليه تجنب هذه اللفظة واطّراحها لغرابتها». النظام ٥: ٨٧.

(٤) لم أقف عليه في ديوانه ولا في ملحقاته، وهو في: الموازنة ١: ٤٣١.

(٥) في المخطوط: (نوتى).

(٦) الكِناس في الأصل: ما يستتر به الظبي من الشجر، وجمعه: كُنُس وكُنَّس.

التأبين[١]: مَدْحُ الهالكِ. والكِنَاسُ -ههنا-: الرّبْعُ، وإنّما يريدُ الخيمةَ أو البيتَ منْ بيوتهم سمَّاهُ كِناسًا، لأنّهُ جعلَ المرأةَ غزالًا؛ أي: قف نندبه[٢] فإنّ المقالَ يتّسعُ فيهِ، وهذا أيضًا بيتٌ جيِّدٌ ومَعْنى حَسَنٌ مستقيمٌ، وقال أبو تمّام[٣]:

[الكامل]

لَيسَ الوُقوفُ يكُفّ[٤] شَوقَكَ فَانزِلِ
تَبلُلْ غَليلًا بِالدُّموعِ فَتُبلِلِ[٥]

وهذا معنى طريفٌ، وقد جاءَ مثلُه في الشِّعر. قال الأصمُّ الباهلي[٦]، واسمُه عبدُ اللهِ ابنُ الحجّاجِ، ولا أعرفُ غيرَهُ[٧]، وأظنّه[٨] عثرَ به واحتذى عليه، لأنّهُ كانَ مولعًا بغرائب الألفاظِ والمعاني[٩]:

---

(١) ومن ذلك قول متمّم بن نويرة في رثاء أخيه مالك بن نويرة:

لعمري، وما دهري بتأبين هالك ... ولا جَزَع، مما أصاب فأوجَعَا

والبيت في الأغاني ١٤: ٦٨، والمفضليّات: ٢٥٦، والعقد الفريد ٢: ٢٠، وخزانة الأدب ١: ٢٣٤، و٣: ٤٠٦ و٤٩٨. والدهر -ههنا- العادة والدَّيدَنُ.

(٢) في الأصل: (فناديه)، والتّصحيح من الموزانة.

(٣) البيت مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن وَهْب، وهي في ديوانه، ق ١١٤، ب ١، ٣: ٣٢، والموازنة ١: ٤٣١. يكفّ: يمنع، ورواية الديوان (بكفء)؛ أي: المساوي، وبهذا المعنى نقل التبريزي تفسير المعري له في الديوان، فقال: «يقول: شوقُك يعظمُ أنْ ينزلَ فيه». ديوانه بشرح التبريزي ٣: ٣٢.

(٤) في الديوان: (بكفء... فتُبْلل).

(٥) في الأصل: (فنبلل) – تبلل: تبرأ من المرض، من قولهم: أبلَّ، ويقال: بلَّ وأبلَّ. قال المعري: «فإنْ قيل: تَبْلُل بفتح التاء فحسنٌ لأنه يُحمل على بلَّ». شرح الديوان ٣: ٣٢.

(٦) أحد الشعراء الملقبين بـ (الأصمّ)، واسمه: عبد الله بن الحجّاج بن كلثوم، أحد بني ذبيان بن جِثاوة بن مَعْن ابن أعصُر، شاعر خبيث إسلامي، له قصائد في هجاء الفرزدق. روى الآمدي له أبياتًا منها:

قتيبة أبطالٌ مساعيرُ بالقنا ... خَضَارمةٌ عندَ اللقاءِ بحورُ

المؤتلف والمختلف: ٥٣. المساعير: جمع مِسْعر، وهو الشَّديد. القنا: الرِّماح. الخَضارمة: جمع خِضْرم، وهو السيِّدُ الحَمول.

(٧) أقول: بل عدَّد الآمدي في المؤتلف والمختلف خمسة من الذين لُقِّبوا بـ (الأصم)، وهم: الأصمُّ الشَّيباني واسمه عمرو بن قيس، وعرف بـ (عمرو الأصمّ)، والأصمُّ الضّبي، واسمه الحكم بن زهرة، وكان حروريًا، والأصمُّ الفَزَاري، واسمه الحكم بن زهرة، والأصمُّ الباهلي، وهو الذي ذكر هنا، والأصمُّ النُّميري، واسمه حُكَيم بن مالك بن جَناب والأصمُّ الكلابي، واسمه مالك بن جناب. انظر: المؤتلف والمختلف: ٥١ – ٥٣، ومعجم الشعراء: ٣٠٥، ترجمة رقم ٥٧٠.

(٨) في الموازنة: (وأظنُّ أبا تمام عثرَ به...).

(٩) البيت في: الموازنة ١: ٤٣١ وفيه: (أتنزل اليوم بالأطلال...)، ويبدو أنه من القصيدة التي منها البيت المذكور في الحاشية السابقة.



[البسيط]

أتـنـزِلُ الـيـوم فـي الأطـلالِ أمْ تـقفُ
لا بـلْ قـفِ الـعيسَ حتّـى يمضـي الـسَّلَفُ

السَّلَفُ: المتقدِّمون، وإنّما قال ذلك، لأنَّ الوقوف على الدِّيار إنما هو فوق المطيّ، ولا يكادُون يذكرون نزولًا، وأنشد منشدٌ قول كُثيِّر[1] وهو يسمع[2]:

[الطويل]

وقَـضَّـيْنَ مـا قَـضَّـين ثُـمّ تـركْـنـنـي
بـفَـيْـفـا خُـرَيْمٍ قـائـمًـا أتـلـدَّدُ[3]

[٨/ب] فقال كُثَيِّر: «ما قلتُ كذا، أتُراني قائمًا أصنعُ ماذا؟ قيل: فجالسًا؟ قال: ولا هذا، أجالسًا كنْتُ أبولُ؟ قيل فما قلتَ: قال واقفًا، يريد واقفًا على مطيّتهِ، فهذا هو المعروف من عاداتهم»[4]، وقد قال كُثَيِّر[5]:

---

(١) هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر مشهور، وهو المعروف بـ (كثيّر عزة)، ويعرف أيضًا بابن أبي جمعة، وهو أحد شعراء العصر الأموي المشهورين. توفي سنة ١٠٥ هـ، وله ديوان شعر مطبوع جمعه د. إحسان عباس، وصدر عن دار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٧٠م، ثم شرحه عدنان زكي درويش وصدر عن دار صادر سنة ١٩٩٤. انظر ترجمته في: الأغاني ٩: ٣، ومعجم المؤلفين ٨: ١١٤.

(٢) البيت في ديوان كُثيِّر، ق ٩٠، ب ١٥، ص ٤٣٩، وروايته: (فأجمعْنَ بينًا عاجلًا وتركْنني...)، وهو أيضًا في الموازنة ١: ٤٣١، والشعر والشعراء: ٥١٢، ضمن خمسة أبيات ومعجم البلدان ٢: ٣٦٤ و٤: ٥٨٥ (خريم)، (فيفاء)، وروايته: (فأجمعن هينًا عاجلًا وتركتني....)، ومعجم ما استعجم: ١٠٣٨ ضمن ثلاثة أبيات، وروايته: (فأزمعْن...)، والأماكن: ٢١٨ وروايته كما في الديوان، ووفاء الوفا: ١٢٠١ والمغانم المطابة: ١٢٩، وأساس البلاغة (بلد).

(٣) الفَيفُ والفَيفا والفَيفَاء: كل أرض واسعة، وقد ورد هذا الاسم مضافًا إلى مواضع كثيرة، منها: فَيفا غزال، وفَيفا خُرَيم، وفَيفا النُّهاق، وفَيفا الخَبار. خُرَيم: ثنيّةٌ بين جبلين بين الحجاز والمدينة، أو بين المدينة والرَّوحاء، كان عليها طريق النبي، صلى الله عليه وسلم، عند انصرافه من موقعة بدر، وهو الموضع الذي ذكره كثيِّر في الأبيات المذكورة. انظر: الأماكن ١: ٢١٨، وحاشية الشيخ حمد الجاسر ثمة. أتلدَّدُ: التلدُّدُ: الذهاب يمينًا ويسارًا من الحَيْرة.

(٤) الموازنة ١: ٤٣٢.

(٥) مطلع القصيدة ٣ في ديوانه ص ٩٥. وهو في أمالي القالي ٢: ١٠٧، والأغاني ١٧: ١١٨، وأمالي المرزوقي ١: ٦٤.



[الطّويل]

خليليّ هذا رَسْمُ عزَّةَ فاعقِلا
قَلوصَيْكُما، ثُمَّ ابكيا حَيْثُ حلَّتِ(١)

إذِ القَلوصُ لا يعْقلُها راكبُها إلّا إذا نزلَ عَنها، والعَقْلُ فوقَ الرّكْبة.

وقال البُحْتريّ(٢):

[الخفيف]

ما عَلى الرّكبِ مِنْ وُقوفِ الرِّكابِ
في مَغاني الصِّبا وَرَسْمِ التصابي(٣)

وقال أيضًا(٤):

[الخفيف]

ذاكَ وادي الأَراكِ فَاحبِسْ قَليلا
مُقْصِرًا في ملامة أَوْ مُطِيْلا(٥)

وهذان ابتداءان في غايةِ الجَوْدةِ [والبراعةِ](٦).

وقال(٧):

---

(١) العَقْل: شدُّ وظيف البعير إلى ذراعه. والوظيفُ: مستدقّ الساق من الخيل والإبل وغيرها. القلوص: الشابَّة من الإبل، أو الباقية على السَّير، أو أوّل ما يركب من إناثها إلى أنْ تثني، ثم تسمَّى ناقة.

(٢) ديوانه، ق٢٩، ب١، ج١: ٨٣ من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب كاتب القاضي أحمد بن أبي دؤاد. والبيت في: الموازنة ١: ٤٣٢، وعبث الوليد: ٥١، صدره فقط، والمنازل والديار: ١٧٩.

(٣) الرّكب: اسم جمع، أو جمعٌ، وهم العَشَرة فما فوق، وقد يطلق على الخيل. الرِّكاب: الإبل، والواحدة: راحلة، وتجمع على رُكُبٍ، وركابات، وركائبَ. المغاني: جمع مغْنى، وهو المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا. الرَّسْم: بقايا الطلل والديار. التّصابي: الاشتياقُ، وهو من صَبَا يصبو.

(٤) مطلع القصيدة ٦٧٧، ١٧٦٢، يمدح بها أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى بن موسى بن طلحة بن محمد بن السّائب بن مالك الأشعريّ. والرواية فيه: (... مقصرًا من صبابة...). وهو في: الموازنة ١: ٤٣٢ وروايته: (ملامتي)، الزّهرة ١: ٢٩٥، وروايته كما في الديوان والمثل السائر ٢: ٢٩١.

(٥) الأراك: نبت طيب الرائحة يُسْتاك به، وجمعه: أُرُك، وأرائك: مقْصِرًا: مُقِلًّا.

(٦) الكلمة ليست في الموازنة.

(٧) مطلع القصيدة ٦٣٦، في مدح أبي الحسن علي بن يحيى المنجِّم، وهي في ديوانه: ١٦٢٥. والبيت في الموازنة ١: ٣٧٨، ٤٣٢. وقد ذكره الآمدي في أخطاء البحتري ١: ٣٧٨، ٤٣٢.

[الطويل]

قِفِ العِيْسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاها كَلالُها
وَسَلْ دارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاك سُؤالُها[1]

هذا لفظٌ حَسَنٌ ومعنى ليس بالجيِّد؛ لأنّه قال: قَدْ أدنى خُطَاها كَلالُها؛ أيْ: قارَبَ مِنْ خَطْوِها الكَلالُ، وهذا كأنّه لم يقفْ لسؤالِ الدار الّتي تعرض لأنْ تشفيَهُ، وإنّما وقفَ لإعياءِ المطيِّ، والجيِّدُ قول عنترة[2]:

[الكامل]

فَوَقَفْتُ فيها ناقَتي وَكَأَنَّها
فَدَنٌ لِأَقْضيَ حاجَةَ المُتَلَوِّمِ

فإنّهُ لما أرادَ ذكر الوقوفِ على الدّارِ احتاط بأنْ شبّهَ ناقتَهُ بالفَدَن، وهو القَصْر؛ ليُعْلِمَ أنّه لمْ يقفْها ليُريِّحها.

وقد كشفَ ذو الرُّمّةِ هذا المعْنَى وأحْسَنَ فيه وأجَادَ، فقال[3]:

[الطويل]

أنَخْتُ بها الوَجْناءَ لا مِنْ سآمةٍ
لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثنينِ جاءٍ وذاهِبِ

[٩/أ] يقول أَنختُها لأصلِّي لا من سآمةٍ بها، هكذا فسَّروهُ[4]. وقولُه: «لثنتين» يعني رَكْعتَي العَصْر اللتَيْنِ يقصرهما المسافرُ بين اثنينِ: جاءٍ يريدُ (اللّيلَ) وذاهبٍ، يعني (النّهارَ).

(١) العيسُ: الإبلُ البيض يُخَالطُ بياضَها شُقْرةٌ.

(٢) هو عنترة العبسيُّ الشاعرُ المشهورُ. والبيت في ديوانه ق١، ب٦، ص١٨٤. الفَدَنُ: القَصْرُ. المتلوِّمُ: المنتظرُ، وهو يريد نفسَه ههنا. والمراد بالحاجة: رغبته في البكاء على الديار والسؤال عن أهلها. انظر: شرح ديوان عنترة صنعة الأعلم الشنتمري، ص ١٨٥.

(٣) ديوان ذي الرمة، ق١١، ملحق الديوان، ص١٨٤٦، والموازنة ١: ٢٧٩، و٤٣٢، والزهرة: ٧٩٩ مع بيت آخر، وتفسير أبيات المعاني: ١٠٠.

(٤) (كذا فسّروه): ليس في الموازنة ١: ٣٧٩، وهما في الصفحة ٤٣٢، واتفاق المباني وافتراق المعاني: ١١٢. الوجْناء: النّاقة الشديدة



فإنْ قيل: إنّما قالَ: «قد أدْنى خُطَاها» ليُعْلَمَ أنّهُ قصدَ الدّارَ من شُقّةٍ بعيدةٍ، فيكون أبلغَ في المعْنى.

قيل: العربُ لا تَقْصِدُ الدِّيارَ للوقوفِ عليها، وإنَّما تجتازُ بها، وإنْ كانت[1] على سنَنَ طريقهم قالَ الّذي له [أربُ][2]، في الوقوفِ لصَاحِبِهِ وأَصْحابه قِفْ وقِفَا، وقفوا. وإنْ لم تكُنْ على سَنَنَ الطريق قال: عوْجا وعَرِّجا أو عُوْجا وعُوجوا، كما قال امرؤ القيسِ[3]:

[الكامل]

عُـوْجـا عَـلَـى الـطَّـلَـلِ المحـيـلِ لـعلّـنـا[4]

نَـبْـكي الـدِّيـار كـمـا بـكـى ابــنُ حَــزامِ[5]

وإذا عرَّجوا كانَ التّعريجُ أشقَّ على الرّاكب[6] والرّكابِ من الوقوفِ، لأنَّ لها في الوقوفِ حيث انتهت راحةً والتَّعريج فيهِ زيادةٌ في تَعبها، وكلَالها، وإنْ قلّت المسافة، [كما قال أبو تمّام][7]:

[الطويل]

وَمــا بِــكَ إركـابــي مِــنَ الـرُّشــدِ مَـركَـبًـا

أَلا إِنَّمـــا حـــاوَلــتَ رُشـــدَ الـرّكـائِـبِ

(١) في الموازنة ١: ٤٣٢: (وإنْ كانت واقعة على سنن طريقهم).
(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل. والأربُ: الحاجة والمقصد.
(٣) ديوانه، ق٨، ب٤، ص٤٧٤، وروايته ثمَّة: (... ابن خِذام...). وهذا الاسم روي (ابن حِذام)، و(ابن حِزَام)، و(ابن خِزام) و(وابن حمام). وهو رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس فاقتفى هذا أثره. عُوْجا: اعطِفا رواحلكما. الطَّلل المحيلُ: آثَارُ الديار التي مرَّ عليها حَوْل كامل.
(٤) في ديوانه، صنعة الأعلم: ١١٤: (لأنّنا).
(٥) في الموازنة: (ابن حِذام).
(٦) في الموازنة ١: ٤٣٤: (علَى الرّكْب...).
(٧) ما بين حاصرتين مطموس في الأصل: والبيتُ من القصيدة ١٥ التي يمدح بها أبا دلف العجلي، وهو في ديوانه ١: ٢٠٠، والموازنة ١: ٤٣٤.






لأنّ هذا القولَ منه دَلَّ على التَّعْريج والتردّدِ في الرسومِ، أو أنَّ صاحبَهُ أراد أنْ يستمرّ في السَّيْرِ ولا يترفقَ[1] بالوقوفِ فيعود ذلك عليها بضررٍ في العاقبةِ، وإنْ أكْسبها راحةً ما في الوقوفِ، فقال [له][2] أبو تمّام: إنّما حاولْت «رُشْدَ الركائبِ» لا رُشْدي: فأمّا الأَصْمعيُّ[3] فإنّهُ يَرَى أنّ[4] التّعريجَ أيضًا وقوف لا عدولٌ[5] وقال[6] أبو حاتم[7]: قلتُ لهُ: ما معنى عرِّجْ؟ قال: قِفْ، فقلتُ: أفيُقال[8]: عرِّجَ إذا عَدَلَ؟ قال: لا، وأنشدَ بيتَ ذي الرمَّة[9]:

[البسيط]

يـا حَـادِيَـيْ بِـنـتِ فَـضّـاضٍ أَمـا لَـكُـما
حَـتَّـى نُـكَـلِّـمَـهـا هَــمٌّ بِـتَـعـريـجِ[10]

[٩/ب] أيْ: همٌّ بوقوفٍ، وهذا لا يمنَعُ أَنْ يكون همَّ بعدولٍ، ونفسُ الإشفاقِ[11] يدلّ على العُدُول، [واللهُ أعلمُ].

---

(١) في الأصل والموازنة: (يتعوّق)، وفي إحدى نسخ الموازنة المخطوطة: المكث الطويل، والأصحاب يريدون الاستمرار في السير، والترفّق يعني الوقوف اليسير، والله أعلم.

(٢) زيادة من الموازنة ١: ٤٣٤.

(٣) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع: أحد أئمة الأدب وغريب اللغة ونوادرها. روى عن أبي عمرو بن العلاء وغيره. وثَّقه ابن معين فقال: ولم يكن ممن يكذب. توفي سنة ٢١٥ أو ٢١٦ هـ. ترجمته في: بغية الوعاة ٢: ١٢٢ و١١٣، ترجمة رقم ١٥٣٧.

(٤) ليست في الموازنة.

(٥) في الموازنة ١: ٤٣٤: (وقوفًا لا عدولًا)، وهذا بناء على المفعولية لـ (يرى).

(٦) في الموازنة ١: ٤٣٤: (قال).

(٧) هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم، أبو حاتم السِّجِسْتانيّ: كان إمامًا في العربية وعلوم القرآن والشعر. قرأ كتاب سيبويه على الأخفش، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد وغيرهما. كان جمّاعًا للكتب يتاجر فيها، وهو معدود من الثّقات في رواية الحديث أيضًا. من كتبه إعراب القرآن، ولحن العامة، والنّخْل، والمذكر والمؤنث، وغيرها. توفي سنة ٢٤٨ هـ. ترجمته في: بغية الوعاة ١: ٦٠٦ (ترجمة رقم ١٢٨٧).

(٨) في الموازنة ١: ٤٣٤: (يقال).

(٩) ديوان ذي الرّمة، ق٣٠، ب١، ص٩٨١. وانظر تخريجه القصيدة (٣٠)، ص٢٠٠٧.

(١٠) بنت فضاض: امرأة من بكر وائل. التعريج: الوقوف.

(١١) في الموازنة ١: ٤٣٥: (الاشتياق).





وقالَ كثِّيرُ يصفُ السَّيْلَ(١):

[المتقارب]

فــطَــورًا يــســيــلُ](٢) عــلــى قَــصْــدِهِ
وطَـــــوْرًا يـــعـــرِّجُ ألّا يــســيــلا(٣)

فلو كانَ هناكَ قَصْدٌ إلى الدّارِ من [جماعتهم أو منه وحده لما](٤) لامُوهُ ولا عنّفوهُ على احْتِباسِهِ وإطالته(٥)، ولا اسْتَعْجلُوهُ وهو دائبًا يَسْألهم(٦) التلوّمَ عليهِ والتوقُّفَ معَهُ. فهذه(٧) طريقةُ القومِ في الوقوفِ على الدِّيَارِ، ولهمْ فيها منَ الأشعارِ ما هو أشْهَرُ وأكثرُ منْ أنْ أَحْتَاجَ إلى ذكْرِهِ، وتلك سبيلُ سَائر المحدثين وطريقةُ الطّائييْن ما عَدلا عنها ولا خَرجا إلى غيرها، أَلا تَرى إلى قوْل أبي تمّامٍ(٨):

[الكامل]

مــا فــي وُقــوفِــكَ ســاعَــةً مِــن بــاسِ
نَـقـضـي ذِمــــامَ الأَربُــــعِ الأَدراسِ

كيفَ سألَ صَاحَبهُ أَنْ يقفَ عليهِ ساعةً، ثم قَالَ بعدَ بيتٍ آخرَ(٩):

[الكامل]

(١) ديوان كُثيِّر، ق٧٩، ب١٢، ص ٣٩٢، والموازنة ١ : ٤٣٥، والمخصّص ٩ : ١٢٨ مع بيت سابق من غير نسبة.
(٢) ما بين حاصرتين مطموس في الأصل، والتكملة عن الموازنة.
(٣) طورًا : تارةً. القَصْدُ : استقامة الطّريق والاعتماد.
(٤) فيما بين حاصرتين مطموس في الأصل، والتكملة عن الموازنة ١ : ٤٣٥.
(٥) في الأصل (إصالته) لطمس أصاب حرفها الأوّل.
(٦) في الأصل : (يسلهم).
(٧) في الموازنة ١ : ٤٣٥ : (وهذه).
(٨) سبق تخريجه.
(٩) ديوانه، ق٨١، ب٣، ٢ : ٢٤٣، والموازنة ١ : ٤٣٥. الوسْنان : النّاعسُ، واستعاره ههنا للهوى، وأبو تمّام أول مستعمل لهذه الصّورة. اليَبَس : الأرض التي لا ماء فيها ولم يصبْها المطر، يقول : «لا يُسْعدُ المشتاقَ إلا مشتاقٌ مثلُه، فأمّا مَنْ هواه ضعيفٌ ومدامعُه فاقدة للبكاء فهو سالٍ لا يُعينُ باكيًا». شرح ديوان أبي تمام ٢ : ٢٤٣.



لا يُسعِدُ المُشتاقَ وَسنانُ الهَوى
يَبسُ المَدامِعِ بارِدُ الأَنفاسِ

وقوْله[1] [أيضًا][2]:

[الكامل]

لا تَمنَعَنّي وَقفَةً أَشفي بِها
داءَ الفِراقِ فَإِنَّها ماعونُ[3]

وقول البحتريّ[4]:

[الكامل]

يا وَهبُ هَب لِأَخيكَ وَقفَةَ مُسعِدٍ
يُعطي الأَسى مِن دَمعِهِ المَبذولِ

وقوْله[5]:

[الخفيف]

قِف بِها وَقفَةً تَرُدُّ عَلَيها
أَدمُعًا رَدَّها الجَوى أَنضاءَ

---

(١) ديوانه، ق١٦٧، ب٣، ٣: ٣٢٣، والموازنة ١: ٤٣٥.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة عن الموازنة ١: ٤٣٥.

(٣) الماعونُ: ما كان سهلًا يسيرًا من الأشياء، ويسمَّى الماء ماعونًا، وكذلك يسمَّى به العطاء السَّهل. وعند أهل الجاهلية هو اسم لكل ما ينتفعُ به من فأس وغير ذلك، وهو مشتق من (المَعْن)، وغدا في الإسلام يطلق على ما كان طاعة وحُسْنًا من المنافع. ومن أقوالهم: ماله سَعْنٌ ولا مَعْنٌ، وروي: ماله سَعْنَةٌ ولا مَعْنَة. والسَّعْنُ والسّعنة: الطعام الكثير، والمعْن: الشيء اليسير، ومعناه: مالَهُ قليلٌ ولا كثير، =وقيل: ماله وعاء من خوص ولا ركوة. انظر: شرح ديوان أبي تمام ٣: ٣٢٣ و٣٢٤، والتنبيه على أبي علي في أماليه: ٢٨٤، ومجمع الأمثال، المثل ٣٨٠٦، والمستقصى في الأمثال، المثل رقم ١٢١٢، و٣١٢٥، واللسان (سعن، معن)، ومعجم الأمثال العربية، المثل رقم ٩١٢٧.

(٤) ديوانه، ق ٦٤٥، ب٣، ١٦٥٨، وهي قصيدة في مدح الفضل بن إسماعيل الهاشمي، ومطلعها:
صبٌّ يخاطِبُ مفحِماتِ طلول من سائلٍ باكٍ ومن مسؤولِ

(٥) ديوانه، ق٢، ب٦، ١: ١٤، والموازنة ١: ٤٣٦ وروايته: (... ردها الهوى)، والمنازل والديار: ٨٩ مع بيت آخر. الأنضاء: جمع نِضْو، وهو المهزول من الإبل وغيرها.



وقوله[١]:

[الكامل]

مــاذا عَـلَـيـكَ مِــنَ انـتِـظـارِ مُـتَـيَّـمٍ
بَــل مــا يَــضُــرُّكَ وَقــفَــةٌ فــي مَــنْــزِلِ

[١٠/أ] وقوله[٢]:

[الخفيف]

خَــلِّــيــاهُ وَوَقــفَـــةً فـــي الــرُّســوم
يَــخــلُ مِــن بَــعــضِ بَــثِّــهِ الــمَـكــتــومِ

ثمّ إنّا ما علمنا أحدًا قَصدَ دارًا عفتْ منْ شقّةٍ بعيدة، واحدًا كان أو في جماعةٍ للسَّلامِ[٣] عليها والمسألةِ لها، ثمّ انصرفوا راجعِينَ منْ حيثُ جاؤوا، فإنّ هذا ما سُمِعَ بهِ، ولا هو منْ أغراضهم؛ إذْ ليس فيه جَدْوى ولا يؤدِّي إلى فائدةٍ؛ لأنّ المحبوبَ إنْ كانَ حَيًّا موجودًا فقصْدُ رباعه ومَواطِنه التي هُوَ قَاطنها والإلمامُ بِهِ فيها أَوْلى وأَجْدى، وإنْ كانَ مَيْتًا فالإلمامُ بنَاحيةِ الأَرْضِ الّتي فيها حُفْرَتُه أَوْلى وأَحْرى، وعلى أَنَّهم لا يكادُونَ يزُورونَ القبورَ، وإنَّما وَقَفوا على الدِّيارِ وعرَّجُوا عليها عند الاجْتيازِ بها والاقْتراب منها؛ لأَنَّهم تذكّروا عنْدَ مشارفها أوطارهم فيها، فنازعتهمْ نفوسُهم إلى الوُقُوفِ عليها والتّلوّمِ بها[٤]، ورَأَوْا أنّ ذلكَ مِنْ كَرمِ العَهْدِ وحُسْنِ الوَفاءِ، أَلَا تَرَى إلى قَوْل أبي تمّام[٥]:

---

(١) البيت في ديوانه، ق٦٧٤، ب٧، ١٧٣٩، والموازنة ١: ٤٣٦، وإعجاز القرآن: ٢٢٤-٢٢٥ مع بيت ثانٍ. قال الباقلّاني: «لستُ أنكر حُسْنَ البيتين وظرفهما، ورشاقتهما ولطفهما، وماءهما وبهجتهما، إلا أنّ البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدّم ضربًا من الانقطاع... ثمَّ الذي ذكره من الانتظار... وإن كان مليحًا في اللفظ – فهو في المعنى متكلّف؛ لأنّ الواقف في الدار لا ينظر أمرًا، وإنّما يقفُ تحسُّرًا وتلّددًا وتحيّرًا. والشطر الأخير من البيت واقع، والأوّل مستجلب، وفيه تعليق على أمرٍ لم يَجِدِ له ذكر، لأنّ وضع البيت يقتضي تقدّم عذْلٍ على الوقوف، ولم يحصل ذلك مذكورًا في شعره منٍ قبل».

(٢) ديوانه، ق٨٠٤، ب٦، ٢١٢٢، والموازنة ١: ٤٣٦. الرّسوم: ما تبقّى من آثار الدِّيار. البثّ: أشدُّ الحزن.

(٣) في الموازنة ١: ٤٣٦: (للتّسليم).

(٤) ساقطة من الأصل المخطوط.

(٥) ديوانه، ق٤٠، ب٥، ١: ٤٠٧، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. وهو في: والموازنة ١: ٤٣٦، وفيه (لم تزر شَوّقًا...).. ذكر ابن المستوفي رواية أخرى للبيت، وهي: (أمواقفَ القنيات... تُطْوى... لم تزرٌ...). انظر: النظام ٥: ٣٧٧. الشَّعَف: جمع شَعَفَة، وهي رأس الجبل. الصّعيد: الترابُ أو وجه الأرض، ويجمع على صُعُد وصعدات. والشّرف -على الرواية الأخرى كما في الموازنة- المكان المرتفع.



[الكامل]

أَمَــواقِــفَ الـفِـتْـيـانِ تَـطـوي لَــمْ تَــزُرْ
شـعَـفًـا وَلَـــم تَــنــدُبْ لَــهُــنَّ صَـعـيـدا

ويُرْوَى: «لم نَزُرْ شَغَفًا»، أي[١]: كيفَ نطوي هذه الرّسوم والدِّمنَ الّتي هيَ مواقفُ أهْلِ الفتوّة، يريد الكرامَ، ولم نزرْ حَزْنًا ولا سَهْلًا؛ لأنّه أرادَ[٢] بـ «الشَّعَف»: ما ارتفع من التّرابِ، وأكثرُ ما يكون فيما اطمأنَّ من الأرضِ، لا فيما عَلَا، فكانوا يرونَ الوقوفَ على الدِّيارِ منَ الفُتوّةِ والمروءةِ، وأنّ طيَّها عِنْدَ الاجتيازِ بها من النّذالةِ وقُبْحِ الرِّعايةِ وسوءِ العَهْدِ، وما أحسنَ ما قالَ أبو نُواسٍ[٣]:

[الكامل]

وَإِذا مَـــرَرتَ عَـلـى الـدِيـارِ مُـسَـلِّـمًـا
فَـلِـغَـيـرِ دارِ أُمَـيـمَـةَ الـهِـجـرانُ!

[١٠/ب] فعلى طريقة القَوْمِ المعتادة. قال البحتري يخاطبُ نفسَهُ أو صاحبًا معه[٤]:

[الطويل]

قِـفِ الـعـيـسَ قَـد أَدنـى خُـطـاهـا كَـلالُـهـا
وَسَــلْ دارَ سُـعـدى إِن شَـفـاكَ سُـؤالُـهـا

فمنْ زعمَ أنّ البحتريَّ بهذا القولِ كانَ قاصِدًا للدارِ وغيرَ مجتازٍ احتاجَ إلى دليلٍ منْ لفظِ البيتِ يدُلّ عليهِ، ولا سبيلَ له إلى ذلك.

فإنْ قيلَ: ولِمَ لا يكونُ للمطيّةِ حقٌّ على مَنْ بلّغتْهُ منازلَ الأحبابِ يوجبُ أنْ يكرمَها ويريحَها كما قال أبو نواس[٥]:

---

(١) مطموسة في الأصل.

(٢) مطموسة في الأصل.

(٣) ديوانه، ب٣، ٤٠٤.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ديوانه، ب٨ و٩، ٤٠٨، والموازنة ١: ٤٣٨ ومحاضرات الأدباء ٢: ٣٤٩. ومحمّد الممدوح في القصيدة هو الأمين ولد هارون الرَّشيد الذي بويع بالخلافة في جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ، وكان مقتله يوم الأحد لخمس خَلَون من سنة ١٩٨ هـ.



[الكامل]

وَإذا الـمَطِيُّ بِنا بَلَغنَ مُحَمَّدًا
فَظُهورُهُنَّ عَلى الرِّجالِ حَرامُ
قَرَّبنَنا مِن خَيرِ مَن وَطِئَ الحَصى[1]
فَلَها عَلَينا حُرمَةٌ وَذِمامُ

قِيلْ: هذا أَصْل آخرُ[٢] طريقُه غيرُ طريقِ الوقوفِ على الدِّيارِ، ولا يُقَاسُ أَصْلٌ على أَصْلٍ، وإنّما يُقَاسُ على الأَصْلِ فروعُهُ التي تتفرّع منهُ، وهذا الشّرطُ في كلِّ علمٍ[٣].

وقال أبو نواس في موقعٍ آخر يخاطبُ ناقتَهُ[٤]:

[الوافر]

فلم أجعلك للغِرْبان نُحْلا[٥]
ولم أقُلِ: اشْرقي بِدَمِ الوتينِ

يريدُ قَوْلَ الشمّاخِ، والشَّمَّاخُ إنّما قالَ[٦]:

[الوافر]

إذا بلّغتِني وحَمَلْتِ رَحْلي
عَرابةَ، فاشْرقي بدمِ الوتينِ

لأنّهُ رَأَى ناقَتَهُ قَدْ شفّها السّيْرُ وهزلها وأنضاها حتّى دَبِرَتْ، وذلك قَوْلُه[٧]:

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٤) ديوانه، ب٨، ص ٣٢، والموازنة ١: ٤٣٨ وكتاب الصناعتين: ٢١١، ومحاضرات الأدباء ٢: ٣٤٩ ضمن ثلاثة أبيات.

(٥) مطموسة في الأصل. والنُّحْلُ: الهبَةُ والعطيّة. الوَتين: عِرْق في القلب إذا انقطع مات صاحبه، وهو نياط القلب، ويجمع على أوتنة ووُتُن. الشّرق: الغُصّة والاختناق.

(٦) ديوان الشمّاخ بن ضرار الذّبياني، ق١٨، ب٨، ٣٢٣، وانظر تخريجه مفصّلًا في الصفحة ٣٤٧، وهو في: الموازنة ١: ٤٣٨.

(٧) ديوانه، ق١٨، ب٩، ٣٢٤. الرّاحلة: ما يختاره الرجل من الإبل لركوبه، تشكّى: تتشكّى وحذفت التّاء تخفيفًا. الكُلوم: الجروح. المقْحد والمحَقَد: السَّنام أو أصل السّنام. وفي رواية أخرى في كثير من المصادر: (محفِدها)، وهو أصل السّنام.



[الوافر]

إلـــيـــكَ بـــعـــثـــتُ راحـــلـــتـــي تـــشـــكّـــى
كُـــلـــوُمًـــا بـــعـــدَ مَـــقْـــحـــدهـــا الـــسَّـــمِـــينِ

[١١/أ] فيقول: إذا بلغتنيهِ بهِ فلا أُبالي أنْ تَهلكي، وهذا ليسَ بدعاءٍ عليها، وإنّما أرادَ أنّك إذا بلّغتنيه فقدْ بلغتُ الفتى، وأدركت العوضَ منك، فهذا مَعْنى، وقولُ أبي نواسٍ لَهُ معْنىً آخرُ، وليسَ بضدِّ قول[1] الشمّاخِ، وإنّما يضادّه قَوْلُ المرأةِ الّتي قالتْ[2]: «يا رسولَ اللهِ! إنّي نَذَرْتُ إنْ بلّغتْني ناقَتي هذهِ إليكَ أنْ أنحرَها»، فقالَ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليه وسلّم-: «لبئسَ ما جَزَيْتها»؛ لأنّ هذهِ قصدتْ أنْ جعلت جزاء التبليغ النَّحْر؛ فهذان المعنيان يتضادان، وقَوْل الشمّاخ خارجٌ عنهما؛ لأنّهُ أصلٌ ثالث.

والوجه الذي جاء به البحتريُّ في الوقوف على الديار، وتحرَّز من مثلهُ عنترةُ وذو الرّمّة، غير هذهِ الوجوه، وطريقة غير هذه الطّرق، ولم أقلْ: إنّه خطأ، وإنّما قلتُ: إنّ المعنى غير جيِّدٍ، فإن التمسنا العذْر للبحتريّ قلنا: إنّه وصف حقيقة أمر العيسِ عند الوصول إلى الدّار، وهذا مذهب من مذاهبِ العربِ عامٌّ في أَنْ يصفوا الشيء على ما هو، وكما شُوهِدَ من غير اعتمادٍ لإغرابٍ ولا إبداع، فربّما وردَ هذا الوجْهُ على ألسنتهم أحسنَ من كلِّ معنى بديعٍ مستغربٍ، وربّما وقع فيه مثل هذا الخلل لقلّة التحرّز.

وسترى البحتريّ وغيره في هذا الكتاب من هذا النّوع في مواضعه ما هو أجود من كلِّ هذا، إنْ شاءَ اللَّهُ، تعالى[3].

---

(١) في الأصل: «بضد القول الشمَّاخ».
(٢) الحديث في الروض الأُنُف ٧: ٣٥، وسمط اللآلي ١: ٢١٨.
(٣) ليست في الموازنة.





وقال البحتريُّ[١]:

[الكامل]

عــرِّج بــذي سَــلَــمٍ فـفـيــهِ[٢] المــنــزِلُ

فــيــقــولُ صـــبٌّ مـــا أراد ويــفْــعَــلُ

وهذا ابتداءٌ جيِّدٌ، وقد رواه قوْمٌ: «ليقولَ صبٌّ ما أراد ويفَعلُ»، والنَّصبُ أَجْودُ في الروايتين، والرّفع له وَجْهٌ، والمتأخّرون لا يكادونَ يسْلمونَ من اللحْنِ، وهو في أشعارهِم كثيرٌ جدًّا.

وقال[٣]:

[البسيط]

كَـم مِـن وُقــوفٍ عَـلـى الأَطــلالِ وَالـدِّمَـنِ

لَـم يَـشْـفِ مِـنْ بُـرَحـاءِ الـشَّـوقِ ذا شَجَـنِ

[١١/ب] وهذا ابتداءٌ جيِّدٌ أيضًا[٤].

وقال [أيضًا][٥]:

[البسيط]

اسـتـوقِـفـا[٦] الـرّكْـبَ في أطـلالـهـمْ وقِـفـا

وإنْ أجـــدَّ بِــلَــى مــأثــورِهـــا وعَــفَـــا

---

(١) ليس في ديوانه هذا المطلع، وقد أورده الآمدي في مقدّمة كتابه الموازنة ١: ٢٩، وروايته: (ليقولَ....). ثمَّ ذكره في ١: ٤٣٩ برواية: (.... فيقول صبٌّ...).

(٢) في الموازنة: فثمّ.

(٣) في الموازنة: (وقال أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٨١٤، ب١، ص٢١٥٨، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الحسن بن مَخْلد، وهو في الموازنة ١: ٤٤٠.

(٤) في الموازنة ١: ٤٤٠: (وهذا أيضًا ابتداءٌ جيّد).

(٥) زيادة عن الموازنة ١: ٤٤٠. والبيت في ديوانه، ق٥٦٥، ب١، ص ١٤٣٦، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن صفوان العقيلي، وهو في الموازنة ١: ٤٤٠.

(٦) في الموازنة: (استوقفِ...).



يُقَالُ: جدَّ في أمره من الانكماش وأجدَّ. وهذا ابتداء صالحٌ.

[وقال][1]:

[الطويل]

قِفَا في مغاني الدّار نسْألْ طلولَها
عن النّفَر اللائين كانوا حلولَها

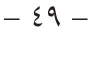
وليسَ هذا الابتداءُ بالجيِّد من أجْلِ قوْله «اللائين»؛ لأنّها لفظة ليستْ بالحلوة ولا مشتهاة[2].

فهذه[3] ما ابتدأ[4] به من ذكْر الوقوف، وأجعلُهما فيه متكافئين من أجل براعة بيتي البحتري الأوّلَيْن، وأنهما أجْود من سائر أبيات أبي تمّام، ولأنّ للبحتريِّ في هذا[5] الباب التّقصيرَ الذي ذكرتُه وليسَ لأبي تمّامٍ مثله. انتهى[6].



****

(١) الكلمة مطموسة في الأصل، واستكملت من الموازنة. البيت في ديوانه، ق٦٨٧، ب١، ص١٧٩٢، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الصقر. والبيت في: الموازنة ١: ٤٤٠.
(٢) في الموازنة: (وليست مشهورة).
(٣) في الموازنة ١: ٤٤٠: (فهذا ...).
(٤) في المخطوط: (ابتدأى).
(٥) ليست في الموازنة.
(٦) ليست في الموازنة.





الفصل الثّاني

في ذكر ما قالاه في السّلام على الدِّيار[1]

قال أبو تمَّام[2]:

[الكامل]

دِمَـــنٌ أَلَـــمَّ بِـهـا فَـقــالَ: سَـــلامُ

كَـم حَـــلَّ عُــقــدَةَ صَــبــرِهِ الإِلمــامُ

هذا المصراعُ الأوّل في غاية الجودة والبراعة، والحسن والصحة والحلاة، وعجز البيت[3] جيِّدٌ بالغٌ.

وقال[4]:

[البسيط]

سَلِّم عَلى الـرَبـعِ مِن سَلمى بِـذي سَلَمِ

عَـلَـيـهِ وَسـمٌ مِـنَ الأَيّــامِ وَالـقِـدَمِ

وهذا ابتداء ليسَ بالجيِّد؛ لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظٍ، وإنّما يحسُن إذا كان بلفظتين، وقد جاء مثلُه في أشعار النّاس، والرديء لا يؤتمُّ به، قال الأُبَيْرد بن المعذَّر[5].

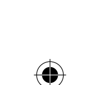
(١) في الموازنة ١: ٤٤١: (التسليم على الديار).

(٢) ديوانه، ق١٣٣، ب١، ٣: ١٥٠، وهو مطلع قصيدة في مدح المأمون، وهو في: الموازنة ١: ٤٤١.

(٣) في الموازنة ١: ٤٤١. (وعجز البيت أيضًا...).

(٤) ديوانه، ق١٣٧، ب١، ٣: ١٨٤، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق، وهو في: الموازنة ١: ٤٤١. ذو سَلَم: موضع، الوَسْم: العلامة.

(٥) في الأصل: المعدَّل، والتصحيح عن: المؤتلف والمختلف: ٢٤، والموازنة ١: ٤٤١.





الرياحي[1]:

[الطويل]

جَزِعْتَ ولم تجزعْ من البَيْنِ مَجْزعا
وكنتَ بذكر الجعفريَّة مولعا

[١١/أ] وقد جعل بعض الرّواة هذا البيت أوّل قصيدة لامرئ القيس[2] على هذا الوزن، وذلك باطل[3]. وما ينبغي للمتأخّر أن يحتذي إلا[4] على حَذْو الجيِّدِ المختار لسَعةِ مجالهِ وكثرة أمثلته.

وقال البحتريُّ[5]:

[الكامل]

هَذي المَعاهِدُ مِن سُعادَ فَسَلِّمِ
وَاسأَل وَإِن وَجِمَت فَلَم تَتَكَلَّمِ

وقال أيضًا[6]:

---

(١) هو: الأُبَيْرِد بن المعذّر بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع، من بني زيد مناة بن تميم. عاش في صدر الإسلام وصدر العصر الأموي. كان شاعرًا بدويًا فصيحًا. ويقال له: الأبيرد اليربوعي أيضًا. ترجمته في الأغاني ١١: ١٤-١٥، والمؤتلف والمختلف: ٢٤. الجزع: الخوف. المَجْزَع: مصدر ميمي بمعنى الجزع. البين: الفراق. والخطاب في جزعتَ للشاعر يخاطب نفسه.

(٢) في ديوان امرئ القيس: ق٣ من زيادات الديوان، ص٢٤٠.

جزعتُ – ولم أجزع من البين مَجْزعا ... وعزَّيتُ قلبًا بالكواعب مولعا

ولم أقف على بيت الأبيرد الرياحي في مصادري. ولعله من قصيدة أوردها القرشي في حماسته: ٢٢٧، ومنها:

إذا ذكرت نفسي بُريدًا تحاملتْ ... إليَّ، فلم أملك لعيني مدمعا
وذكَّرنيك الناس حين تحاملوا ... عليَّ وأضحوا جلدَ أجربَ مولعا
فلا يبعدنك الله خير أخي امرئٍ ... فقد كنت طلَّاعَ النِّجاد سَمَيْدَعا

(٣) ورد هذا البيت في زيادات نسخة الطوسي من الشعر المنحول على امرئ القيس. انظر: ديوانه: ٢٤٠.

(٤) في الموازنة: ٤٤١: (...أن يحتذي الأخذ...)، والصوابُ ما أثبتّ.

(٥) ديوانه، ق٧٩٠، ب١، ص٢٠٨٠، من قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوي تعود إلى سنة ٢٥٥هـ، وهو في: الموازنة ١: ٤٤٢. المعهد: المنزل الذي عُهِدَ النّزول به.

(٦) في الموازنة: (وقال البحتري)، والبيت في ديوانه، ق٧٥٦، ب١، ص١٩٥٨، من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابني المدبر سنة ٢٥٧هـ.

[الكامل]

أَمَحَلَّتَيْ سَلمى بِكاظِمَةَ اسلَما
وَتَعَلَّما أَنَّ الجَوى ما هِجْتُما

وهذان ابتداءان جيِّدان.

وقال البحتريُّ[1]:

[الكامل]

حُيِّيتُما مِن مَربَعٍ وَمَصيفِ
كانا مَحلَّيْ زَينَبٍ وَصَدوفِ

وهذا ابتداءٌ صالح.

وقال البحتريُّ[2]:

[البسيط]

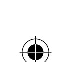
ميلوا إِلى الدَّارِ مِن لَيلى نُحَيِّيها
نَعَم، وَنَسأَلُها عَن بَعضِ أَهليها

وهذا بيتٌ رديءٌ لقوله: «نعم»، وليس بالمعنى إليها حاجة، فجاء بها حَشْوًا. ومن الحشو ما لا يقْبُح، و«نعم» ههنا، قبيحة، وقد أُولعَ بها كثيِّر بن عبد الرحمن في ابتداءاته، فقال[3]:

(١) ديوانه ٣: ١٣٩٩، ب١، ق٥٥٣. وزينب وَصدوف: اسما امرأتين يتغزل بهما البحتري.

(٢) ديوانه، ب١، ق٩١٥، ٢٤١٤، وهو مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل، ويعود تاريخها إلى ٢٤٧ هـ.
قال الصولى: «وسمعت عبد الله بن المعتز يقول: لو لم يكن للبحتري من الشعر إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى، فليس للعرب سينية مثلها، وقصيدته في وصف البركة (ميلوا إلى الدَّار...) لكان أشعر الناس». أخبار البحتري: ٧٢، والبيت في الموازنة: ٤٤٢، وصدره في ديوان المعاني ١: ٢١٨، وهو في: المنازل والديار:٣٣٩، والمثل السائر: ٢٦٥، والصّبح المنبي: ٤٠٤ صدره فقط.

(٣) ديوان كثيِّر، ق٨٧، ب١، ص٤٢٦، والموازنة ١: ٤٤٢، ومعجم ما استعجم ٢: ٤٩٥، ومعجم البلدان ٢: ٣٦٤ (خريق)، وانظر تخريجها في ديوان كثير ص٤٢٨. والخريقُ في الأصل: المطمئنُّ من الأرض وفيه نبات، ويجمع على خُرُق مثل كُتُب، والخَريق أيضًا الريح الشديدة أو الخفيفة (من الأضداد). وهي هنا اسم موضع قال عنه البكري: (...موضع مذكور في رسم الجبى).



[الطويل]

أَمِـــن أُمِّ عَـمـرو بِـالخَـريـقِ دِيـارُ
نَـعَـمْ دارِســـاتٌ قَـد عَـفَـونَ قِـفـارُ

وقال[1]:

[الطويل]

أمِـنْ آل سَـلْـمـى الـرسمَ أَنـتَ مسائـلُ؟
نَـعَـم والمـعـانـي قـد درسْـــنَ مـواثـلُ

وقال[2]:

[الطويل]

أَهــاجَــكَ لَـيـلـى إِذ أَجَـــدَّ رَحـيـلُـهـا
نَـعَـم، وَثَـنَـت لَمّـا احـزَأَلَّـت حُـمولُـهـا

[١٢/ب] وقال[3]:

[الطويل]

أَبــائِــنَـــةٌ سُـــعْـدَى نَـعَـمْ سَـتَـبِـينُ
كَـمـا انـبَـتَّ مِـن حَـبـلِ الـقَـريـنِ قَـريـنُ

وهي في كلِّ هذه الأبيات رديئة[4]، وموضعُها من هذا البيت الأخير أصلحُ؛ لأنَّ إسقاطها من الجميع يحسنُ ولا يحتاج الاستفهامُ فيها إلى جواب، إلّا هذا البيت، وأنّ هذا الاستفهام فيه يقتضي أن يكون (نَعَمْ) جوابًا له، ومع هذا فليس لها حلاوةٌ، ولا حُسْنٌ ولكُثيِّرٍ استفهاماتٌ لا جوابَ لها على عاداتِ الشّعراءِ المحسنينَ، منها قوله[5]:

---

(١) ديوان كثيِّر، ق١٠١، ب١، ص٤٥٥، والمنازل والديار: ١٨٠، والموازنة ١: ٤٤٣.

(٢) ديوان كثيِّر، ق٣٣، ب١، ص٢٥٩، والموازنة ١: ٤٤٣. احزألتّ: ارتفعتّ.

(٣) ديوان كثيِّر، ق١٢، ب١، ص١٧٠، والموشَّى: ١٠٦، والعقد الفريد ٦: ٢١، والموشح: ٢٣٨، والموازنة ١: ٤٤٣. القرين: البعير الذي رُبط بغيره وقُرن.

(٤) في خ: (رديَّة)، وهي تخفيف (رديئة).

(٥) ديوان كثيِّر، ق١٨، ص٢٠٥، والموازنة ١: ٤٤٣، وأمالي المرتضى ٢: ٣٣. الدّخول، وحومل: موضعان ذكرا في معلقة امرئ القيس.

[الكامل]

أَمِـــنَ آلِ قَـيـلَـةَ بِــالـدَّخــولِ رُســـومُ
وَبِـــحَـــومَـــلٍ طَــلَــلٌ يَــلــوحُ قَــديمُ

وكلُّ أبياتِ كثيِّر أجودُ منْ بيتِ البحتريّ؛ لأن (نَعَمْ) فيها جوابٌ، وهي في بيت البحتريّ حَشْوٌ. وقال البحتريُّ في بيته: «نُجيبُها»، والأجود «نجبْها» جزمٌ؛ لأنّهُ جوابُ الأمْرِ، وقد يكونُ نجيبُها رفعًا على الحال، والجواب[1] -ههنا- أَجْودُ منَ الحال، فهذا ما أوردتهُ من تسْليمهما على الدِّيارِ، وأبو تمّام عندي في قوله[2]:

[الكامل]

دِمَـــــــنٌ أَلـــــمَّ بِــهــا فــقــالَ: ســلامُ
....

أشعرُ من البحتري في سائرِ أبياتهِ.

وما سمعتُ في التّسليم أعلى من قَوْل أبي نواس[3]:

[الكامل]

وَإذا مَـــرَرتَ عَـلـى الـدِيــارِ مُـسَـلِّـمًـا
فَـلِـغَـيـرِ دارِ أُمَـيـمَــةَ الـهِـجـرانُ!

****

(١) أي جعل الفعل جوابًا للطلب أحسن من جعله منصوبًا على الحال.
(٢) سبق تخريج البيت بتمامه. والشطر في الموازنة ١: ٤٤٤.
(٣) ديوانه: ٥٨، من قصيدة يمدح بها الرشيد، وهو في: الموازنة: ٤٥٧.



الفَصْلُ الثّالثُ

في ذكر(١) تعفيةِ الدّهورِ والأزمانِ للدِّيارِ

قال أبو تمَّام(٢):

[الطويل]

لَقَد أَخَذَتْ مِن دارِ ماوِيَّةَ الحُقْبُ
أَنُحلُ المَغاني لِلبِلى هِيَ أَم نَهبُ(٣)

[١٣/أ] أراد: أَنحْل المغاني هي للِبلى، فحذف التنوين، والحْقبُ: الدهر وجمعه: أحْقابٌ والحِقَبُ: السِّنون، واحدتها: حِقْبةٌ، وقال: لقد أخذتْ، فأنّثَ(٤) الفعلَ و(الحُقْبُ) مُذَكّرٌ، وأظنُّهُ أراد أيّام الدّهر ولياليه ويقال: الحقْبُ ثمانون سنة، فعلى هذا قال: أخذتْ فأنّثَ.

وقال أبو تمّام(٥):

[البسيط]

---

(١) في الموازنة: ٤٤٥: (ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدّهور والأزمان للديار).

(٢) ديوانه، ق١٤، ب١، ١: ١٧٧ في مديح خالد بن يزيد الشيباني. وهو في الموازنة ١: ٤٤٥.

(٣) ماويّة: اسم من أسماء النساء، والماويّة أصلًا المرآة، وتجمع على (ماويٍّ). القاموس المحيط (موه). الحُقْبُ: بضم الحاء وسكون القاف أو بضمِّهما: مقدار ثمانين سنة أو أكثر، وقيل: ثمانون سنة. قال التبريزي: «والصحيح أنَّ الحقْبَ برهة طويلة لا حدَّ لها». شرح ديوان أبي تمام ١: ١٧٧.

(٤) قال الخطيب: «وأنّث على معنى البُرْهة والمدَّة؛ لأن تذكير الحقْب غير حقيقي، وهذا أوجه من أنْ يقال: الحُقْب: جمع حِقْبة إذا أريدَ بهما السّنة؛ لأن (فِعْلة) قلَّما تجمع على (فُعْل)». شرح ديوان أبي تمام ١: ١٧٧.

(٥) ديوانه، ق١٨، ب١، ١: ٢٣٩ من قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيّات. وهو في الموازنة ١: ٤٤٥.





قَـد نـابَـتِ الجِـــزعَ مِـن أُرْوِيَّـــةَ الـنُّـوَبُ
وَاستَـحقَبَتْ جِـدَّةً مِن رَبعِـها الحِـقَبُ[1]

قوله: (واستحْقَبتْ): أيْ جَعلتِ الحِقَبُ وهي السّنون جدّةَ الرّبْع في حقيبتها والحقيبةُ: ما يحتَقِبُهُ الراكبُ وهو وعاءٌ يجعلُه خَلفَه إذا ركبَ ويُحْرزُ فيهِ مَتَاعَه وزادَهُ، وهذه استعارةٌ حسنةٌ، وإنّما يريدُ أنّ الحِقَبَ سَلبتِ الرّبْع جدّتَهُ، وذهبتْ بها.

وقال البُحْتريُّ[2]:

[الكامل]

أَرُسـوُمُ دارٍ أَم سُـطـورُ كِـتـابِ
دَرَسَـتْ بَـشـاشَـتُـها عـلـى الأَحـقـابِ؟

أي: على مرِّ السِّنين. وهذا البيتُ أبْرعُ من بيتَيْ أبي تمّام لفظًا وأَجْود سبكًا، وأكثرُ ماءً ورَوْنقًا، وهو من الابتداءاتِ النّادرةِ العجيبةِ المشْبِهة لكلامِ الأوائلِ، فهو فيه أشْعرُ من أبي تمّام.

وفي[3] إقواءِ الدّيارِ أَيْضًا وتعفِّيها قالَ أبو تمّام[4]:

[الكامل]

(١) قال الخطيب: «... وقوله: (منْ أُرْوِيّة) فيه حذف، كأنه قال: من منازل أُرْوِيَّة، أو من أجزاعها، أو نحوها، ليصحّ دخول (مِن) إذا كانت للتبعيض». شرح ديوان أبي تمام ١: ٢٣٩. نابت: أصابت. الأُرْوِيّة: اسم امرأة، والأُرويَّة: أنثى الوعل، وجمعها: أراوِيّ. الجزْعُ: منعطف الوادي ووسطه أو منقطعُه أو منحناه. قال الفيروزأبادي فيما ينقله عن أبي عبيدة: «... ولا يُسمَّى جزعًا -وأبو عبيدة يرى أنه بفتح الجيم- حتَّى تكون له سَعَةٌ تنبتُ الشجر، أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، وربما كان رملًا». القاموس المحيط (جزع).

(٢) ديوانه، ق١٠٣، ب١، ١: ٢٩٤ في مدح أبي الخطاب الطائيّ ورواية عجزه في الديوان: (.... درسَتْ بشاشتُها مع الأحقاب). والبيت في الموازنة ١: ٢٩٤، وزهر الآداب: ٢٧٦، والمنازل والديار: ٢٨١. البشاشةُ: طلاقةُ الوجْهِ، يقال: «أَبَشَّت الأرضُ: التفَّ نبتُها أو أَنْبتتْ أوَّل نباتها». القاموس المحيط (بشش).

(٣) هذه بداية فصل جديد في الموازنة ١: ٤٤٧.

(٤) ديوانه، ق٤٠، ب١، ١: ٤٠٥ والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني. وهو في: الموازنة ١: ٢١٦ و١: ٤٤٧.





طَـلَـلَ الجَـمـيـعِ لَـقَـدْ عَـفَـوتَ حَـمـيـدا
وَكَـفـى عَـلـى رُزئـي بِـذاكَ شَـهـيـدا

أراد: وكفى بأنّه مضى حميدًا شاهدًا على أني رزئت[1]. وقد استقصيت الكلامَ في هذا فيما تقدّمَ من أغاليطِ أبي تمَّام.

وقال أيضًا[2]:

[الطويل]

أَجَـلْ[3] أَيُّـهـا الـرَّبـعُ الَّـذي خَـفَّ اَهِـلُـه
لَـقَـدْ أَدرَكَـتْ فـيـكَ الـنَّـوى مـا تُـحـاوِلُـه

[١٣/ب] وهذا أيضاَ ابتداءٌ جيّد.

وقال أيضًا[4]:

[الطويل]

شَـهِـدتُ لَـقَـد أَقـوَتْ مَـغـانـيـكُـمُ بَـعـدي
وَمَـحَّـتْ كَـمـا مَـحَّـت وَشـائِـعُ مِـن بُـرِدِ[5]

وهذا بيتٌ رديءٌ معيبٌ؛ لأنَّ الوشيعةَ والوَشَائعَ هو الغَزْلُ الملفوفُ منَ اللُّحْمةِ التي يُداخِلُها النَّاسِجُ بين السَّدى، والبُرْد الذي [قدْ] بليتْ نساجتُه ليسَ فيهِ شَيْءٌ يُسمَّى (وشيعةً) ولا (وشائعَ)، وهذا من أغاليطِهِ.

---

(١) في المخطوط كُررت عبارة (مضى حميدا ...) مرتين، ولعله سَبْقُ نظر

(٢) ديوانه، ق١١٢، ب١، ٣: ٢١، مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله. والموازنة ١: ٤٤٧.

(٣) أجلْ: كلمة بمعنى (نعم). قال التبريزي: «هذا لا يمكن أن يكون إلّا على كلام متقدّم؛ لأن (أجلْ) في معنى نَعَم، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلّا وقد سبقها كلامٌ، فكأنّه ادّعى أنّ الربع كلّمه وشكا إليه فقال له: أجل أيها الربع». ديوان أبي تمام بشرح الخطيب ٣: ٢١. خفّ آهله: ارتحل عنه أهله وساكنوه.

(٤) ديوانه، ق٥٦، ب١، ٢: ١٠٢، وهو مطلع قصيدة في مديح أبي المغيث الرافقيّ والاعتذار إليه، وهو في: الموازنة ١: ١٩٢ و١: ٤٤٧.

(٥) شهدتُ: أقسمتُ. أقوتْ: درست وامحّت. المغاني: جمع مغنى، وهو المنزلُ الذي غنَي به أهله ثم ظعنوا. محَّت: بَليتْ وأخلقت. الوشائع: جمع وشيعة، وهي الخيوط التي تُلَفّ على القصبة وتتداخل فيها اللُحْمة والسَّدى، وكل لفيفةٍ وشيعة. القاموس المحيط (وشع).



وقالَ البُحْتريُّ[1]:

[الكامل]

تِلكَ الدِيارُ وَدارِساتُ طُلولِها
طَوعُ الخُطوبِ دَقيقِها وَجَليلِها

وقالَ أيضًا[2]:

[الخفيف]

يا مَغاني الأَحْبابِ صِرْتِ رُسُوما
وَغَدا الدَهرُ فيكِ عِندي مَلوما[3]

وقال أيضًا[4]:

[الكامل]

لَم يَبقَ في تِلكَ الرُّسوم بِمَنعِجِ
إمّا سَأَلتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرَّجِ[5]

---

(١) ديوانه، ق٦٨٧، ب،١٧٦٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي. وهو في: الموازنة ١ : ٤٤٨، وصدره في: عبث الوليد : ١٨٩. الجليل: العظيم.

(٢) ديوانه، ق٧٨١، ب١، ٢٠٥٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل. والبيت في: الموازنة ١ : ٤٤٨، وصدره في: عبث الوليد : ٢١٣.

(٣) المغاني: جمع مَغْنى، وهو المنزل الذي غني بأهله ثم ارتحلوا عنه. الرسوم: جمع رَسْم، وهو ما بقي من الآثار، ويجمع على أَرسم أيضًا.

(٤) ديوانه، ق٦٢، ب١، ١٦٢، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطّوسيّ. والبيت في: أخبار البحتري: ٥٢، والموازنة ١ : ٤٤٨، وصدره في: عبث الوليد : ٧٠.

(٥) مَنْعج: وادٍ يقع بين بلاد بني عامر وبني أسد، ورد في شعر امرئ القيس وزهير وغيرهما: قال زهير:

فقُفٌّ فصاراتٌ فأكنافُ مَنْعِجٍ فشرقيُّ سَلْمى حوضُه فأجاوله

انظر: ديوان زهير: ١٢٦.

ومعرَّج: الموضع الذي يصل إليه المسافر ويحبسُ ناقته فيه. وفيه يوم من أيام العرب لبني يربوع بن حَنْظلة على بني تميم. معجم البلدان (منعج).

وقال أيضًا[(١)]:

[مجزوء الكامل]

هـــــــلا[(٢)] ســـألــت بــجــوِّ ثَـــهْـمَـدْ

طَـــلـــلًا لمــيّـــةَ قَـــدْ تـــأبَّـــدْ[(٣)]

هذه كلّها ابتداءاتٌ جيِّدة بارعةُ اللفظِ صحيحة المعنى، وأبيات أبي تمامٍ أيضًا رائقة[(٤)]، ولكن فيها ما ذكرتُ.

****

(١) ديوانه، ق٢٥٠، ب١، ص٦٠٤، وهو مطلع قصيدة يمدح الحسن بن مخْلَد. والبيت في: الموازنة ١: ٤٤٨، والمنازل والديار:١٢٦.

(٢) في الديوان: (طَلّا).

(٣) الجوّ: ما اتسع من الوادي. ثَهْمد: جبل في دار غَنيّ، وقيل: في ديار بني عامر، وحوله أبارق كثيرة ذكر البكري أنها خمس وعشرون برقة معجم ما استعجم، ومعجم البلدان (ثهمد). تأبَّد: خلا من الآهلين.

(٤) في الموازنة ١: ٤٤٨: (رائعة). ورائقة أنسب للسياق، وهي (تروقُ) بمعنى تُعجب من يسمعها.



الفَصْل الرّابعُ

في ذِكْرِ ما قالاه في تعفيةِ الرِّياحِ للديارِ(١)

قال أبو تمّام(٢):

[الطويل]

عَـفَـتْ أَربُـــعُ الحِـــلاّتِ لِـلأَربـعِ الـمُـلْـدِ
لِـكُـلِّ هَـضـيـمِ الـكَـشْـحِ مَـجـدولَـةِ الـقَـدِّ

الحِلّات: جَمْعُ حِلّة، وهي الموضع الذي يحلّونَه، يقال: حلّةٌ ومحلَّةٌ.

[١٤/اَ] والأَرْبُعُ الملْدُ: يريد أَرْبع نسْوةٍ، ومُلْد: مِنْ قولهم: غُصْنٌ أُمْلُودٌ، وهو الغُصْنُ النّاعمُ، و«أُمْلودٌ»: لا يُجْمعُ على «مُلْدٍ» ومُلْدٌ: إنّما هو جمْعُ أَمْلَد. وهَضيمُ الكَشْحِ، يريد: ضَامِرةَ البطْن. وقوله: مغرِبة القَدِّ، يريد: أَغْربَ قدّها، أي: لها قدٌّ غريبٌ في الحسْنِ، وإنّما أراد: عَفتْ أربعُ حُللٌ؛ أي: مواطن لأربعِ نسْوةٍ، وهذه تكلفةٌ شديدة جاءتْ بلفظٍ غيرِ حسنٍ ولا جميل. وكذلك «مُغْربة القدِّ» في قولِ الشُّعراء المتأخِّرين غريبُ الحسْنِ وغريب القدِّ. والكلمةُ إذا لمْ يؤتَ بها على لفظها المعتادِ هَجُنَتْ وقَبُحتْ. وقولُهُ: يروونه: أَرْبُعُ الحِلَّات: جمع ربْع، وذلك غلطٌ، وإنّما أرادَ الرجلُ العَددَ؛ أي عَفتْ أربعٌ لأربَعٍ، ولا أعرفُ لأبي تمّامٍ ابتداءً ذكرَ الرياح غير هذا البيتِ، وهو رديءُ اللغةِ، قبيحُ النّسْج.

(١) عنوان الفصل في الموازنة ١: ٤٤٩: (تعفية الرياح).

(٢) ديوانه، ق٥٧، ب١، ٢: ١١٨، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله حفص بن عمر الأزدي، وهو في: الموازنة ١: ٤٤٩.





وقال البحتريّ[1]:

[الكامل]

بَــينَ الـشَّـقـيـقَـةِ فَــالـلِّـوى والأَجْـــرَعِ

دِمَـــنٌ حُــبِـسْـنَ عَـلـى الـرِّيــاحِ الأَربَـــعِ

وهذا من ابتداءاتِه العجيبةِ النّادرةِ، وإحسانه فيه الإحسان المشهور. وقوله: «بين الشَّقيقةِ فاللِّوى» كقول امرئ القَيْسِ[2]:

[الطويل]

.... بين الدّخول فحَوْملِ

والأَصْمعيُّ يرويهِ بالواوِ، وأكثر أهل العربيّةِ يقولون: الدَّخولُ: مواضعُ متفرِّقةٌ، وأكثر الشعراء يستعملونَ (الفاءَ)[3] في هذا الموضعِ.

---

(١) ديوانه، ق٥١٢، ب١، ١٢٨٦، من قصيدة في مدح يوسف بن محمد بن يوسف، ورواية الديوان: (..... فالأَجْرع). الشقيقة: اسم بئر في ناحية أُبْلي إحدى نواحي المدينة، وفيه يقول تميم بن أُبيّ بن مقبل:

فحياضُ ذي بقر فحَزم شقيقة　　　قفر، وقد يَغْنين غير قفارِ

معجم البلدان (شقق). والشقيقة أيضًا: كل ما يُشَق بين رملين. اللوى: ما التوى من الرمل وانقطع، وهو اسم وادٍ في ديار بين سُلَيْم. الأَجزع: الرمل الذي لا نبات فيه. الدِّمَن: جمع دِمْنة، وهي بقايا الديار.

(٢) ديوانه، ق١، ب١، ص٨، وهو مطلع معلّقته المشهورة. ورواية الديوان: (...وحوملِ). والدَّخول وحومل: موضعان بين إمرة وأسود العين. قال الأصمعي: «لا يجوز بين الدّخول فحومل، إنّما هو بين الدخول وحومل».... وقال الفرَّاء: «أخطأ الأَصمعي إنما أراد امرؤ القيس: منزلها بين الدخول وحوملِ فحومل إنّما هو بين الدخول وحومل...». معجم البلدان (دخل)، ومعجم ما استعجم ٢: ٥٤٨.

(٣) قال الجرمي: «لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمطار، بدليل قوله: (بين الدّخول فحوملِ) وقولهم: مطرنا كذا فمكان كذا، وإن كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد». مغني اللبيب: ٢١٤، الشاهد (٢٩١). وانظر الآراء في ذلك: معجم البلدان (دخل).



وقال البحتريُّ[1] أيضًا[2]:

[الكامل]

أَصَـبـا الأَصــائِـلِ إِنَّ بُــرقَـةَ مُـنشِدِ
تَشـكـو اخـتِـلافَـكِ بِـالـهُـبـوبِ الـسَـرمَـدِ

[١٤/ب] ما زلتُ أسمعُ الشّيوخَ منْ أهلِ العِلْمِ بالشعر يقولون: إنّهم ما سمعوا لمتقدِّم ولا لمتأخّرٍ في هذا المعنى أحْسنَ من هذا البيتِ، ولا أبَرعَ لفظًا، وأكثرَ ماءً ورَوْنَقًا، ولا أَلْطفَ مَعْنى.

وقال البحتريُّ[3]:

[الخفيف]

لا أَرى بِـالـبِـراقِ[4] رَسْـمًـا يُـجيبُ
أَسـكَـنَـت[5] آيَـهُ الـصَّـبـا وَالجَـنـوبُ

وهذا ابتداءٌ صالحٌ، واللَّهُ أعْلمُ[6].

****

---

(١) ديوانه، ق٢٢٩، ب١، ٥٤٤، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها يوسف بن محمد. والبيت في: الموازنة ١: ٤٥٠، وصدره في: عبث الوليد ص١٦٣، ومحاضرات الأدباء ٢: ٢٦٩، الصَّبا: الرِّيح الرقيقة. بُرقة منْشد: ماء لبني تميم وبني أسد، وفيه يقول كثيِّر عزة:

فقلت له: لم تقضِ ما عمدت له ... ولم آت إضرامًا ببرقة منشدِ

ديوان كثيِّر، ق٨٩، ب١٢، ص٤٣٤ مع اختلاف يسير في العجز. الأضرام: البيوت، السّرمد: الدائم.

(٢) ليست في الموازنة ١: ٤٥٠.

(٣) ديوانه، ق١٣٧، ب١، ٣٥٥، مطلع قصيدة في مدح جعفر بن عبد الغفار كاتب أحمد بن طولون. وروايته:

لا أرى بالعقيق..... ... أسكنتْ آيَهُ.......

(٤) جمع (برقة).

(٥) في الموازنة ١: ٤٥٠: (أسكتت)، وهما متقاربان معنى.

(٦) ليست في الموازنة.



الفصْل الخامسُ

ذِكْرُ[1] ما قالاهُ في البُكاءِ على الدِّيارِ

قالَ أبو تمّامٍ[2]:

[الطويل]

عَلى مِثْلِها مِن أَرْبُعٍ وَمَلاعِبِ
أُذيلَتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ[3]

قَدْ أنكرَ بعضُهم قولَه: «مَصونات الدموعِ السّواكبِ»، وقال: كيف يكونُ منَ السَّواكبِ ما هو مصونٌ؟ وإنّما أرادَ أبو تمَّام: أُذيلتْ مَصُونات الدّموعِ التي هي الآنَ سواكبُ، ولفظُه يحتملُ ما أرادَهُ، والبيت جيِّدٌ لفظًا ومعنى ونظمًا.

---

(١) في الموازنة ١: ٤٥١: (وفي البكاء على الديار).

(٢) ديوانه، ق١٥، ب١، ١: ١٩٨، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا دُلفٍ العجلي وهو في: نهاية الأرب ٧: ١١٢. الأرْبع، وهو المنزل في الربيع خاصة. أذيلتْ: أُهينتْ.

(٣) علَّق ابن المستوفي على هذا فقال: «(السَّواكب) ليست صحيحة في العربية، إنما هي المسكوبات والمنسكبات، فأمّا السَّواكب: الصَوَابُّ. وهذا من تخليطاته. فإن احتجّ محتجٌّ فقال: (ساكبة) ذات انسكاب، فإنَّ هذا إنما يقال فيما قيل ولا يقاس عليه ما لم يسمع». قال ابن دريد: سكب الدمع وانسكب إذا جعلت الفعل له، وسكبت العينُ دمعها، فعلى هذا يكون (السَّواكب) جمع ساكبة من قولهم: سكبت العين دمعها. وقوله: فأما (السَّواكب) فالصّوابُّ فجائز أن يحمل قول أبي تمام (السَّواكب) على أنه أراد الصّواب ولا يفسد المعنى، فإنّ اسم الفاعل أيضًا من سكبت العين دمعها ساكبة وجمعه سواكب وإن كان بمعنى (صوابّ)». قال ابن المستوفي: «وأظنّ هذا القول من كلام الآمدي، فإنْ عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد. وقد جاء في شعر العرب (السَّواكب) قال خِداش بن زهير –وليس في مجموعه الشعري–:

أعينيَ جودي بالدموع السّواكب ... وبكِّي على قيسٍ خليلي وصاحبي

وقال[1] أبو تمام:

[البسيط]

أَمــا الــرُّســومُ فَـقَـدْ أَذْكَـــرْنَ مـا سَـلَـفا
فَــلا تَـكُـفَّــنَّ عَــن شَــأنَـيـكَ أَو يَـكِـفا

هذا ابتداءٌ حَسَنٌ.

وقالَ أيضًا[2]:

[الكامل]

أَزَعَــمــتَ أَنَّ الــرَّبــعَ لَـيـسَ يُـتَـيِّـمُ
وَالــدَّمــعُ فـي دِمَـــنٍ عَـفَـتْ لا يَـسجُـمُ

وقال أيضًا[3]:

[الطويل]

قِــرى[4] دارِهِــم مِـنّـي الـدُّمـوعُ الـسّـوافِكُ
وَإِنْ عـادَ صُبحـي بَـعدَهُـم وَهــوَ حـالِكُ

وهذان ابتداءان جيِّدان.

---

(١) في الموازنة ١: ٤٥١: (وقال أيضًا). والبيت في: ديوانه، ق٩٦، ب١، ٣: ٣٥٩، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلي. شأنيك: مثنى شأن: وهو مجرى الدمع، وجمعه: شؤون. الشّأنان: فسَّره التبريزي بأنه شؤون الرأس، وهي عروق تصل بين قبائله، وليس التفسيرُ صحيحًا.

(٢) ديوانه، ق١٤١، ب١، ٣: ٢١٢، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن حسَّان.

(٣) ديوانه، ق١٠٩، ب١، ٣: ٤٥٦، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسُف الثَّغري ويذكر المالكِّيين من بني تغلب.

(٤) نقل الخطيب عن المعري قوله: «هذا المعنى متكرِّر في الشعر العتيق والمولَّد، يجعلون الموضع الذي ينزلون به كالمضيف لهم يأتيهم في الشعر، ويجعلون نفوسهم كالمضيفين إذا نزل بهم خطبٌ أو همٌّ، فيقولون: قَرَى الهمَّ الزّماع، واقرِ الهمومَ إذا ضاقت ونحو ذلك؛ أي: قِرى دارهم مني دموعي وإن ارتحلتْ أحبابنا هؤلاء». شرح ديوان أبي تمام ٣: ٢١٢. السّوافك: كثيرة الانصباب، وأرى أنها (فاعل) بمعنى (مسفوكة).





وقال أيضًا[1]:

[الطويل]

تَجَــرَّعْ أَســىً قَـد أَقـفَـرَ الجَـــرَعُ الـفَـردُ
وَدَع حِـسْـيَ عَـينٍ يَـحـتَـلِبْ مـاءَهـا الـوَجْـدُ

[١٥/أ] الجرَع والأَجْرَع والجَرَعاء: أرضٌ ذاتُ رَمْل وحجارة مختلطة وهي أَرْضٌ خشنة، وقدْ قيل: رمْلَةٌ سهلة. والحِسْيُ: ماءُ المطرِ يغيضُ في الرّمل شيئًا قليلًا، ثم يصل إلى الصّلابة فيقف فيُحْفر عنه ويُشْرب، وجمْعه أحساء.

وقال البُحْتريّ[2]:

[الطويل]

مَـتـى لاحَ بَـــرقٌ أَو بَـــدا طَـلَـلٌ قَـفـرُ
جَـرى مُـسـتَـهِـلٌّ لا بـكـيءٌ وَلا نَـــزرُ[3]

وهذا بيتٌ حسْبُك به جَوْدةً وحُسْنًا وبراعةً وفصَاحةً، ونحْوه قوله[4]:

[الطويل]

(١) ديوانه، ق٥١، ب١، ٢: ٨٠، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا العبّاس نصر بن منصور بن بسطام. الجَرْع والجرْعَاءُ: الأرض السهلة المنبسطة. الحِسْيُ، والحَسَى: سهلٌ من الأرض يستنقع فيه الماء أو أرض غليظة فوقها رملٌ يجمع ماء المطر، كلَّما نزحْتَ دلوًا جمَّت أخرى، ويجمع على: أحْساء وحِسَاء. القاموس (حسى). يحتلب: أصله من الحَلْب، وهو استخراج ما في الضّرع القاموس (حَلَبَ).

(٢) ديوانه، ق٣٣٩، ب١، ٨٤٣، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان. والبيت في: الموازنة ١: ٢٥٢، ومعاهد التنصيص: ٣٠١، وصدره في: الفرج بعد الشدَّة: ٢٤٨، وعبث الوليد: ١٠٨، والمثل السائر: ٣: ١٤٢، والطراز ٢: ٣٥٢.

(٣) المستهلُّ: في الأصل هو الصبيُّ الذي يرفع صوته بالبكاء، ويسمَّى كل من يتكلم رفع صوته أو خفضه مُسْتهلًّا، والمراد به ههنا: سيلان دموع العين، يقال: تهلَّلت العين وانهلَّت: سال دمعها. والبكيءُ: في الأصل الناقة التي قلَّ لبنها. يقال: بكأت الناقة بكْئًا، وبكاءةً، وبكوءًا، وبُكاءً، فهي بكيءٌ وبكيئة، وجمعها: بِكاء، على زنة (كِرام)، و(بَكايا) على زنة (خطايا). انظر: القاموس المحيط (بكأ). النّزْر: القليل.

(٤) ديوانه، ق١٨٢، ب١، ٤٥٠. وهو مطلع قصيدة يمدح فيها المعتز بالله. والبيت في: الموازنة ١: ٤٥٢، وعبث الوليد: ٧٣، وسيأتي. الدّخول: موضع أو وادٍ في أرض اليمامة أو في ديار بني كلاب، وقيل: غير ذلك. توضح: موضع بين إمرَّة إلى أسودِ العين، وهما حدّاها، ويضرب فيها المثل في جمال حُمُرها الوحشيّة.



لَـهـا مَــنــزِلٌ بَـــينَ الــدَّخــولِ فَـتـوضِـحِ
مَـتـى تَـــرَهُ عَـــينُ الـــمُـتَـيَّـمِ تَـسـفَـحِ

هذا مثْل قول امرئ القيس:

[الطويل]

.... بـــين الـــدّخـــول فــحَــوْمــلِ

وهذا أيضًا بيت جيّدٌ، وليس كالأول.

وقال أيضًا[1]:

[الطويل]

أَفــي كُــلِّ دارٍ مِــنـكَ عَــينٌ تَـرَقـرَقُ
وَقَـلـبٌ عَـلـى طـولِ الـتَـذَكُّـرِ يَـخـفِـقُ

وهذا أيضًا غايةٌ في جَوْدته وبراعته وكثرة مائه.

وقال[2]:

[الوافر]

أَلَمّـــا يَـكْـفِ فــي طَـلَـلَـيْ زَرودِ
بُــكــاؤُكَ دارِسَ الــدِّمَــنِ الــهُـمُـودِ[3]

وقال[4] [أيضًا][5]:

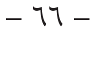
(١) ديوانه، ق٥٧٨، ب١، ١٤٨٨، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن علي القُمِّي. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٢، والمنازل والديار: ١٦٨، وصدره في: عبث الوليد: ص١٥٣.

(٢) ديوانه، ق٢٦٩، ب، ص٦٨٠، من قصيدة في مدح محمد بن العباس الكلابي. والبيت في: الموازنة ١: ٤٢٧، وصدره في عبث الوليد: ٢٦٩.

(٣) زرود: رمال بين الثَّعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. قال ياقوت: «... ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها بالسحائب» معجم البلدان (زرود) ٣: ١٣٩. الهمود: جمع هامد، ومعناه: الساكن الذي لا حركة فيه.

(٤) ديوانه، ق٧٧٠، ب١، ص٢٠٠٩، من قصيدة في مدح إسماعيل بن بُلْبل. والموازنة ١: ٤٢٧.

(٥) ليست في الأصل، والزيادة عن الموازنة.



[الطويل]

أَعَــن سَـفَـهٍ يَــومَ الأُبَـيـرِقِ أَم حِـلْـمِ
وُقــوفٌ بِـرَبـعٍ أَو بُـكـاءٌ عَـلـى رَسْــمِ[1]

هذه الأبيات الثلاثة كأنّهُ منكِرٌ فيها على نفسه البكاء، وقد أحْسنَ فيما اعْتَمدَ مِنْ ذلك وأَجَاد، وهو ضدّ ما ذهب إليه أبو تمّام في أبياتهِ.

وقال البحتريُّ[2] وهو حَسَنٌ جدًّا[3]:

[الطويل]

وُقــوفُــكَ فــي أَطْــلالِــهِــم وَسُــؤالُــهــا
يُـريـكَ غَـروبَ الـدَّمـعِ كَـيـفَ انـهِـمـالُـهـا[4]

[١٥/ب] وقال[5]:

[الكامل]

عِــنــدَ الــعَــقــيــقِ فَــمــاثِــلاتِ دِيــــارِهِ
شَـجـنٌ يَـزيـدُ الـصَّـبَّ فـي اسـتِـعـبـارِهِ[6]

وقال[7]:

(١) الأبيرق: تصغير (أبْرَق)، وهو اسم لمواضع كثيرة. انظرها في: معجم البلدان (أبرق)، ١: ٦٧ وما بعدها. الرسْم: بقايا آثار الديار.

(٢) ديوانه، ق٦٦١، ب١، ص١٦٨٦، وهو مطلع قصيدة في مديح إبراهيم بن المدبّر، ويذكر أَسْره والضّرْبة التي وجِّهت له. والبيت في: الموازنة ١: ٤٥٣، وصدره في: عبث الوليد: ٣٨٨.

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٤) الغَروب: الدلو، ويريد -ههنا- طُرُقَ الدَّمع ومسايلَه.

(٥) في الموازنة: (وقال أيضًا)، والبيت في: ديوانه، ق٣٤٥، ب١، ص٨٦٦، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سامر الخضْر بن أحمد. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٣، وصدره في عبث الوليد: ٢٢٧.

(٦) العقيق: كلُّ مسيلٍ شقَّه السيل في الأرض، وفي بلاد العرب أربعة أعقَّة، هي: عقيق في اليمامة، وآخر في المدينة، وثالث سمّيت به قرية قرب (سواكن) على البحر، ورابع في البصرة. انظر: معجم البلدان ٤: ١٣٨ وما بعدها. الماثلات: الباديات، الاستعبار: البكاء.

(٧) ديوانه، ق٦٦٩، ب١، ص١٧١٦، مطلع قصيدة يمدح فيها الشاه بن ميكال. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٣، وصدره في عبث الوليد: ٣٩٦ وروايته: (... مكان المنزل)، والمنازل والديار: ١١٨.



[البسيط]

يَـأبـى الخَـلِـيُّ بُـكـاءَ المَـنـزِلِ الخـالـي

وَالـنَّـوحَ فـي دمـنٍ أَقــوَتْ وَأَطـــلالِ[1]

وقال[2]:

[الخفيف]

أَبُــكـــاءً فـــي الـــدارِ بَـــعـدَ الـــدارِ

وَسُـــلـــوًّا بِـــزَيـــنَـــبٍ عَـــن نَـــوارِ

وهذا من البحتريّ تصرّفٌ في البكاء على الدِّيار حَسَنٌ، ومعانٍ فيهِ مختلفةٌ عجيبة، كلُّها جيِّدة. وأبو تمّام لزمَ طريقةً لم يتجاوزْها. والبحتريّ في هذا الباب أشعرُ، واللهُ، تعالى، أعلم.

****

(١) في الديوان: (في أَرْسُم....).

(٢) ديوانه، ق٣٨٨، ب١، ص٩٨٦، وهو مطلع قصيدة في مديح أبي جعفر بن حميد، ويستوهبه غلامًا. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٣، والمنازل والديار: ٣١٩، ومعاهد التنصيص: ٢٨٨.



الفَصْل السادس[1]

في ذكر ما قالاه في[2] سؤالِ الدِّيار واستعجامها عن الجواب

قالَ أبو تمّام[3]:

[الكامل]

الــــدارُ نــاطِـقَــةٌ وَلَــيــسَــتْ تَـنـطِـقُ
لــدُثــورِهــا إنَّ الجَــديــدَ سَـيُـخـلِـقُ

وقالَ في مثلِ معناهُ[4]:

[الكامل]

وَأَبــــي الــمَـنــازِلِ إنَّــهــا لَـشُـجــونُ
وَعَــلــى الـعُـجـومَـةِ إنَّــهــا لَـتُـبـينُ

وهذا قسمٌ شائعٌ على ألسُن العربِ أن يقولوا لمن يعقلُ: وأبيكَ لقدْ أحسنتَ، وأبيكَ لقدْ أجملتَ، وكثرتْ على الألسن[5] حتّى تعدَّوْا بها إلى ما لا يْعقِلُ، قسمًا وغَير

(١) ليس في الموازنة.

(٢) ليس في الموازنة.

(٣) ديوانه، ق٣٩٧، ب١، ٤: ٣٩٣، من مطلع قصيدة يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم شاعرَ أهل حمص، وهو في الموازنة ١: ٤٥٥. الدّثور: البلى، يخلق: يندثر.

(٤) ديوانه، ق١٦٧، ب١، ٣: ٣٢٣، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الواثق بالله. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٥. قال المرزوقي: «أقسم بأبيها وإن كان لا أبُ لها اتساعًا». شرح ديوان أبي تمام ٣: ٣٢٣. الشجون: مفردها شَجَنٌ، وهو الحزن. العجومة: عجزها عن النطق والتكلم.

(٥) في الموازنة: (... على الألسنة).

قَسَمٍ. وكذا قالوا: لأمّكَ الهَبَلُ ولأمك الويلُ، وقالوا مثلَ ذلكَ لما لا أُمَّ لهُ، قال محرزُ بنُ المكعْبِرِ الضّبيّ[1].

[١٦/أ] يرثي بِسْطامَ بنَ قيسٍ[2]:

[الكامل]

لأمِّ الأرضِ ويــلٌ مــا أجــنَّــتْ
بــحــيــثُ أضــرَّ بــالــحــسَــنِ الــسَّــبــيــلُ[3]

فجعل للأرضِ أمًّا.

وقد قال البحتريُّ[4]:

[الطويل]

لَـعَـمـرُ أَبــي الأَيّــامِ مـا جــارَ حُـكمُـها
عَـلَـيَّ، وَلا أَعـطَـيـتُـهـا ثِـنـيَ مِـقـوَدي

فجعل للأيّام أَبًا. وقولُ أبي تمّام: «شُجون» جمع «شَجَن»، وما أقلّ ما يُجمَعُ (فَعَل) على (فُعُول)، قالوا: أَسَدٌ وأُسودٌ، وليسَ هو بابَه، والشّجنُ: الحاجَةُ، والشَّجَنُ: الهمُّ والحزْن.

---

(١) محرز بن المكعبر الضبي: من شعراء بني ربيعة بن كعب من ضبَّة. انظر ترجمته في: معجم الشعراء: ٤٠٥، والبيان والتبيين ٤: ٤٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤: ١٥، والأعلام ٥: ٢٨٤، والاختيارين، ق٦١، ص٣٩١، وانظر تخريجها ثمَّة.

(٢) الحسن: اسم موضع قتل فيه بسطام بن قيس بن خالد الشيباني. والبيت في: الموازنة ١: ٤٥٥، والأشباه والنظائر للخالديّين ١: ١٢٧. ونسبه إلى بعض شعراء بكر بن وائل. وهو في الأصمعيات: ٣٦ ونسب إلى عبد الله بن عنمة الضبي، والتمام في أشعار هذيل: ١ بغير نسبة، والخصائص ٣: ١٥٠، والنقائض: ١٩٠-١٩٢، والعقد الفريد ٦: ٢٥ و٥٣.

(٣) استدلَّ ابن جني بهذا البيت على أن قولهم: (ويلُمِّه)، أصله: ويلٌ لأمّه، وحذفت همزة (أم) فبقي: ويلُمّه. الخصائص ٣: ١٥٠.

(٤) الكلمة مطموسة في الأصل. والبيت من القصيدة ٢٩٩، ب١٠، ص٧٧٢. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٦، وشرح ديوان المتنبي المنسوب إلى العكبري ٤: ٤٥. الثِّنْي: ما انثنى من الحبل.



وقال[1] أبو تمّام[2]:

[الخفيف]

مِــن سَـجـايـا الـطُـلـولِ أَلّا تُـجـيـبـا
فَـصَــوابٌ مِــن مُـقـلَـةٍ أَن تَـصـوبـا[3]

صَدْرُ هذا البيت جيِّدٌ. وقوله: «فَصَوابٌ»: لفظة ليست بجيِّدة في هذا الموضع، وإنّما أراد التجنيسَ.

وقال[4] البحتريّ[5]:

[البسيط]

لا دِمــنَــةٌ بِــلِــوى خَــبــتٍ وَلا طَــلَــلُ
يَـــرُدُّ قَـــولًا عَــلــى ذي لَــوعَــةٍ يَــسَــلُ[6]

وهذا ابتداءٌ جيِّدٌ لفظُه ومعناهُ.

وقالَ البحتريّ[7]:

[الكامل]

(١) (وقال أبو تمام): مطموس في الأصل.

(٢) مطلع قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثّغري، ديوانه، ق١٢، ب١، ١: ١٥٧، وهو في الموازنة ١: ٤٥٦.

(٣) تصوب: تدمع، وأصله من صابَ المطر يصوبُ: إذا هطل.

(٤) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٥) ديوانه، ق٦٧٦، ب١، ١٧٥٤، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الصَّامتي. انظر ترجمته عند القصيدة ١، ص٥. والبيت في: الموازنة ١: ٤٥٦، وأمالي المرتضى ٢: ٢٥، وصدره في عبث الوليد: ٤١٤.

(٦) خَبْتٌ: موضع بين مكَّة والمدينة يسمَّى خبت الجميش.

(٧) ديوانه، ق٦٤٥، ب١، ص١٦٥٧، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الفضل بن إسماعيل الهاشميّ، وهو في: الموازنة ١: ٤٥٦، وصدره في: أمالي المرتضى ٢: ٤٤، وعبث الوليد:٣٧٥. المفحَمات: التي لا تحسن الرد والكلام.



صَــبٌّ يُـخـاطِـبُ مُـفـحَـمـاتِ طُـلـولِ

مِـــن ســـائِــلٍ بـــاكٍ وَمِـــن مَــســؤولِ

أراد أنّهُ بالٍ والطّلولُ باليةٌ، وهذا ابتداء صالحٌ.

وقال البحتريُّ(١):

[الوافر]

عَـزَمْـتُ عَـلـى الــمَـنـازِلِ أَنْ تُبينا

وَإِنْ دِمَـــنٌ بَــلــينَ كَـمـا بَـلـينـا

أي: عزمتُ عليها أَنْ توضِّح لنَا، ويكونَ «تبين» بمعنى «تُفْصِح» هي في نفسها، يقال: بانَ الشيءُ وأبانَ.

وقوله: «وإِنْ دِمَنٌ بلِينَ كما بلينا»؛ أَيْ: عَزمْتُ عليها أَنْ تُبينَ لنا القَوْلَ، وإنْ كانتْ قد بَليتْ كما بلينا نحنُ، وهذا بيتٌ رديء العجُز.

وقال البحتريُّ(٢):

[الطويل]

أَقِـمْ عَـلَّـهـا أَنْ تَـرجِـعَ الـقَـولَ أَو عَـلّـي

أُخَـلِّـفُ فيـهـا بَـعـضَ مـا بـي مِـنَ الـخَـبلِ

[١٦/ب] وهذا أيضًا بيتٌ رديءُ الصّدْرِ لفظُه ومعناهُ؛ لأنّهُ أرادَ أنَ يقولَ: قفْ لعلّها أنْ ترجعَ القَوْلَ أو لعلّي، فقال: «أقمْ» مكانَ «قفْ»، وليستْ هذهِ اللفظةُ نائِبةً عن تلكَ؛ لأنَّ الإقامةَ ليستْ من الوقوفِ في شيءٍ، والدّليل على أنّهُ أرادَ أنْ يقولَ: «قفْ» قولُه بعد هذا[٢٧]:

(١) ديوانه، ق٨٢٧، ب١، ص٢٢٠٧، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الحسن أذكوتكين القائد التركي الذي استعمله الخليفة المعتمد على الموصل، والبيت في: الموازنة ١: ٤٥٧.

(٢) ديوانه، ق٦٩١، ب١، ص١٨٠١، وهو مطلع قصيدة في مدح أبي صالح بن عمار. وهو في: الموازنة ١: ٤٥٧، وعبث الوليد: ٤٣٠؛ الخَبْل: فقدان العقل.



[الطويل]

فَــإِنْ لَـم تَـقِـفْ مِـنْ أَجـلِ نَـفسِكَ ساعَـةً

فَقِفْها عَلـى تِـلـكَ الـمَعالِـمِ مِـن أَجلـي

وقال: «علّها أو عَلِّي[1]» فهما – وإنْ كانتا لفظتين عربيّتين (فلعلّ) أحسنُ من (عَلّ) وأبرع، وزاد في تهجينها أنّهُ كرَّرها في مصراع.

وقوله: «أخلِّف فيها بعضَ ما بي من الخبْلِ» عَجُز حَسَنٌ، أي اطرحْهُ، أَيْ لعلِّي أبكي فأخفِّفَ بعضَ ما بي منَ البُكاءِ، وإلى هذا المعنى ذهب، وإنْ لمْ يذكرِ البكاء في البيتِ فقدْ ذكرَهُ مِنْ بعدُ.

وقال البحتريّ[2]:

[البسيط]

بـالـلـهِ يــاربْــعُ لــمَّـا ازددْتَ تـبـيـانـا

فـقـلـتُ فـي الـحـيّ لـمَّـا بــانَ: لــمْ بـانـا؟

وقال[3]:

[الطويل]

هَـبِ الـدارَ رَدَّتْ رَجـعَ مـا أَنـتَ قائِلُـه

وَأَبــدى الجَــوابَ الـرَّبـعُ عَـمّـا تُـسائِـلُـه

(١) ذكر ابن هشام أن فيها عشر لغات. مغني اللبيب: ٣٧٩.

(٢) ديوانه، ق٨١٢، ب١، ص٢١٤٩، وهو مطلع في مدح أبي الحسن بن الفياض، كاتب إسحاق بن كنداج. والبيت في الموازنة ١: ٤٥٨، وصدره في عبث الوليد: ٤٩٩. في الموازنة: (... لمَّا بانا).

(٣) ديوانه، ق٦٣٢، ب١، ص١٦٠٦، وهو مطلع قصيدة في مديح الفتح بن خاقان. وهو في الموازنة ١: ٤٥٨. قال الصولي: «حدَّثني يحيى بن البحتري، قال: قال أبي: أوّل ما مدحتُ بن الفتح بن خاقان: (هب الدّار ردَّ رجْع ما أنت قائله...) فأنشدته إيَّاها في سنة ثلاث وثلاثين ومئتين بعدما أقمت شهرًا لا أصل إلى إنشاده، وهو مع ذلك يجري عليَّ ويصلني، ثم جلس جلوسًا عامًا، وحضرت وحدي فرأيته يبتسم عند كل بيت، فعلمت أنه يعرف الشعر...». أخبار البحتري: ٨٣ و٨٤.



وهذا بيتٌ غيرُ جيّدٍ؛ لأنّ عُجزَ البيتِ مثلُ صدْرِهِ سواء في المعنى، وكأنّه بنَى الأَمْرَ على أنّ الدارَ غيرُ الرَّبْعِ، وأنّ السُّؤال – إنْ وقعَ – وقعَ في محلّين اثنين. والبيتُ أيضًا لا يقومُ بنفسه، وجعله معلّقًا بالبيت الثّاني، وهو قوله[1]:

[الطويل]

أَفـي ذاكَ بُـرءٌ مِـن جَـوًى أَلـهَـبَ الحَشا
تَـوَقُّـدُهُ واسَـتـغـزر الـدَّمـعَ جـائِلُـه

وقال[2]:

[الطويل]

[17/اً] هَلِ الرَّبعُ قَدْ أَمسَتْ خلاءً مَنازِلُه
يُـجـيـبُ صَـداهُ أَو يُـخَـبِّـرُ سـائِلُـه

وهذا ابتداءٌ صالح.

وقال[3] البحتريّ[4]:

[الطويل]

عَـسَـتْ دِمَـنٌ بِـالأَبـرَقَـينِ خَـوالِ
تَـرُدُّ سَـلامـي أَو تُـجـيـبُ سُـؤالـي

هذا ابتداء حَسَنٌ.

---

(١) ديوانه، ق٦٣٢، ب٢، ص١٦٠٦، وهي في الموازنة ١: ٤٥٨، والمنازل والديار ٢٨٨. الجائل: المضطرب والمتحرِّك.

(٢) ديوانه، ق٧٢٢، ب١، ص١٨٧٤، وهو مطلع قصيدة في مدح طُغْج بن جُفّ مولى خُمارويه بن أحمد. ورواية عجزه فيه: (... يجيبُ...) وهو في الموازنة ١: ٤٥٨.

(٣) في الموازنة ١: ٤٥٩: (وقال أيضًا).

(٤) ديوانه، ق٦٤٤، ب١، ص١٦٩٧، وهو مطلع قصيدة في مديح بني المهلَّب، وقيل: بل هي في مديح أبي طلحة منصور بن مُسْلم. وهو في الموازنة ١: ٤٥٩، وصدره في عبث الوليد: ٣٩١. الأبرقان: هما أبرقا حُجْر اليمامة على طريق مكة للقادم من البصرة. وقال الزمخشري: هما ماء لبني جعفر.



فهذا ما وجدته لهما من الابتداءاتِ في هذا[١] البابِ، وليسَ فيه بيتٌ بارعٌ، والجيِّدُ فيهِ للبُحْتريِّ. قوله[٢]:

لا دمـــنـــةٌ بـلـوى خـبْـتٍ ولا طَـلَـلُ

وقوله[٣]:

عـــســـتْ دمـــــنُ بـــالأبـــرقـــين

والجيِّدَ لأبي تمّام بيتاهُ الأوّلانِ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين وألطف.

وبيتا البحتريّ أَجْودُ لفظًا، وأصحّ سبكًا، فاجعلهما في هذا الباب متكافئَيْن، [والله تعالى أعلم بالصواب][٤].

****

(١) ليس في الموازنة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ما بين حاصرتين ليس في الموازنة.

الفصل السابع[1]

في ذكر ما قالاهُ فيما يَخْلُفُ الظّاعنين [في الديار][2] منَ الوحْشِ وما يقاربُ معناهُ

قال أبو تمّام[3]:

[الكامل]

أَطلالُهُم سُلِبَتْ دُماها الهِيفَا
وَاستَبدَلَتْ وَحشًا بِهِنَّ عُكوفا

وهذا[4] بيتٌ جيِّدٌ لفظُه ومعناه.

وقال أيضًا[5]:

[الطويل]

أَأَطلالَ هِندٍ ساءَ ما اعتَضتِ مِن هِندِ
أَقايَضتِ حورَ العينِ بِالعُونِ[6] وَالرُّبدِ[7]؟!

---

(١) الكلمتان مطموستان.

(٢) في الأصل: (... واستعجامها...)، ولا تنسجم والسِّياق، والمثبت من الموازنة.

(٣) ديوانه، ق٩٧، ب١، ٢: ١٧٦، وهو مطلع يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرِّض بإنسانٍ ولي الثغور مكانه، وكان ناسكًا، فهزم. والموازنة ١: ٤٦٠. عكوف: حبيساتُ ذلك المكان.

(٤) في الموازنة: ٤٦٠: (وهذا أيضًا).

(٥) ديوانه، ق٤٩، ب١، ٢: ٥٩، مطلع قصيدة في مدح منصور بن بسَّام. والموازنة ١: ٤٦٠.

(٦) في الموازنة: (بالعين)، وفي رواية أخرى في الديوان: (بالعين) أيضًا. وفسَّره: أي حُور العين من الناس بالعين من بقر الوحش، شرح ديوانه ٢: ٥٩. العين: مفردها (عَيْناء)، وهي الحسنة العينين.

(٧) اعتضت: استبدلت. قايضت: المقايضة: أخذ شيء بدل شيء، ولا تستعمل هذه الكلمة إلا فيما ليس فيه يُعْطى مال، كمقايضة القمح بالشعير، أو الفرس بالناقة، وغير ذلك. فإذا وجدت الدراهم لا يقال لها: مقايضة، ولكنها تسمَّى بيعًا. الحُوْر: جمع حَوْراء، وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها. العُوْن: إما أن يكون جمع (عَانةٍ)، وهي الجماعة من حمار الوحش، وإما أن يكون جمع (عَوانٍ) وهي =الأتان التي حملت بطنين أو ثلاثة. والمعنى: ذهب الأفضل وبقي المفضول. الرُّبْدة: الغُبْرة التي تشتدُّ فتصير سوادًا.



العِيْنُ: الوحْشُ والظِّباء. والرُّبْدُ: النّعَام. وقايضت: بدّلت[1]. وهذا بيتُ ليس بالجيِّد، ولا هو بالرديء.

وقال أيضًا[2]:

[الوافر]

أَرامَـــــةُ كُـنـتِ مَـــأَلَـــفَ كُـــلِّ ريمِ
لَـــوِ اسـتَـمـتَـعـتِ بِـــالأُنـسِ المقيـمِ

وهذا ابتداءٌ جيِّدٌ.

[١٧/ب] وقال البحتريُّ[3]:

[الكامل]

رَبـــعُ خَـــلا مِـــن بَـــدرِهِ مَـغـنـاهُ
وَرَعَـــت بِـــهِ عـــينُ الـمَـهـا الأَشـبـاهُ

وهذا بيتٌ حَسَنٌ حُلْوٌ.

وقال البحتريُّ أيضًا[4]:

[البسيط]

عَـهـدي بِـرَبـعِـكَ مَـأنـوسًـا مَـلاعِـبُـهُ
أَشـبـاهُ آرامِـــهِ حُـسـنًـا كَـواعِـبُـهُ[5]

(١) في الموازنة: ٤٦٠: (أبدلت).

(٢) في الديوان ٣: ١٦٠، وفي الموازنة ١: ٤٦٠، والبيت في ديوانه، ق١٣٤، ب١، ٣: ١٦٠، وهو مطلع قصيدة في مدح بني عبد الكريم الطائيين وهو في الموازنة ١: ٤٦٠. رامةُ: اسم موضع.

(٣) ديوانه، ق٩٢٠، ب١، ٢٤٣٠، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الشَّاهَ بن ميكال. والبيت في الموازنة ١: ٤٦٠. المغنى: المنزل. المها: مفردها (مهاة)، وهي البقرة الوحشيَّة، تشبَّه بها المرأة في سمنها وجمالها وحسن عينيها.

(٤) ديوانه، ق٧٣، ب١، ٢٥٥، وهو مطلع قصيدة في مدح محمد بن بدر. وهو في: الموازنة ١: ٤٦١، وصدره في: عبث الوليد: ٦٩، والمنازل والديار: ١٤٨.

(٥) في الأصل: (آرابه). وفي المنازل والديار: (مثال آرامه). والآرام: جمع (رئم)، وهو الظبي الأبيض. الكواعب: جمع (كاعب)، وهي الناهدة الثَّدي.

وقال أيضًا[1]:

[الكامل]

عَـهـدي بِـرَبـعِـكَ مُـثَّـلًا آرامُـهُ
يُـجلَـى بَـضَـوءِ خُـدودِهِـنَّ ظَـلامُـهُ

وهذا بيتٌ جيد اللفظ والمعنى، ولفظ الأول أعلى وأبرع. وقوله: «يُجْلَى بضَوءِ خدودهنَّ ظلامُهُ»: حسنٌ جدًا.

وقال أيضًا[2]:

[الطويل]

أَرى بَـيـنَ مُـلـتَـفِّ الأَراكِ مَـنـازِلا
مَـواثِـلَ لَـو كـانَـت مَـهاهـا مَـواثِـلا[3]

وهذا أيضًا بيتٌ من بارعِ ابتداءتِه، فهذا ما وجدتُه لهما في هذا النّحْوِ، والبحتريُّ في أبياته أشعر من أبي تمَّامٍ في أَبْياتهِ.

****

(١) ديوانه، ق٧٧٨، ب١، ٢٠٣٣، في مدح أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام. وهو في الموازنة ١: ٤٦١. وصدره في: عبث الوليد: ٤٦٩.

(٢) الكلمة مطموسة في الأصل. والبيت مطلع القصيدة (٦٣٠)، في مديح أبي سعيد محمد بن يوسف، في ديوانه: ١٥٩٩. وهو في الموازنة ١: ٤٦٠، والتشبيهات: ١٧٠، ومطالع البدور ٢: ٢٩٣.

(٣) الأراك: هو شجر السِّواك. مواثل: كلمة من الأضداد، فهي تعني: الذاهبة، وتعني المقيمة. والأولى تعني: التي ذهب أثرها وامحى، والثانية تعني: الباقية.



البابُ الثامن[١]

في ذكر ما قالاه فيما تهيجه[٢] الديار وتبعثه من جوى[٣] الواقفين بها

قال أَبو تمّام[٤]:

[الكامل]

أَقَشيبَ ربعِهِم أَراكَ دَريسا
وَقِرى[٥] ضُيوفِكَ لَوعَةً وَرَسيسا[٦]

وهذا بيت من جيد الابتداءَات وبارعها.

وقال البحتريُّ:

[الطويل]

مَغاني سُلَيمى بِالعَقيقِ وَدُورُها
أَجَدَّ الشَجى[٧] إِخْلاقُها وَدُثورُها[٨]

---

(١) الكلمتان ليستا في الموازنة.

(٢) الكلمة مطموس أكثرها في الأصل المخطوط، والتكملة عن الموازنة ١: ٤٦٢.

(٣) في الأصل: (من حزْن).

(٤) مطموس في الأصل.

(٥) في الموازنة: ٤٦٢ (تقري).

(٦) البيت في ديوانه، ق٨٣، ب١، ٢: ٢٦٢، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الغيث، موسى بن إبراهيم.

(٧) في الموازنة: ٤٦٢ (الشّحى).

(٨) ديوانه، ق٣٩٣، ب١، ص٩٩٨، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا العباس بن بسطام، وهو في الموازنة ١: ٤٦٢، والزهرة: ٢٨٦، أجدَّ: بعثه من جديد. الإخلاق: البلى.

وهذا بيت في جودةِ بيتِ أَبي تمَّام وبراعته.

وقال أَيضًا[1]:

[الطويل]

لَعَمرُ المَغاني يَومَ صَحراءِ أَرثَدِ[2]
لَقَد هَيَّجَت وَجدًا عَلى ذي تَوَجُّدِ

وقال[3]:

[المنسرح]

ماجَوُّ خَبْتٍ وَإِن نَأَتْ ظُعُنُهْ
تارِكُنا أَو تَشوقُنا دِمَنُهْ[4]

[١٨/أ] وقال[5]:

[الخفيف]

كُلَّما شاءَتِ الرُسومُ المُحيلَه
هَيَّجَتْ مِن مَشوقِ صَدرٍ غَليلَه

وهذه كلُّها ابتداءَاتُ جِيادٌ، وهي مع بيت أَبي تمَام متكافئة.

****

(١) ديوانه، ق٢٩٩، ب١، ص٧٧١، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد بن المدِّبر. وهو في الموازنة ١: ٤٦٢، والزهرة: ٢٩٧، والصناعتين: ١٤٠، وعبث الوليد: ١٤٦، ونهاية الأرب ٧: ١٠٩.

(٢) في الديوان، وعبث الوليد: (أَربدِ). ورواية البيت في الصناعتين: (لعمر الغَواني...).

(٣) في الموازنة: ٤٦٢ (وقال أيضًا).

(٤) ديوانه، ق٨٧٨، ب١، ٢٣٣١، مطلع قصيدة يمدح فيها أبا عيسى العلاء بن صاعد ويهجو ابن البريدي. والموازنة ١: ٤٦٢، والمنازل والديار: ١٥٧. الجو: ما اتّسع من الأزدية، خبت: اسم موضع.

(٥) في الموازنة ١: ٤٦٢ (وقال أيضًا). ١٦٣٩، وروايته: (مشوق قلب).



الفصل[1] التاسع

في ذكر ما قالاه في الدُّعاء للدار بالسُّقْيا

قال أَبو تمّام[2]:

[الكامل]

أَسقى طُلولَهُمُ أَجَشُّ[3] هَزيمُ
وَغَدَت عَلَيهِم نَضرَةٌ وَنَعيمُ[4]

وقال[5]:

[الوافر]

سَقى عَهدَ الحِمى سَبَلُ العِهادِ
وَرَوَّضَ حاضِرٌ مِنهُ وَبادِي[6]

وهذان ابتداءَان جيِّدان.

(١) (الفصل.... في): ليس في الموازنة.

(٢) ديوانه، ق١٦٠، ب١، ٣: ٢٨٩، وهو مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شُبَانة. وهو في: الموازنة ١: ٤٦٣. أسقى: سَقى، وهو أفعلَ بمعنى فَعَل. الأجشُّ: الرَّعد وهو الغليظ الصوت. الهزيم: صوت الرعد. ديوانه ق، ب، ٢٨٩، والموازنة ٤٦٣.

(٣) في الأصل: (أحسن)، وهو تصحيف.

(٤) ديوانه، ق، ب، ٣: ٢٨٩. والموازنة: ٤٦٣.

(٥) في الموازنة ١: ٤٦٣: (وقال أيضًا).

(٦) ديوانه، ق٣٥، ب١، ١: ٣٦٩، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا عبدالله أحمد بن أبي دؤاد، والموازنة ١: ٤٦٣، ٤٧٧. السَّبَلُ: المطر، العِهاد: المطر المتتابع الذي يدرك آخره بلل أوَّله. روَّض حاضر: أي المكان الذي فيه الحاضر، والمكان الذي فيه البادي، فسُمِّي المكان باسم الناس، لأن القوم إذا حضروا الماء قيل لهم: حاضر. ولا يمتنع أن يعني في هذا البيت الإنس؛ إذا كان يمكن أن يقال: قدْ روَّضوا إذا نبت لهم الروض. شرح ديوان أبي تمام ١: ٣٦٩.



وقال[1]:

[الكامل]

يــا بَـــرقُ طــالِــعْ مَــنــزِلًا بِــالأَبــرَقِ

وَاحْــدُ الــسَّــحــابَ لَــهُ حُــداءَ الأَيــنُــقِ[2]

قوله: «طالع»[3] لفظة رديئة في هذا الموضع قبيحة، وقوله: «واحْدُ السحاب له حداء الأَينق» لفظًا ومعنى[4] جيدان فصيحان، وإنّما خصَّ البرق لأنّه دليلُ الغيثِ.

وقال أيضًا:

[الخفيف]

أَيُّــهــا الــبَـرقُ بِــتْ بِـأَعـلـى الـبِـراقِ

وَاغْــــدُ فـيـهـا بِــوابِــلٍ غَـــيــداقِ[5]

الْبِرَاق: جمعُ بُرْقة، مثل بُرْمةٍ وبِرامٍ، وهي الأرضُ ذاتُ الطِّينِ والْحَصَى تكونُ ذاتَ ألوانٍ مختلفة.

وهذا بيتٌ جيِّدٌ، ووَصَلَه ببيتٍ هو غايةٌ في الحسنِ والحلاةِ، ويأتي في بابه، إن شاء الله تعالى[6].

وقال[7]:

[الكامل]

---

(١) في الموازنة: ٤٦٣: (وقال أيضًا).

(٢) ديوانه، ق١٣٠، ب١، ٢: ٤٠٦، من قصيدة في مدح الحسن بن وهب، وهو في الموازنة ١: ٤٦٣.

(٣) في الأصل: (طالع).

(٤) في الموازنة ١: ٤٦٤: (لفظه ومعناه).

(٥) ديوانه، ق١٠٦، ب١، ٢: ٤٤٧ وهو مطلع قصيدة يمدح فيها إسماعيل بن شهاب، وهو في الموازنة ١: ٤٦٤. الغيداق: الكثير الماء والمجرى. والعام الغيداق: كثير الخصب.

(٦) في الموازنة ١: ٤٦٤: (نأتي به إن شاء الله -تعالى- في بابه).

(٧) ديوانه، ق٥٤، ب١،٢: ١٠١، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الكريم الطائي الحمصي. الإرهام: أصله من الرِّهمَة، وهي المطرة الخفيفة، وجمعها رِهام. ترأّد الغصن: تمايل، والموازنة ١: ٤٦٤.



يــا دارُ دارَ عَـلَـيـكِ إرهــــامُ الـنَّـدى
وَاهــتَــزَّ رَوضُـــكِ فـي الـثَّـرى فَـتَـرأَّدا

[١٨/ب] يقال: أَرهمت السَّماءُ، إذا أَتت بالرِّهَمة، وهو المطر اللين، يقال: رَهَمة ورِهام(١) مثل أَكَمَةٍ إكام، ورهمةٌ وأرهامٌ مثل أَكَمَة وآكام، فإن قلت: «أَرهام الندى» كان ذلك سائغًا.

وترأَّد: انثنى لكثرةِ مائهِ(٢) وغَضَاضتهِ ومنه «امرأَة رُؤدُ الشباب» أَي: غضّة(٣).

وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النَّسْجِ.

وقال البحتري(٤):

[البسيط]

نَـشَـدتُـكَ الـلَـهَ مِـن بَـرقٍ عَـلـى إِضَـمِ
لَمّـا سَـقَـيـتَ جُـنـوبَ الحَـزنِ والـعَـلَـمِ(٥)

وهذا بيتٌ بارعُ اللفظِ، جَيِّدُ المعنى، وزاد في جَوْدته: «نشدتك اللَّه».

وقال أيضًا(٦):

[الطويل]

سُـقـيـتِ الـغَـوادي مِـن طُـلـولٍ وَأَربُـعِ
وَحُـيِّـيـتِ مِـنْ دارٍ لِأَسـمـاءَ بَـلـقَـعِ

(١) (رهمة ورهام مثل أكمة وإكام): ليس في الموازنة.
(٢) في الموازنة ١: ٤٦٤: (تثنّى لكثرة ما به)، ولا معنى له.
(٣) في الموازنة: (غضّته).
(٤) ديوانه، ق٧٦٠، ب١، ١٩٦٩، وهو مطلع قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان. وهو في: الموازنة ١: ٤٦٤، وصدره في: عبث الوليد: ٤٥٦، والمنازل والديار: ٤٧، إضم: ماء بين مكة واليمامة. الحَزْن: الأرض الخشنة، وطريق بين المدينة وخيبر. العلم: جبل بعينه.
(٥) ديوانه، وفي الموازنة: (فالعَلَم)، وفي المنازل والديار: (جنوب الخَبْت).
(٦) ديوانه، ق٤٩٧، ب١، ١٢٣٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان. وهو في الموازنة ١: ٤٦٥، وأخبار البحتري: ١١٩، وصدره في عبث الوليد: ٢٧٧، الغوادي: السَّحائب الناشئة غدوة. البلقع: الأرض القفر.



وهذا أَيضًا بيتٌ جيِّد اللفظ والمعنى، ويدخل في باب التَّسْليم على الديار لقوله: «وحييتِ من دارٍ».

وقال أيضًا[1]:

[البسيط]

أُنــاشِــدُ الـغَـيـثَ كَـي تَـهـمـي غَـواديـهِ
عَـلـى الـعَـقـيـقِ وَإِنْ أَقــوَتْ مَـغـانـيـهِ

وهذا أَيضًا بيت جيِّدٌ.

وقال أَيضًا[2]:

[البسيط]

أَقــامَ كُــلُّ مُـلِـثٍّ الــوَدقِ رَجّــاسِ
عَـلـى دِيــارٍ بِـعُـلْـوِ الـشَّـامِ أَدراسِ

ملثٌّ: دائمٌ كثيرٌ، ورجَّاس: مُصَوِّتٌ، يريد الرَّعدَ. وهذا بيت كثيرُ الماءِ والرَّوْنَقِ.

وقال أَيضًا[3]:

[الخفيف]

لا يَــرِمْ رَبــعَــكَ الـسَّـحـابُ يَـجـودُه
تَـبـتَـدي سَــوْقَــهُ الـصَّـبـا وَتَــقــودُه

---

(١) ديوانه، ق٩١٦، ب١، ٢٤٢٢، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا العبّاس أحمد بن ثَوَابة. وهو في: الموازنة ١: ٤٦٥، والمنازل والديار: ٦٢، وصدره في: عبث الوليد: ٥٢٩.

(٢) ديوانه، ق٤٦٨، ب١، ١١٤٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن العباس الكلابي. وهو في: الموازنة ١: ٤٦٥، والمنازل والديار :٨٩، ومعجم البلدان ١: ٣٠٩، ٣٣١. الودق: المطر الخفيف.

(٣) ديوانه، ق٢٩١، ب١، ٧٥٢، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بين بلبل. وهو في: الموازنة ١: ٤٦٥ وفيه: (أو تقوده). يرم: يترك ويبرح.

وقال[1]:

[الطويل]

سَقى دارَ لَيلى حَيثُ حَلَّتْ رُسومُها
عِهادٌ مِنَ الوَسمِيِّ وُطْفٌ غُيومُها[2]

[١٩/أ] وهذان ابتداءَان جيدان، وليسا مثل ما تقدم.

وقال أَيضًا[3]:

[الطويل]

سَقى رَبعَها سَحُّ السَّحابِ وَهاطِلُه
وَإِن لَم يُخَبِّر آنِفًا مَن نُسائِلُه

وهذا بيتٌ رديء العجُز؛ من أَجْلِ قولِه «آنفًا» لأَنَّها حَشْوٌ لا حاجةَ بالمعنى إليها.

فهذا ما ابتدأ[4] به من الدُّعاء للدِّيار بالسّقيا، وهما عندي متكافئان. [والله أعلمُ بالصّواب][5].

****

(١) في الموازنة ١: ٤٦٦: (وقال أيضًا).

(٢) ديوانه، ق٧٧٢، ب١، ٢٠٢٣، والموازنة ١: ٤٦٦. العِهَاد: مفردها عَهْد، وهو المطر المتتابع. الوسميُّ: المطر الربيعيّ. وُطْفٌ: جمع مفردها وطفاء، وهي السّحابة كثيرة الماء.

(٣) ديوانه، ق٦٦٢، ب١، ١٦٩٦، في مدح إبراهيم بن المدبر. والبيت في الموازنة ١: ٤٦٦، وفيه: (مَنْ يسائله).

(٤) في الموازنة ١: ٤٦٦: (فهذا ابتداء به)، وهو غير مستقيم.

(٥) ما بين حاصرتين ليس في الموازنة.





الفصلُ العاشِر[1]

في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار

قال أبو تمام[2]:

[البسيط]

أَراكَ أَكْـبَـرتَ إِكْـبـاري عَـلـى الـدِّمَـنِ
وَحَـمـلـيَ الـشَّـوقَ مِـنْ بـادٍ وَمُـكـتَـمِـنِ[3]

وهذا ابتداءٌ صالحٌ.

وقال أَيضًا[4]:

[الخفيف]

مـا عَـهِـدنـا كـذا نـحـيـبَ الـمَـشـوقِ
كَـيـفَ وَالـدَّمـعُ آيَـةُ الـمَـعـشـوقِ[5]

وهذا بيت رديءٌ جدًّا، وقد ذكرتُ ما فيه في باب ما ذكراه[6] في وسط الكلام في تعنيفِ الأَصحابِ على الوقوفِ في الديار[7]، وهذا البيت ابتداؤه، وإِنما ذكرتُه هناكَ لأَنَّ

(١) (العاشر... الديار): مطموس في الأصل، واستكمل منْ أوّل المخطوط الورقة ٢/ب حيث ذكر التّقسيم الكلي للكتاب.

(٢) ديوانه، ق١٧٠، ب١، ٣: ٣٣٧، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها علي بن مرّ، وهو في: الموازنة ١: ٤٦٧.

(٣) في الديوان، والموازنة: (أكبرت إدماني). المكتمن: المضمر الخافي.

(٤) ديوانه، ق١٠٥، ب١، ٢: ٤٣٠، والموازنة ١: ٤٦٧.

(٥) في الأصل: (ما عهدنا نجدا)، ورواية الديوان والموازنة: (ما عهدنا كذا)، ولا معنى للكلمة الموجودة في الأصل في هذا السياق، ولعلها تحريف (كذا).

(٦) في الموازنة: (في باب ما ذُكِر له).

(٧) في الموازنة: (على الديار).



معناهُ يتّضح بالأبياتِ بعدَهُ[١]؛ فجعلتُه في ذلكَ البابِ. وليسَ لأَبي تمام ابتداءٌ صالحٌ في لومِ الأَصحاب، غير هذين البيتَيْنِ.

وأما[٢] البحتريُّ فإِنَّه تصرَّف منه[٣] في ابتداءَاتٍ جيادٍ حِسَانٍ بارعةٍ حلوةٍ من ذلك[٤] قولُه[٥]:

[الكامل]

فيمَ[٦] ابتِدارُكُمُ المَلامَ وَلوعا
أَبَكَيتُ إِلّا دِمنَةً وَرُبوعا؟!

[١٩/ب]وهذا بيتٌ حَسَنٌ، وفيه سؤالٌ، وهو أَنْ يقالَ: إِنّما لاموهُ على بكائهِ على الدِّمْنَةِ والرُّبوعِ، فما وجهُ اعتذارهِ بأَنّه لم يبكِ إِلّا دمنةً وربوعًا؟ والجواب: أَنه أَراد أَبكيتُ إِلَّا ما مِثْلُهُ يُبْكى، وقد تقدَّمني النَّاسُ فيهِ ولم ينكرْ ذلكَ عليَّ أَحدٌ؟.

وقوله[٧]:

(١) في الموازنة: (بالأبيات التي بعده).
(٢) في الموازنة: (فأما).
(٣) في الموازنة: (فيه).
(٤) في الموازنة: (فمن ذلك).
(٥) ديوانه، ق٥٠٢، ب١، ١٢٥٣، وهو مطلع قصيدة في مدح أبي سعيد الثغري، والموازنة ١: ٤٦٧، وصدره في عبث الوليد: ٢٧٤. قال الآمديُّ في الموازنة ١: ٨: «وقد أخبرني أنا رجل من أهل الجزيرة يكنى أبا الوضّاح - وكان عالمًا بشعر أبي تمام والبحتريّ وأخبارهما - أنَّ القصيدة التي سمعها أبو تمام من البحتري عند محمد بن يوسف -وكان اجتماعهما وتعارفهما- القصيدة التي أولها:
فيمَ ابتداركما الملامَ ولوعا ... أبكيتَ إلا دمنةً وربوعا؟
وأنه لما بلغ إلى قوله:
في منزلٍ ضنكٍ تخالُ به القنا ... بين الضلوع إذا انْحنين ضلوعا
نهض أبو تمام فقبَّل بين عينيه سرورًا به، وتحفيًّا بالطائية، ثم قال: أبى الله إلا أن يكون الشعر يمينًا».
(٦) في الأصل: (فيما).
(٧) ديوانه، ق٥٠٥، ب١، ١٢٦٣، وهو مطلع قصيدة في مدح الحسن بن وهب، والبيت في: الموازنة ١: ٤٦٨، والمنازل والديار: ٤٥، وصدره في: عبث الوليد: ٢٧٥.

[الطويل]

خُـذا مِـن بُـكـاءٍ[1] فـي المَـنـازِلِ أَو دَعـا

وَرُوْحـــا عَـلـى لَـومْـي بِـهِـنَّ أَوِ اربَـعـا

وهذا بيت جيد حسن.

وقوله أيضًا[2]:

[الخفيف]

ذاكَ وادي الأَراكِ[3] فَـاحـبِـس قَـلـيـلا

مُـقـصِـرًا مِـن مَـلامَـتِـي[4] أَو مُـطـيـلا

وهذا بيتٌ جيِّدٌ حَسَنٌ، بارعُ اللفْظِ والمعنى، وقد ذكرتُه أَيضًا في بابِ الوقوفِ على الديارِ.

وقوله[5]:

[الكامل]

أَحْـــرى الخُـطُـوبِ بَـــأَنْ يَـكـونَ عَـظـيـمـا

قَـــولُ الجَـهـولِ: أَلا تَـكـونُ حَـلـيـمـا؟!

وقوله[6]:

(١) في الديوان: (مِنْ بكاءٍ)، وفي بقية المصادر كما هي هنا. اربعا: أقيما فيها.

(٢) ديوانه، ق٦٧٧، ب١، ١٧٦٢، من قصيدة في مدح أبي جعفر محمد بن علي بن عيسى القُمّي. وهو في: الزهرة: ٢١٤، والموازنة ١: ٤٦٨، وشرح نهج البلاغة ٧: ١٨٥.

(٣) وادي الأراك: قيل: هو موضع في عرفة، وقيل: هو وادٍ في مكَّة.

(٤) في شرح نهج البلاغة: (مقْصرًا في ملامةٍ).

(٥) ديوانه، ق٧٥٨، ١٩٦٠، وهو مطلع قصيدة يمدح بها الحسنَ بن سهل. وهو في: الموازنة ١: ٤٦٨، وصدره في: عبث الوليد: ٤٥٥.

(٦) ديوانه، ق٥٤، ب١، ١٥٨، وهو مطلع قصيدة في مديح الحسن بن وهب، وهو في: الموازنة ١: ٤٦٨، والمنازل والديار: ٨٨.

[الكامل]

أَحْــرى الخُــطُــوبِ بَــأَنْ يَـكـونَ عَظيمًا
فَــاذهَـب عَـلـى مَـهَـلٍ فَـلَـيـسَ[1] بِـذاهِـبِ

وقوله[2]:

[الكامل]

فــي غَـيـرِ شَــأنِـكَ بُـكْـرَتـي وَأَصـيـلـي
وَسِـــوى سَـبـيـلِـكَ فـي الـسُـلُـوِّ سَبيلي

وقوله[3]:

[الخفيف]

بَـعـضَ هَــذا الـعِـتـابِ[4] وَالـتَّـفـنـيـدِ
لَـيـسَ ذَمُّ الــوَفــاءِ بِـالــمَـحـمـودِ

ولهما أَيضًا في تأنيب العُذَّال في غير الوقوف على الديار، ابتداءَات ليس بضائر ذكرها هـهنا.

فمن ذلك قولُ أَبي تمَّام[5]:

[الطويل]

تَـقـي جَـمَـحـاتـي لَـسـتُ طَــوعَ مُـؤَنِّـبـي
وَلَـيـسَ جَـنـيـبـي إِن عَـذَلـتِ بِمُـصـحِـبـي[6]

(١) في المنازل والديار: (.... فلست).

(٢) ديوانه، ق٧٠٢، ب١، ص١٨٣٨، وهو مطلع قصيدة مدح بها إسحق بن إسماعيل ابن نَيْبُخت سنة ٢٦٨ هـ، وهو في: الموازنة ١: ٤٦٨، وصدر البيت في: عبث الوليد: ٤٣٤. البُكْرة: الغدوة ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس. والأصيل: ما بين العصر والمغرب. السلوّ: النسيان.

(٣) ديوانه، ق ٢٥٩، ب١، ص ٦٣٢، وهو مطلع قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزّيات. وهو في الموازنة ١: ٤٦٩.

(٤) في الديوان والموازنة: (بعضَ هذا الملام...). التّفنيد: التّخطيء والتكذيب.

(٥) ديوانه، ق ١١، ب ١، ١: ١٤٦، مطلع قصيدة يمدح بها عيّاش بن لهيعة الحضرمي، وهو في: الموازنة ١: ٤٦٩.

(٦) تقي: فعل أمر من الفعل تَقَاهُ يتّقيه مخفَّفًا. جمحاتي: جمع جَمْحة، من جمح الفرس إذا أسرع. طَوْع: مطيع، فاستخدم المصدر موضع اسم الفاعل، وهو أسلوب عربي، ومنه: رجل عَدْل بمعنى عادل، وزوْر بمعنى زائر. الجنيبُ: هوى النفس. قال التبريزي: «والجنيبُ: المجنوبُ، وهو هواه ونفسه، وإنما يجنبهما غيرُه، ولكنّ أضافهما إلى نفسه لتعلّقهما به». شرح ديوان أبي تمام ١: ١٤٦.



وقوله أَيضًا[1]:

[الخفيف]

دَابُ عَيـنـي الـبُـكـاءُ وَالحُــزنُ دابـي

فَـاتـرُكـيـنـي -وُقـيـتِ مـا بــي- لِمـا بي

وقوله أَيضًا[2]:

[الكامل]

كُـفّـي وَغــاكِ فَـإِنَّـنـي لَـكِ قـالـي

لَـيـسَـت هَــوادي عَـزمَـتـي بِـتَـوالـي

وقوله أَيضًا[3]:

[الكامل]

لامَــتــهُ لامَ عَـشـيـرُهـا وَحَـمـيـمُـهـا

مِـنـهـا خَـلائِـقُ قَـد أَبَــرَّ[4] ذَمـيـمُـهـا

وقوله أَيضًا[5]:

[الطويل]

مَـتـى كـانَ سَـمـعي خُـلسَـةً لِـلَّـوائِـمِ[6]

وَكَـيـفَ صَـغَـتْ لِـلـعـاذِلاتِ عَـزائِـمـي

---

(١) ديوانه، ق١٨٥، ب١، ٤: ٥١، وهو مطلع قصيدة يرثي بها أحمد بن هارون القرشيّ، وهو في: الموازنة ١: ٤٦٩. الدّابُ: مخفَّف الدّأب، وهو العادة.

(٢) ديوانه، ق١٢٥، ب١، ٣: ٧٦ وهو في: الموازنة ١: ٤٦٩، العَزَمة: العزيمة. الهوادي: جمع الهادي، وهي من الليل: أوائله، ومن الإبل: أول رعيل يطلع منها.

(٣) ديوانه، ق١٥٣، ب١، ٣: ٢٧٢، والموازنة ١: ٤٦٩، العشيرُ: المَعَاشِرُ. الحميم: القريب. أبنَّ: لزمن. وفي رواية أخرى: (أبرَّ).

(٤) في الموازنة: (... قد أبرَّ...)، وهي رواية ثانية في الديوان.

(٥) ديوانه، ق١٤٣، ب١، ٣: ٢١٩، والموازنة ١: ٤٧٠.

(٦) الكلمة غير واضحة في الأصل المخطوط.



فمن(١) شأن الشاعر الْحضَري أَن يأتي في شعره بألفاظ(٢) العربية المستعملة في كلام الحاضرة، فإن اختار أَن يأتي بما لا يستعمله أَهلُ الحضرِ، فمن سبيله أَن يَجْعله من المستعمل في كلام أَهل البدْو دون الوحشيِّ الذي يقلّ استعمالهم إياه، وأَن يجعلَه متفرقًا في تضاعيفِ أَلفاظهِ، ويضعَه في مواضعه، فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به، ودل على فصاحته وعلمهِ، وتخلَّصَ من الهُجنة. كما أَن الشاعرَ الأَعرابيَّ إِذا أَتى في شعرهِ بالوحشيّ الذي يقلُّ استعمالُه إِيَّاهُ في منثورِ كلامهِ وما يجري دائمًا في عادتهِ – هَجَّنه وقَبَّحه، إِلَّا أَن يُضْطر إِلى اللفظة واللفظَتيْن، ويقلِّل، ولا يكثر(٣)؛ فإِنَّ الكلام أَجناسٌ إِذا أَتى منهُ شيءٌ مع غير جنسه بايَنَه ونافره وأَظهر قبحَهُ. وقد تَصَرّف البحتري في هذا الباب أَحْسَنَ تصرُّفٍ وأَبلغَه وأَعجبَه. فمن ذلك قوله(٤):

[البسيط]

[20/ب] أَتـارِكـي أَنـتَ أَم مُغرًى بِتَعذيبي
وَلائِـمـي فـي الـهَـوى إِن كـانَ يُـزري بي

وقوله أَيضًا(٥):

[البسيط]

يُـفَـنِّـدونَ وَهُـمْ أَدْنـى إِلـى الـفَـنَـدِ
وَيُـرشِـدُونَ وَمـا الـعُـذَّالُ مِـن رَشَـدي

وقوله(٦):

---

(١) هنا ينتهي المحذوف من كتاب (الموازنة).
(٢) في الموازنة: (بالألفاظ....).
(٣) في الموازنة ١ : ٤٧٢ : (يستكثر)
(٤) ديوانه، ق٣٢، ب١، ١ : ٩٣، وهو مطلع بيت في مديح أبي جعفر أحمد بن محمد الطائي. وهو في الموازنة ١ : ٤٧٢، وصدره في: عبث الوليد : ٦١.
(٥) ديوانه، ق٢٦٣، ب١، ٢ : ٦٥٨، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا صالح بن يزدادَ. وهو في: الموازنة ١ : ٤٧٢، وصدره في: عبث الوليد :١٣٩.
(٦) في الموازنة: (وقوله أيضًا).

[الخفيف]

إِنَّمــــا الــغَــيُّ أَن يَــكــونَ رَشــيــدًا
فَــانــقُــصــا مِــن مَــلامِــهِ أَو فَــزيــدا[(١)]

وقوله[(٢)]:

[الطويل]

أَلَــم يَــكُ فــي وَجــدي وَبَــــرحِ تَــلَــدُّدي
نِــهــايَــةُ نَــهــيٍ لِــلــعَــدُوِّ الــمُــفَــنِّــدِ

وقوله[(٣)]:

[الكامل]

مَــرَنَــت مَــســامِــعُــهُ عَــلــى الــتَّــفــنــيــدِ
فَــعَــصــى الــمَــلامُ لِأَعــيــنٍ وَخُــدودِ

وقوله[(٤)]:

[الكامل]

شُــغــلانِ مِــن عَــذَلٍ وَمِــن تَــفــنــيــدِ
وَرَســيــسِ حُــبٍّ طــارِفٍ وَتَــلــيــدِ

وقوله[(٥)]:

(١) ديوانه، ق٢٤٧، ب١، ١: ٥٩٠، وهو مطلع قصيدة يفتخر فيها، وهو في الموازنة ١: ٤٧٢.

(٢) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٣٢٦، ب١، ٢: ٨١٥. وهو مطلع قصيدة يمدح بها ابنَ نُصَيْر (ت ٢٩٧)، وهو في الموازنة ١: ٤٧٢. التلدُّد: التحيُّر والتيه. المفنَّد: الموصوف بالخطأ قولًا ورأيًا.

(٣) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٣٢٧، ب١، ٢: ٨١٨، وهو مطلع قصيدة يمدح بها سعيد ابن هارون. وهو في: الموازنة ١: ٤٧٢.

(٤) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٢٧٦، ب١، ٢: ٦٩٧؛ وهو مطلع قصيدة في مدح المتوكل (ت٢٤٧هـ). وهو في: الموازنة ١: ٤٧٢. وصدره في: عبث الوليد: ١٧٤. رسيس الحبّ: أوّله. الطّارف: الجديد. التّليد: القديم.

(٥) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٣٤١، ب١، ٢: ٨٥٢، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها المهتدي بالله. وهو في: الموازنة ١: ٤٧٢، ومصارع العشّاق: ١٨.

[الخفيف]

أَقــصِــرا لَـيـسَ شَـأنِـيَ الإِقـصـارُ
وَأَقِـــلا لَــنْ يُـغـنِـيَ الإِكـثـارُ

وقوله[1]:

[الرَّمل]

قُـلـتُ لِـلّائِـمِ فـي الحُـبِّ أَفِـقْ
لا تُـهَـوِّنْ طَـعـمَ شَـيءٍ لَـم تَـذُقْ

وقوله[2]:

[الطويل]

أَمـا كـانَ فـي تِـلـكَ الـرُّبُـوعِ الـسَـوائِـلِ
بَـيـانٌ لِـنـاهٍ، أَو جَـوابٌ لِـسـائِـلِ

وقوله[3]:

[الكامل]

أَكـثَـرتَ فـي لَـومِ الـمُـحِـبِّ فَـأَقـلِـلِ
وَأَمَـرتَ بِـالـصَّـبـرِ الجَـمـيـلِ فَـأَجـمِـلِ

[٢١/أ] وقوله[4]:

(١) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٥٧٥، ب١، ٣: ١٤٦٧. وهو في مدح صاعد بن مَخْلد وهجاء يعقوب بن أحمد بن شيزراد. وهو في: الموازنة ١: ٤٧٣. وصدره في: عبث الوليد: ٣٣٧.

(٢) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٧٣٥، ص١٨٩٧، وهو مطلع قصيدة يهجو بها قومًا من أهل بلده، وهو في: الموازنة ١: ٤٧٣.

(٣) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٦٨٨، ب١، ب١٧٩٥، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها محمد ابن عبدالملك الهاشمي. وهو في الموازنة ١: ٤٧٣، والمنازل والديار: ٤٥. أجْمِل: كُنْ لطيفًا.

(٤) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٨٥١، ب١، ص٢٢٧٥، مطلع قصيدة في مدح الحسن بن وهب، وهو في: الموازنة ١: ٤٧٣.

[الوافر]

رُوَيــــدَكَ إِنَّ شَــأنَــكَ غَــيــرُ شـانـي

وقــصْـــدَك[1] لَــســتُ طــاعَــة مَــن نَــهـانـي

وقوله[2]:

[البسيط]

يَــكــادُ عــاذِلُــنــا فــي الحُـــبِّ يُـغْـريـنـا

فَـمـا لَجـاجُـكَ فـي لَـــومِ الـمُـحِـبّـيـنـا

وقوله[3]:

[الوافر]

عَـــذيـــري فــيــكَ مِـــنْ لاحٍ إذا مـا

شَــكَــوتُ الحُـــبَّ حَــرَّقَــنــي[4] مَـلامـا

وقوله[5]:

---

(١) في الأصل: (وقصدك) ورواية الديوان والموازنة: (وقصّرك)، أي: أقصِرْ وخفّف اللوم. وليست رواية الأصل ببعيدة عن الصواب، والمراد: (اقْصِدْ)، أي كنْ عادلًا مستقيمًا متوازنًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان:١٩].

(٢) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٨٢٦، ب١، ص٢٢٠٠، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الجيش خُمارويه بن أحمد بن طولون. وهو في: الموازنة ١: ٤٧٣، وصدره في: عبث الوليد: ٥٠٧، وتمام المتون: ١٣. اللَّجاجُ واللَّجاجة: الخصومة.

(٣) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٧٦٩، ب١، ص٢٠٠٨، مطلع قصيدة في مدح المتوكل. وهو في الموازنة ١: ٤٧٣، وصدره في: عبث الوليد: ٤٦٧، والعمدة ١: ١٨٧. العذير: الكثير، التماس العذر لغيره. اللاحي: اللّائم.

(٤) في العمدة ١: ١٨٧: (وقطّعني ملاما).

(٥) في الموازنة: (وقوله أيضًا). والبيت في ديوانه، ق٧٦٣، ب١، ص١٩٨٧، في مدح أبي نهشل محمد بن حُميّد الطّوسي ويصف فرسًا. في ديوانه: (لا عند كَبرَته). والبيت في: أخبار البحتري: ٥٣، ٩٣، والزهرة: ٣٢٨، والموازنة ١: ٤٧٣، وصدره في: عبث الوليد: ٤٦٥. الكرَّة: الإقدام. الإحجام: النُّكوص والرجوع.

[الكامل]

طَـفِـقَـتْ تَـلــومُ، وَلاتَ حــينَ مَـلامِــهِ

لا عِــنــدَ كَـــرَّتِــــهِ وَلا إِحـــجــامِــهِ

ولا خفاءَ بتفضيل[1] البحتريِّ أيضًا[2] على أَبي تمام في هذا الباب.

وهذا[3] ما جاء عنهما من الابتداءَات بذكر الدِّيار والآثار. والآن فأَذكر ما جاءَ عنهما من ذلك في وسط الكلام، وبالله المستعان.

****

(١) في الموازنة: (لفضل).

(٢) ليست في الموازنة.

(٣) في الموازنة: (وقد مضت الموازنة بين الابتداءَات بذكر الديار والآثار، وأَما الآن فأَذكر...).

الفصل الحادي عشر

في ذكر ما قالاه[1] في أوصاف الدِّيار والبكاء عليها

قال أبو تمام[2]:

[الكامل]

طَـلَـلَ الجَـمـيـعِ لَـقَـد عَـفَـوتَ حَـمـيدا
وَكَـفـى عَـلـى رُزئـي بِـذاكَ شَـهـيدا

دِمَـنٌ كَـأَنَّ الـبَـيـنَ أَصـبَـحَ طـالِـبًا
دَمِـنًـا لَـدى آرامِـهـا وَحُـقـودا

قَـرَّبـتَ نـازِحَـةَ الـقُـلـوبِ مِـنَ الجَـوى
وَتَـرَكـتَ شَـأوَ الـدَّمـعِ فـيـكَ بَـعـيـدا

خَـضِـلاً إِذا الـعَـبَـراتُ لَـم تَـبـرَحْ لَـها
وَطَـنًـا سَـرى قَـلِـقَ الـمَـحَـلِّ طَـريـدا

وقوله: «وكَفى على رُزئي بذاكَ شهيدا» ليسَ بالجيِّد، وقد ذكرتُ معناهُ فيما تقدَّم من ذكر معانيه في باب الابتداءَات عند ذكر البيت.

[٢١/ب] وقوله: «قَرّبتَ نازحة القلوب من الجوى» يريد القلوب التي بَعُدَ عهدُها بمرضِ الحب فأَدنيتها من ذاك عند الوقوف عليك، يخاطب الطَّلَلَ أَو الدِّمنَ.

(١) في الموازنة: (ما قالا...).

(٢) ديوانه، ق٤٠، ب١-٤، ١: ٤٠٥ و٤٠٦. من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني، وهي: الموازنة ١: ٤٧٤.

وقوله: «وتركتَ شأْوَ الدمْعِ فيكَ بعيدا» أَيْ دائمًا طويلا[1].

وقوله: «خَضِلًا........ إلى آخر البيت»، أَي: مَنْ كانَ إنَّما يبكي في وطنهِ على الحوادثِ التي تحدُث[2] فيه، سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل طريدًا، أيْ اعْتَسفَ المسيرَ لطولهِ حتّى حلّ بهذهِ الدِّمن.

وهذا نحوٌ من قوله[3]:

[البسيط]

فَما وَجَدتُ عَلى الأَحشاءِ أَبْرَدَ مِن
دَمعٍ عَلى وَطَنٍ لي في سِوى وَطَني

فقوله: «على وطنٍ لي» يعني الرّسومَ والطّلولَ الَّتي يقفُ عليها.

وهذا منْ جيِّدِ ألفاظهِ وصحيحِ معانيهِ، وغَرضُه فيما وصفَ منَ الدمعِ غرضٌ حَسَنٌ، وأَحسنُ منهُ وأَلطَفُ وأَغربُ قوله[4]:

[البسيط]

أَما الرُّسومُ فَقَدْ أَذكَرنَ ما سَلَفا
فَلا تَكُفَّنَّ عَن شَأنَيكَ أَو يَكِفا
لا عُذرَ لِلصَبِّ أَنْ يَقنَى السُّلوَّ[5] وَلا
لِلدَمعِ بَعدَ مُضِيِّ الحَيِّ أَن يَقِفا
حَتّى يَظَلَّ بِماءٍ سافِحٍ وَدَمٍ
في الرَّبعِ يُحسَبُ مِن عَينَيهِ قَد رَعَفا

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل المخطوط.

(٢) في الموازنة: (تحدُث عليه فيه).

(٣) ديوانه، ق١٧٠، ب٦، ٣: ٣٣٨، وروايته: (فما وجدت على الأحشاء أوقدَ من....).

(٤) ديوانه، ق٩٦، ب١-٣، ٢: ٣٥٩، من قصيدة في مدح أبي دُلَف القاسم بن عيسى العجلي، وهي في الموازنة ١: ٤٧٥.

(٥) في الديوان: (الحياء....). يقني السلوّ: يمسكه ويذخره.

وهذا المعنى ليس له، وإنما أَخذه من قول أَبي وَجْزَة[1] السَّعْدي:

[الطويل]

عُــيُــونٌ تَــرَامــى بــالــرُّعَــافِ كــأَنَّـهـا
مِـنَ الـشَّـوْقِ صِـــرْدَانٌ تَـــدِفُّ وتَـلْـمَـعُ[2]

قيل في تفسيره: شبَّهَ الدَّمْعَ وقد عَصْفَره الدّمُ بالرُّعَافِ، وشَبَّهَ العيونَ - وهي تفيضُ بالدمع تارةً وتحبسه أخرى - بالصِّردان تَنْتَفض تارة وتظهر قريبًا من الأَرض تارة. وبيت أَبي تمام أَجود لفظًا ونظمًا.

[٢٢/أ]ولا أَعلمُ البحتريَّ ذهبَ إلى مثْلِ هذا المعنى، ولا المعنى[3] الذي قبله في وصفِ الدمع، ولكنهُ يعتذرُ مرةً بِقلَّة دمعه، ومرةً يذكرُ كثرتَه ويفتخرُ بِغَزْرِه، وفي كل ذلك يُحْسِنُ ويجيد. فمن اعتذارِهِ قولهُ في قصيدتهِ الّتي أَوّلها:

[الكامل]

فــيــمَ ابــتِــدارُكُــمُ الــمَــلامَ وَلــوعــا
أَبَــكَــيــتُ إلّا دِمــنَــةً وَرُبــوعــا؟[4]
يــا دارُ غَــيَّــرَهــا الــزَّمــانُ وَفَــرَّقَــت
عَـنـهـا الحَـــوادِثُ شَـمـلَـهـا الـمَـجـمـوعـا
لَــو كــانَ لــي دَمــعٌ يُـحَـسِّـنُ لَـوعَـتـي
لَــتَـرَكـتُـهُ فــي عَـرْصَـتَـيـكِ خَـلـيـعـا

(١) في الأصل: (وجْرَة)، وهو تصحيف. وأبو وجزة: هو يزيد بن عبيد السعدي، من سُلَيْمٍ محتدًا، ونسب إلى سَعْد لنزوله فيهم وإقامته عندهم.
(٢) والبيت في شعره، ق٤١، ب٩، ص٩٩، والبيت في: الموازنة ١: ٤٧٥. ونسبه الأزهري إلى نصيب بن رياح. الرُّعاف: سيلان الأنف. صِرْدان: جمع صُرَدٍ، وهو طائر شبيه بالعصفور إلا أنه أكبر. تدفُّ: تطير فوق الأرض.
(٣) في الموازنة: (ولا للمعنى).
(٤) ديوانه، ق٥٠٢، ب١-٥، ١٢٥٣ و١٢٥٤، من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف الثّغري. وهي في: الموازنة ١: ٤٧٦، وصدر البيت الأول منها في: عبث الوليد: ٢٧٤.

لا تَـخـطُـبـي دَمـعـي إِلَـــيَّ فَـلَـم يَــدَعْ
فـي مُـقـلَـتَـيَّ جَـــوى الــفِــراقِ دُمـوعـا

فقوله في ابتداء القصيدة: «أَبَكَيْتُ إِلّا دمنةً ورُبوعا» قد أَخبر أَنه بكى ثم قال: «لو كان لي دمعٌ يحسِّنُ لوعتي» أَي: لو كانَ لي دمعٌ غزير يليق بلَوْعَتي ويبين عنها.

وكذلك قوله: «فلم يدع في مقلتيَّ جوى الفراقِ دموعا» أَي: دموعًا كافيةً أَرضاها، أَو دموعًا تشفيني[1]: لأَنه استقلَّ دَمعَهُ واستنزرَهُ[2]، أَو أَنْ يكونَ انقطعَ دمعهُ.

ولله درُّ كثيِّر إِذ يقول[3]:

[الطويل]

وَقَــضَّــيْنَ مَــا قـضَّــيْنَ ثُــمَّ تَـرَكْـنَـنِـي
بـفَـيْـفـا خُـــــرَيْمٍ وَاقِــفًـــا أَتَـــلَـــدَّدُ
وَلَـــم أَرَ مِـثـلَ الـعَـينِ ضَـنَّـت بِمـائِـهـا
عَـلـيَّ وَلا مِـثـلـي عَـلـى الـدَّمـعِ يَـحـسُـدُ

وقال أبو تمام[4]:

[الكامل]

أَقَــشَــيــبَ رَبــعِــهِــمُ أَراكَ دَريـسـا
وَقِـــرى ضُـيـوفِـكَ لَــوعَــةً وَرَسـيـسـا
وَلَـئِـنْ حُـبِـستَ عَلـى البِلـى لَـقَـدِ اغـتَـدى
دَمـعـي عَـلَـيـكَ إِلـى الـمَـمـاتِ حَـبـيـسـا

(١) في الموازنة: (تسعفني).
(٢) استنزره: رأى نَزْرًا، أي قليلًا.
(٣) الأول منهما في ديوان كُثيِّر، ق٩٠، ب١٥، ص٤٣٩، وروايته: (فأجمعْن بينًا عاجلًا وتركنني...). وقد سبق تخريجه. والبيت الثاني هو البيت السادس من القصيدة نفسها، ص٤٣٧.
(٤) ديوانه، ق٨٣، ب١-٥، ٢: ٢٦٢، وهي من قصيدة في مدح أبي المغيث موسى بن إبراهيم، وهي في: الموازنة ١: ٤٧٧.

وَأَرى رُبــوعَــكَ مــوحِــشــاتٍ بَــعــدَهــا

قَــدْ كُــنــتَ مَــأْلــوفَ المَحَــــلِّ أَنــيــسـا

[22/ب] وَبَـلاقِـعًـا حَـتَّـى كـأَنَّ قَطِينَهَا

حَـلَـفُـوا يَمِـيـنًـا أُخْـلِـفـنْـكَ غَـمُـوسَـا

أَي(١): كأنهم حلفوا يمينًا أَلَّا يعودَ إِليكَ فأَخلفَكَ ذلك.وهذا كلام رَصِينٌ، وقوله(٢): «حلفوا يمينًا أَخلفنك».

ومن حُلو معانيهِ وجيِّدِ أَلفاظهِ في البكاء على الديار قولُه(٣):

[الكامل]

دِمَــــنٌ لَــــوَتْ عَــــزمَ الـــفُـــؤادِ وَمَــزَّقَــت

فــيــهــا دُمــــــوعَ الــعَـــيــنِ كُــــلَّ مُمَـــــزَّقِ

وقوله أَيضًا(٤):

[الوافر]

سَـقـى عَـهـدَ الحِـمـى سَـبَـلُ الـعِـهـادِ

وَرَوَّضَ حــاضِــرٌ مِــنــهُ وَبــــادِي

نَــزَحــتُ بِـــهِ رَكِــــيَّ(٥) الــعَــيـنِ لَمّــا

رَأَيـــتُ الــدَّمـعَ مِــن خَــيـرِ الــعَـتـادِ

---

(١) في الموازنة جاء ترتيب العبارة على نقيض ترتيبها في الأصل، فجاء قوله: (وهذا .... وقوله .... أي) قبل قوله: (أي....).

(٢) (قوله .... أخلفنك): ليست في الموازنة.

(٣) ديوانه، ق١٠٣، ب٢، ٢: ٤٠٦، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرسًا حمله عليه، وهو في الموازنة ١: ٤٧٧.

(٤) ديوانه، ٣٥، ب١ و٢، ١: ٣٦٩، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا عبدالله أحمد بن أبي دؤاد. وهو في: الموازنة ١: ٤٧٧ والبيت الأول في الموازنة ١: ٤٦٣. العهد: المنزل أو الزمان الذي عهدهم فيه.

(٥) الرُّكِيَّ: جمع رَكيّة، وهي البئر، وتجمع على: ركايا وركًا. القاموس (ركي) وقد ضبطها محقق الديوان (رَكيّ) بفتح الراء، وهو خطأ.

وهذا بيتٌ[1] في غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وَصله بكلِّ تخليطٍ، فقال[2]:

[الوافر]

فَـيـا حُـسـنَ الـرُّسـومِ وَمـا تَمَـشّـى
إِلَـيـهـا الـدَّهـرُ فـي صُـوَرِ الـبُـعـادِ

وهذا بيتٌ في غايةِ الرداءَةِ والسَّخافةِ لفظه ومعناه يريد: فيا حُسنَ الرسوم ولم يمشِ إليها الدهرُ؛ أَي: لم يُصبْها الدَّهرُ ببُعدِ أَهلها عنْها، فأدرجه بهذا اللفظ[3] هذا المُخْرجَ القبيحَ المستهجنَ.

ومنْ إِحسانِ البحتريِّ المشهورِ في هذا، قولُه[4]:

[الكامل]

أَمَـحَـلَّـتَـيْ سَـلْـمـى بِـكـاظِـمَـةَ اسلَـمـا
وَتَـعَـلَّـمـا أَنَّ الجَـوى مـا هِـجـتُـمـا
هَـل تُـرويـانِ مِـنَ الأَحِـبَّـةِ هـائِـمًـا
أَو تُـسـعِـدانِ عَـلـى الـصَّـبـابَـةِ مُـغـرَمـا
أَبـكـيـكُـمـا دَمـعًـا وَلَـو أَنّـي عَـلـى
قَـدْرِ الجَـوى أَبـكـي بَـكَـيـتُـكُـمـا دَمـا

ومن جيِّدِ أَشعارِ أبي تمّامٍ في هذا البابِ أَيضًا، قوله[5]:

---

(١) في الموازنة: (البيت).

(٢) هو البيت الثالث من القصيدة التي منها البيتان السابقان.

(٣) في الموازنة: (فأخرجه هذا المُخْرج.....).

(٤) ديوانه، ق٧٥٦، ب١-٣، ص١٩٥٤، من قصيدة يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدبِّر. والأبيات في: الموازنة ١: ٤٧٨، والمنازل والديار: ١٩٩. وصدر البيت الأول في: عبث الوليد: ٤٥٤. والبيتان الأول والثالث في الزهرة: ٢١٧، والبيت الثالث في: سرّ الفصاحة: ١٥٣، والإيضاح: ٢٥١، ومعاهد التنصيص: ٢٩٤.

(٥) ديوانه، ق١٣٤، ب١-٥، ٣: ١٦٠، من قصيدة يمدح فيها بني عبد الكريم الطائيّين، وهي في: الموازنة ١: ٤٧٨. المألف: المكان الذي يألفه المرء. رامة: اسم مكان.

[الوافر]

أَرامَـــــةُ كُـنْـتِ مَـأْلَـفَ كُـلِّ ريمِ
لَـوِ اسـتَـمْـتَـعْـتِ بـالأُنـسِ المـقـيـمِ[1]

[23/أ] أَدارَ الـبُـؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصابي
إِلَـــيَّ فَـصِـرْتِ جَـنّـاتِ الـنَـعـيـمِ

لَـئِـنْ أَصـبَـحْـتِ مَـيْـدانَ الـسَّـوافـي
لَـقَـد أَصـبَـحـتِ مَـيـدانَ الـهُـمـومِ[2]

وَمِمّـا ضَـرَّمَ الـبُـرَحـاءَ أَنّـي
شَـكَـوتُ فَـمـا شَـكَـوتُ إِلـى رَحـيـمِ[3]

أَظُـنُّ الـدَّمْـعَ فـي خَـدّي سَـيَـبـقـى
رُسـومًـا مِـنْ بُـكـائـي فـي الـرُّسـومِ[4]

وهذا من أَسهل كلامه وأَسلس نظمه، ومِنْ أَبعد قولٍ من التكلُّف والتعسُّفِ، وأَشبهِهِ بكلامِ المطبوعين وأَهلِ البلاغة.

قوله[5]: «فصرتِ جنَّاتِ النعيم» معنى حسنٌ، ولكنْ فيه إِسرافٌ أَنْ يجعل دارًا خلتْ من أَهلها – دارَ بؤسٍ وهو باكٍ فيها – جنَّاتِ النَّعيم.

وقد أَتى البحتريُّ بهذا المعنى متّبعًا فيهِ أبا تمّامٍ، ولكنّه جاءَ به على سبيلِ اقتصادٍ واعتدالٍ، وتجنُّبِ الإفراط، فقال[6]:

(١) رواية الديوان: (القديم)، وفي إحدى نسخه المخطوطة (المقيم).
(٢) السَّوافي: مفردها سافية، وهي الرِّيح التي تسفي التراب والغبار وتحمله.
(٣) البُرَحاء: شدَّة المرض والأذى.
(٤) رسومًا: علامات. الرَّسوم: بقايا الديار.
(٥) في الموازنة: (وقوله).
(٦) ديوانه، ق٧٨١، ب١ و٢، ص٢٠٥٧، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل. وهما في: الموازنة ١: ٤٧٩، وصدر البيت الأوَّل في: عبث الوليد: ٤٧٤.

[الخفيف]

يـا مَـغـانـي الأَحـبـابِ صِـرتِ رُسـومـا
وَغَـدا الـدَّهـرُ فـيـكِ عِـنـدي مَـلُـومـا

أَلِـفَ الـبُـؤسُ عَـرصَـتَـيـكِ وَقَـد كُـنـ
ـتِ بِـعَـيـنـيَّ جَـنَّـةً وَنَـعـيـمـا

وقال[1]: «أَلف البُؤسُ عَرصْتيك» ثم قال: «وقد كنت بعينَّي جنةً ونعيمًا» فجعلهما جنةً ونعيمًا فيما مضى. ومع هذا فإني أَقول: إن بيت أَبي تمام أَحسنُ، وهو في سائر أَبياته أَشعر.

وقال البحتري[2]:

[الطويل]

لَـعَـمرُ الـرُّسـومِ الـدارِسـاتِ لَـقَد غَـدَت
بِـرَيّـا سُـعـادٍ وَهـيَ طَـيِّـبَـةُ الـعَـرفِ

بَـكَـيـنـا فَـمِـنْ دَمـعٍ يُمـازِجُـهُ دَمٌ
هُـنـاكَ وَمِـن دَمـعٍ تَجـودُ بِـهِ صِـرفِ

وهذا حَسَنٌ جدًّا وإنّما أَخَذَ قولَه: «بريّا سُعادٍ وهي طيِّبةُ العَرْفِ» من قول آخر[3]، وأَنشده الأَخفش[4] عن المبرد[5]:

[المنسرح]

---

(١) في الموازنة: (فقال).

(٢) ديوانه، ق٥٥٢، ب١ و٢، ص١٣٩٤، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي ويعاتبه، وهما في: الموازنة ١: ٤٧٩، والزهرة: ٢٩٣، والأول منهما في الأشباه والنظائر ١: ١٠.

(٣) في الموازنة: (من قول الآخر، أنشده الأخفش عن المبرِّد).

(٤) هو: سعيد بن مَسْعدة، أبو الحسن الأخفش الأوسط. قرأ النحو على سيبويه. قال عنه المبرد: أحفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش. توفي سنة ٢١٥هـ وترجمته في: بغية الوعاة: ١: ٥٩٠، ترجمة رقم ١٢٤٤.

(٥) هو: محمد بن يزيد، أبو العباس المبرد. كان إمامًا في العربية، أخذ عن المازني والسّجستاني. كان ثقة. خلّف كثيرًا من الكتب، وأهمها: المقتضب. توفي سنة ٢٨٥هـ. ترجمته في: بغية الوعاة ١: ٢٦٩-٢٧١.

[23/ب] وَاسْتُودِعَتْ نَشْرَها الدِّيَارُ فمَا
تَــــزْدَادُ إلَّا طِـيـبًـا عَـلـى الْــقِــدَمِ[(١)]

وهذا أَجودُ منْ بيتِ البحتريِّ؛ لما فيهِ منَ الزيادةِ الحَسَنة، وهو قوله: «فما تزدادُ إلا طيبًا على القِدَم».

وقال البحتريُّ[(٢)]:

[الطويل]

تُـرى الـلَّـيـلُ يَقضـي عُـقبَـةً مِـن هَـزيـعِـهِ
أَوِ الـصُـبـحُ يَـجـلـو غُــرَّةً مِـن صَـديـعِـهِ
أَو الــمَـنـزِلُ الـعـافـي يَــرُدُّ أَنـيـسَـهُ
بُــكــاءً عَــلــى أَطــلالِــهِ وَرُبــــوعِــــهِ[(٣)]
إِذا ارتَــفَــقَ الــمُـشـتـاقُ كــانَ سُــهـادُهُ
أَحَــقَّ بِـجَـفـنَـيْ عَـيـنِـهِ مِـن هُـجـوعِـهِ[(٤)]

وهذا لفظ فَحْلٌ، ومعانٍ في غايةِ الصحَّة والاستقامة.

وللبحتريِّ في وصف الديار والبكاء عليها مذهبٌ آخر، وهو حَسَن جدًا ذلك[(٥)] قوله[(٦)]:

---

(١) البيت لأعرابي، وهو في: الأشباه والنظائر ١: ٢، والموازنة ١: ٤٧٩، والأغاني ٧: ٣٣٣، والتذكرة الحمدونية ٢: ١٧٩، ومحاضرات الأدباء ١: ٤٥٨. ونسب إنشاده في بعض المصادر إلى ثعلب.

(٢) ديوانه، ق٥٠٨، ب١-٣، ص١٢٧٥، من قصيدة يمدح بها محمد بن الطاهر. وهي في: الموازنة ١: ٤٨٠. الهزيع: نحو ثلث الليل أو رُبْعه. الغُرَّة: أوّل الشيء. الصديع: الفجر لانصداعه.

(٣) العافي: المندثر الديار.

(٤) ارتفق: استند إلى مرفقه.

(٥) في الموازنة: (ومن ذلك قوله).

(٦) ديوانه، ق٣٨٨، ب١-٤، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حُمَيْد، ويستوهبه غلامًا، وهي في: الموازنة ١: ٤٨٠. والبيت الثاني في المنازل والديار: ٣١٩، ومعاهد التنصيص: ٢٨٨. والبيت الثالث في: الزهرة: ٣٣٦. في: المنازل والديار: ٣٢٠. والبيت الرابع في الزهرة أيضًا: ٣٣٦.

[الخفيف]

أَبُــكــاءً فــي الـــدّارِ بَـعــدَ الــدّارِ
وَسُـــلُـــوًّا بِـــزَيــنَــبٍ عَـــن نَـــوارِ

لا هَـنــاكَ الـشُّــغـلُ الجَـديــدُ بِـحُــزْوى
عَــن رُســـومٍ بِــرامَــتَــينِ قِــفــارِ[1]

مــا ظَـنَـنـتُ الأَهـــواءَ قَـبـلَـكَ تُمحَـى
مِــنْ صُـــدورِ الـعُـشّــاقِ مَـحـوَ الـدِّيـارِ

دِمْـنَــةٌ رَدَّتِ الـهَـوى الـشَـرقَ غَـربًـا
وَأَمـــالَــت نَـهــجَ الــدُّمــوعِ الجَـــواري

وهذا غرضٌ حلوٌ، ومعنى لطيفٌ.

ومثله قولُه ولكنْ ليس فيه ذكر البكاء[2]:

[الطويل]

أَبـيـتُ بِـأَعلـى الحَــزنِ وَالـرَّمـلُ عِـنـدَهُ
مَـــغـــانٍ لَـهـــا مَـــجْـــفُـــوَّةٌ وَطُـــلـــولُ

وَقَـدْ كُـنـتُ أَهــوى الـريـحَ غَـربًـا مهبُّها
فَـقَـد صِـرتُ أَهــوى الـريـحَ وَهــيَ قَـبـولُ

قال ذلك: لأَنّ القَبولَ هي الصَّبا، ومهبُّها من مطْلع الشّمسِ.

ونحوه قوله[3]:

[الرمل]

---

(١) حُزْوى: سبق التعريف به. رامتان: موضع.

(٢) ق٧٠١، ب٢ و٣، ص ١٨٣٠. وهما في: الموازنة ١: ٤٨١.

(٣) ديوانه، ق٨١٣، ب ٥ و٦، ص٢١٥٣. وهما في: الموازنة ١: ٤٨١. الطَّلَقُ: الشوط الواحد في جري الخيل.

كَـلَّـفَـتـنـي أَريَــحــيّــاتُ الـصـبـا
طَـلَـقًـا[1] فـي الـشَـوقِ مُـمـتَـدَّ الـسَـنَنْ
نَـقَّـلـتَـنـي فـي هَــوىً بَـعـدَ هَـوىً
وَابـتَـغَـتْ لـي سَـكَـنًـا بَـعـدَ سَـكَـن

[٢٤/أ] وقوله[2]: «ما ظَنَنتُ الأَهواءَ البيت»، معنى حسنٌ، وإنما أَخذه منْ قول أَبي تمام[3]:

[الكامل]

زَعَـمَـتْ هَـواكَ عَـفا الـغَـداةَ كَـما عَـفَـتْ
مِـنـهـا طُــلـولٌ بِـالـلِّـوى وَرُسـومُ

وبيت البحتريِّ أَحلى وأَبدعُ.

وقال البحتري في وجه آخر، وهو أَيضًا حَسَنٌ لطيفٌ[4]:

[الكامل]

فـي كُـلِّ يَـومٍ دِمـنَـةٌ مِـن حَـيِّـهِـم
تُـقـوي وَرَبــعٌ مِـنـهُـمُ يَـتَـأَبَّـدُ
أَوَمـا كَـفـانـا أَن بَـكَـيـنـا غُـرَّبًـا
حَـتّـى شَـجـانـا بِـالـمَـنـازِلِ ثَـهْـمَـدُ[5]

ومثله[6]:

(١) طمس بعضها، والتكملة من الديوان.
(٢) صدر سبق تخريجه من ضمن ثلاثة أبيات سبقت.
(٣) ديوانه، ق١٦٠، ب٥، ٣: ٢٨٩.
(٤) ديوانه، ق٢٥٨، ب٣ و٤، ص٦٢٧، من قصيدة في مدح أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع المعروف بابن أخت الوزير. وهما في: الموازنة ١: ٤٨١، والبيت الثاني في عبث الوليد: ١٩٠.
(٥) يتأبّدُ: يستوحش. ثَهْمَد: موضع.
(٦) ديوانه، ق٦٣٢، ب ٣ و٤، ص١٦٠٧. وهما في: الموازنة ١: ٤٨٢، والمنازل والديار: ٢٨٨.

[الطويل]

هُوَ الدَّمعُ مَوقوفًا عَلى كُلِّ دِمنَةٍ
تُعَرِّجُ فيها أَو خَليطٍ تُزايِلُه[1]

تَرادَفَهُم خَفْضُ الزَّمانِ وَلينُهُ
وَجادَهُمُ طَلُّ الرَبيعِ وَوابِلُه[2]

وإنما حَذا البحتريُّ هذا المعنى على حَذْوِ قول كُثَيِّر[3]:

[الطويل]

وَكُنتُ امرأً بِالغَوْرِ مِنّي ضَمانَةٌ
وَأُخرى بِنَجدٍ ما تُعيدُ وَما تُبدي

فطورًا أَكُرُّ الطَّرفَ نَحوَ تِهامَةٍ
وَطورًا أَكُرُّ الطَّرفَ كرًّا إِلى نَجدِ

وَأَبكي إِذا فارَقتُ هِندًا صبابَةً
وَأَبكي إِذا فارَقتُ دَعدًا عَلى دَعدِ

وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وحلاوته. ومثله قولُ جرير[4]:

[الوافر]

أَخالِدَ قَد عَلِقتُكِ بَعدَ هِندٍ
فَشَيَّبَني الخَوالِدُ وَالهُنودُ

(١) عرَّج: وقف ولبث. الخليط: الشّريك.

(٢) تَرادفَهُم: جاءهم متتابعًا. الوابل: المطر الغزير.

(٣) ديوانه، ق٩٣، ب١-٣، ص٤٤٥، والموازنة ١: ٤٨٢، والحماسة البصرية: ١٢١٤. والبيت الثاني في: شرح القصائد السبع: ١٥٨، ٣٤٤، والزاهر ١: ١٧٥، والأشباه والنظائر ٢: ٢٥٧.

(٤) ديوانه، ق٥٢، ب٥، ب١٠، ١: ٣١٨ و٣١٩، ورواية الأوّل فيه: (فبلّتني...). وقال الشارح بعد ذكر البيت: (ويروى: فشيبني....). وهما في: الموازنة ١: ٤٨٢. أخالد: أخالدةُ، وهو منادى حذف حرفه الأخير للترخيم. فبلّتني: أظنها تصحيف (تبلتني)، أي أضنتني من العشق.

هَـــوىً بِـتَـهـامَـةٍ وَهَـــوىً بِـنَـجـدٍ
فَـبَـلَّـتـنـي الـتَّـهـائِـمُ وَالـنُّـجـودُ

وقال جرير[1] في نحو هذا[2]:

[الطويل]

إِلـى الـلَـهِ أَشـكـو أَنَّ بِـالـغَـورِ حـاجَـةً
وَأُخـرى إِذا أَبـصَـرتُ نَجـدًا بَـدا لِـيـا[3]

ومثْله قوله أَيضًا[4]:

[الطويل]

[24/ب] أُحبُّ ثَرى نَجْدٍ وَبِالغَوْرِ حَاجَةٌ
فَـغـارَ الـهَـوَى يـا عَـبْـدَ قَـيْـسٍ وَأَنـجَـدا

****

(١) ديوانه، ق٣، ب٣، ١: ٧٥.
(٢) في الموازنة ١: ٤٨٢: (في نحو المعنى).
(٣) الغَوْر: موضع ما بين ذات عِرْق إلى البحر، ويطلق الغوْر على كل ما انحدر مغرِّبًا عن تِهامة.
(٤) ديوان جرير، ق١٣، ب١٤، ١: ٨٥٠.

الفصل الثاني عشر

في ذكر ما قالاه في[1] وصف الأطلال[2] والدِّيار[3] وآثارها

قال أَبو تمام[4]:

[الوافر]

قِفا نُعطِ المَنازِلَ مِن عُيونٍ
لَها في الشَّوقِ أَحساءُ غِزارُ[5]

عَفَت آياتُهُنَّ وَأَيُّ رَبعٍ
يَكونُ لَهُ عَلى الزَمَنِ الخِيارُ؟

أَثافٍ كَالخُدودِ لُطِمنَ حُزنًا
وَنُؤيٍ مِثلَما انفَصَمَ السِوارُ[6]

قوله: «أَحْساء» جمع حَسْيٍ، وهو الماء يغيضُ في الرملِ، فإذا وصلَ إلى الصَّلابة وقفَ فيُحْفَر عنه ويشربُ.

---

(١) (الفصل.... في): ليس في الموازنة.

(٢) في الموازنة: (هذا باب في....).

(٣) في الموازنة: (أطلال الديار....).

(٤) ديوانه، ق٦٥، ب ٢-٥، ٣: ١٥٣، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ابن شُبانة. وهي في: الموازنة ١: ٤٨٣. قال ابن المستوفي: «رواه قومٌ: (حرارُ)، وليس بشيء.... ويروى لها في القلب».

(٥) الأحساء: جمع حَسْي، وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو غِلَظٌ فوقه رملٌ يجمع ماء المطر، وكلَّما نزحت دلْوًا جمَّتْ أخرى، جمعه أحساء وحِسَاء.

(٦) الأثافي: حجارة توضع عليها القِدْر وقد سفَعَتْها النّار. النؤيُ: الحاجز الذي يجعَلُ حول الخباء ليمنع الماء من دخوله.

وقد قال في موضع آخر[١]:

[الطويل]

وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ[٢] ماءَها الوَجْدُ

وقوله: «أَثافٍ كالخدودِ لطمْنَ حُزْنًا» من قول المَرَّارُ الفَقْعَسِي[٣]:

[الكامل]

أَثَــرُ الــوَقــودِ عَـلـى جَـوانِـبِـهـا
بِــخُــدودِهِــنَّ كَــأَنَّــهُ لَــطْــمُ[٤]

وقال البحتريُّ[٥]:

[الخفيف]

عِــوَضٌ مِـنـهُـمُ خَـسـيـسٌ وَقَــد حَـلَّـ
ـلوا الـلِّـوى مَـنـزِلٌ بِـوَجـرَةَ عـافِ[٦]
لَـم تَــدَع فـيـهِ مُـبـلِـيـاتُ الـلَـيـالـي
غَـيـرَ نُـؤيٍ تَسفي عَلَـيـهِ الـسَّـوافـي[٧]
وَأَثــافٍ أَتَــت لَـهـا حِـجَـجٌ دُو
نَ لَـظـى الـنـارِ مُـثَّـلٌ كَـالأَثـافـي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في الموازنة: (يجتلب) بالجيم، وما أثبت رواية الديوان.

(٣) المرَّار الفقعسي: هو المرار بن سعيد الفقعسي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقيل: إنه لم يدرك الدولة العباسية، فهو أمويٌّ. كان أحد لصوص العرب، سجن هو وأخوه بدر، ومات أخوه في السجن، فرثاه المرار رثاءً مؤثرًا. ترجمته في: الشعر والشعراء ٢: ٦٩٩-٧٠١، والمؤتلف والمختلف: ٢٦٨، وخزانة الأدب ٢: ١٩٤-١٩٨. والبيت في: الموازنة ١: ٤٨٣.

(٤) الوقود: ما يوقد به.

(٥) ديوانه، ق٥٤٨، ب٣-٥، ص١٣٨١، من قصيدة يمدح بها أحمد بن علي الإسكافي، وهي في: الموازنة ١: ٤٨٣. والبيت الثالث في: عبث الوليد: ٢١٦.

(٦) الخسيسُ: ما لا قيمة له. وجْرة: موضع بين مكة والبصرة، يكثر فيه الوحش. العافي: المندثر.

(٧) النؤي: ما يُحفرُ حول الخيمة لمنع السيل من الدخول إليها. مبليات الليالي: الليالي التي تمرّ فيبلى ما تمرّ عليه، ويريد قِدَم العهد. السوافي: جمع سافية، وهي الريحُ التي تحمل التراب وتذروه.

قوله: «مُثَّل» أَى قائمة ثابتة «كالأَثافيّ». يريدُ الكواكبَ التي عند الفرقدين وهي ثلاثة، قيل لها أَثافٍ لشبَهها بالأَثافيِّ، فشبّه البحتريُّ الأَثافيَّ بها لثباتها وأنها مُثَّلُ الدهر(١).

قال أَبو حنيفة الدِّينوري(٢) في كتابه كتاب الأَنواء(٣): «في(٤) تثليثهَا طولًا»، ولو شبهها البحتري بالنَّسر الواقع –لأَنه أَشهرُ وأَظهرُ وأَقربُ شَبَهًا– لكانَ ذلك أَحسن وأَليق وأَكشف للمعنى من أَنْ يشبِّهها بشيءٍ إِنمَّا استعيرَ له اسمُها، وليسَ يعرفُه كلُّ أَحدٍ، ولكنَّه جاءَ به منْ أَجلِ القافيةِ.

وقال البُحْتريُّ(٥):

[الطويل]

لَها مَنزِلٌ بَينَ الدَّخولِ فَتوضِحِ
مَتى تَرَهُ عَينُ المُتَيَّمِ تَسفَحِ
عَفا غَيرَ نُؤيٍ دارِسٍ في فِنائِهِ
ثَلاثُ أَثافٍ كَالحَمائِمِ جُنَّحِ

وهذا جيِّدٌ حسن وعلى مَنْهج الشعراء، وأَظنه أَخذه من قول عَديِّ بن زيد(٦):

---

(١) قال المعرِّي: «إذا صحَّت الرواية على هذا، فالمعنى أنَّ هذه الأثافيّ مُثَّل على عادة الأثافيِّ في الديار». عبث الوليد: ٢١٦.

(٢) هو أحمد بن داود، أبو حنيفة الدِّينوري: نحوي لغوي، راوية ثقة، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأخذ كثيرًا عن ابن السكِّيت. له كثير من الكتب، منها: النبات، والأنواء، وغيرها. عرف بالجمع بين علوم اللغة وحكم الفلاسفة. طبع من كتابه (الأنواء) جزء عُثر عليه، وطُبع من كتاب النّبات جملة من الأجزاء التي عثر عليه أيضًا. توفي سنة (٢٨٢ أو ٢٩٠ هـ). ترجمته في: بغية الوعاة، ترجمة رقم (٥٦٥)، ج١، ص٣٠٦.

(٣) كتاب الأنواء: أحد كتب أبي حنيفة الدينوري، طبع –بعد ما عثرَ عليه– بتحقيق الدكتور عزَّة حسن، في مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٦م.

(٤) في الموازنة: (إنَّ تثلثيها طولًا)، ولا وجه لذلك.

(٥) ديوانه، ق١٨٢، ب١و٢، ص٤٥٠، من قصيدة يمدح بها ابن المعتز، وهي في الموازنة ١: ٤٨٤، وصدر الأول في: عبث الوليد: ١٢٠.

(٦) ديوانه، ق١٢، ب٤، ص٧٣، والأغاني ٢: ١٠٣، والموازنة ١: ٤٨٤، وسرقات أبي نواس: ٨٦، والتشبيهات: ١٦٦.

[الرمل]

وثَــــــلاثٍ كَـــالحــــمَــــامَـــاتِ بـهـا
عِـنـدَ مَـجـثَـاهُـنَّ تَـوشـيـمُ الـفَـحَـمْ

قال[1] ابنُ الأَعرابيِّ قال: لا يكونُ «مَجْثاهُنَّ»، إِنّما هو «مجْراهُنَّ».

أَو من قول أَبي نُوَاس[2]:

[الطويل]

كَـمـا اقـتَـرَنَـتْ عِـنـدَ المَـبـيـتِ حَـمـائِـمُ
بـعـيـداتُ تُمْـسِــي مـا لَـهُــنَّ وُكُـــونُ

وهذا أَجودُ منْ بيتِ عديٍّ ومن بيت البحتريِّ.

وقد شبه الأَثافي بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء، والبديع النادر في وصف الأثافي قول كُثيِّر[3]:

[الطويل]

أَمِــنْ آلِ قَـيـلَـةَ بِـالـدَّخـولِ رُسـومُ
وَبِــحَـومَـلٍ طَـلَـلٌ يَـلـوحُ قَـديمُ[4]
لَـعِـبَ الـرِّيـاحُ بِـرَسـمِـهِ فَـأَجَـدَّهُ[5]
جُــونٌ عَــواكِـفُ فـي الـرَّمـادِ جُـثـومُ

---

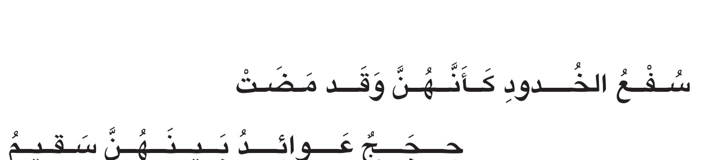
(١) في الموازنة: (وابن الأعرابي).

(٢) ديوانه: ٥١٩، ورواية الديوان: (.... ممسىً). اقترنت: تلاقت واجتمعت. الخوالدُ: الأثافيّ. جون: سود.

(٣) ديوانه، ق١٨، ب١-٣، ص٢٠٥، وهو في: الموازنة ١: ٤٨٥، وأمالي المرتضى ٢: ٣٣.

(٤) الدخول، حومل: موضعان. آل قيلة: قوم محبوبته.

(٥) أجدّه: قطّعه. عواكف: جمع عاكفة، وهي المقيمة. سفع: سود. عوائد: جمع عائدة، وهي التي تزور المريض. قال الشريف المرتضى في أماليه: «ويحتمل وجه آخر، وهو أن يكون معنى (أجدَّت) أنها حَمَتْ الرماد الذي أحاط به عن لعب (الرياح)، فبقي بحاله يستدل به المترسِّم، فكأنَّ الرياح درستْ ربعه ومحته، إلا ما أجدته هذه الأثافي من الرماد، ومنعت الريح منه». أمالي المرتضى ٢: ٣٣.


سُـفْـعُ الخُـــدودِ كَـأَنَّـهُـنَّ وَقَــد مَـضَـتْ
حِـجَـجٌ عَـــوائِـــدُ بَـيـنَـهُـنَّ سَـقـيـمُ

قوله: «فأَجدَّه جَونٌ عَوَاكف»[(١)] يعني الأَثافي؛ لأَن الريح لما كشفت عنها فظهرت [سوداء][(٢)] كأنّها[(٣)] هي أَجدّتِ الرَّسْم.

وقال حُمَيْد بن ثَوْر[(٤)]:

[الطويل]

علـى أَنَّ سُـحْـقًـا مِــنْ رمَــادٍ كـأَنَّـه
حَـصـى إثـمَـدٍ بَــيْـنَ الـصَّـلاءِ سَـحـيـقُ[(٥)]

[٢٥/ب] وقال أَبو سعيد المَخْزُومي[(٦)]:

[الرجز]

يـبـكـي ثــلاثًـــا كــالحَـــمَـــام رُكَّـــدا
تَـسْـفِـي بـهـا الـرّيــحُ رَمَـــادًا أَرْمَـــدَا
كـــأَنمَّـــا يَــطْــحَـــنَّ فـيـهـا إثــمِــدَا

---

(١) زيادة من الموازنة ١: ٤٨٥.

(٢) في الموازنة ١: ٤٨٥: (كانت كأنها هي أجدَّت الرسم، وقال حَمَيْد بن حمور).

(٣) في الموازنة ١: ٤٨٥: (شبَّهها بالعوائد).

(٤) حميد بن ثور بن عبد الله، وقيل ابن حزن بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال الهلالي، ويتصل نسبه بنزار بن معدّ، أبو المثنى: أحد المخضرمين من الشعراء. ترجمته في: معجم الأدباء ٣: ١٢٢٢. والبيت في: ديوانه: ٣٤، والموازنة ١: ٤٨٥.

(٥) ورواية الديوان: (فغادرْنَ مُسْودَّ الرَّماد...). واتفقت رواية عجز البيت ٤٦ من القصيدة نفسها، مع البيت الشاهد، وكلاهما اتفقا مع رواية اللسان (رجع). الإثمدُ: حجر يؤخذ منه الكُحْل. الصَّلاءُ: ما يُدّق فيه الطِّيب ويُطْحن.

(٦) أبو سعيد المخزومي: عمر بن حريث القرشي والد سعيد بن المسيَّب، صحابيٌّ، سكن الكوفة ورأى النبيَّ وسمع منه، ودعا له بالبركة، وخطّ له بالمدينة دارًا، وكان متزوجًا ابنة جرير بن عبد الله البجلي توفي سنة (٨٥ هـ). ترجمته في: الجرح والتعديل، ترجمة رقم (١٢٥٤). والثِّقات لابن حبّان، ترجمة رقم ٨٨٣. والرجز في الموازنة ١: ٤٨٦.

وقال بشَّار بن بُرْد[1]:

[الطويل]

وَمَسجِدِ شَيخٍ كُنتَ في سَنَنِ الصِّبا
تُحَيِّيهِ أَحيانًا وَفيهِ نُكوبُ[2]
غَدا بِثَلاثٍ ما يَنامُ رَقيبُها
وَأَبقى ثَلاثًا ما لَهُنَّ رَقيبُ

غدًا: يريد الشَّيخ غدا بثلاثٍ، أَي بثلاثِ نسوةٍ ما ينام رقيبها، يعني الشَّيخ أنه ما ينام عن رقيبها، وأَبقى ثلاثًا، يعني الأَثافيَّ.

وأَخذ أَبو تمَّام قولَه: «ونُؤْيٍ مثلما انْفَصَم السِّوَارُ» من قول آخر[3]:

[الكامل]

ونُؤْيٌ كما نَقَصَ الهِلالَ مَحاقُه
أَو مِثلُ ما فَصَمَ السِّوَار المِعْصَمُ

وهذا العجُزُ ما لحُسْنه نهايةٌ.

وقال كُثَيِّر[4]:

[الطويل]

عَرَفتُ لِسُعْدى بَعْدَ عِشرينَ حِجَّةً
بِها دَرسُ نُؤيٍ في المَحَلَّةِ مُنحَنِ

(١) ديوانه، ب ٣و٤، ج١، ص ١٨١. في الموازنة: (زمن الصبا).

(٢) مسجد شيخ: موضع سجوده، أي: موضع سقوطه. والشيخ: الجمل، وهو من باب التورية. السَّنَنُ: العادة. قال محقق الديوان الشيخ الطاهر بن عاشور، رحمه الله: «ورأيت في مجموعة أظنها لأبي القاسم الأصفهاني لفظ (الضحى) عوض (الصبى)، وأريد به ترشيح التورية للسجود، لأن وقت الضحى وقت صلاة نافلة الضحى». شرح ديوان بشار ١: ١٨١، ج ٣. نكوب: نكبات ومصائب.

(٣) البيت بلا نسبة في: الموازنة ١: ٤٨٦، وشرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٨٧، وأمالي المرتضى ٢: ٣٤. المحاق: آخر الشهر.

(٤) ديوانه، ق٣١، ب٣ و٤، ص٢٤٨ و٢٤٩، والموازنة ١: ٤٨٦.

قَــديمٌ كَــوَقْــفِ الــعــاجِ ثُـبِّــتَ حَـولَـهُ
مَــغــارِزُ أَوتــــادٍ بِـرَضــمٍ مُـوَضَّــنِ

منْحنٍ[1]: مستدير. والوَقْفُ: السِّوار من الذَّبْل ومن العاج. الرّضم[2]: صخورٌ عظام. والرّضَمُ[3] أيضًا: هضابٌ صغارٌ. والمُوَضَّنْ: هو الذي بعضه فوق بعض. يقول: ضربت الأوتاد بحجارة الرضمة[4].

وما أحسن قول بشّار[5]:

[الطويل]

وَنُــؤيٌ كَـخِـلْـخـالِ الـفَـتـاةِ وَصـائِـمُ
أَشَـــجُّ عَـلـى رَيـــبِ الــزَمــانِ رَقــوبُ[6]

قوله: الصّائِم الأشجّ: يعني الوَتِد. والصَّائم: القائمُ الثّابتُ؛ قالَ النَّابغة[7]:

[البسيط]

خَـيـلٌ صِـيـامٌ وَخَـيـلٌ غَـيـرُ صائِـمَـةٍ
تَحتَ العَجاجِ وَأُخرى تَعلُكُ اللُّجُما[8]

[٢٦/أ] فجعله رَقُوبًا لانفراده على الاستعارة، والمرأة الرَّقُوب، والشَّيخُ الرَّقُوبُ: الذي لا يعيشُ له ولدٌ، والَّذي لا ولَد له فهو ينتظره. والمستعمل في الرُّقْبَةِ أَنْ يقالَ: رَقيب ورَاقِبٌ. وأَظنُّه ذهبَ إلى توكيدِ الفعل، مثل قولهم: ضَارب، فإذا وكّدوا قالوا: ضَروبٌ، كذلكَ، شاربٌ وشَرُوبٌ، وآكل وأَكُول، أَي كثيرُ الأَكلِ والشّرب.

---

(١) في الموازنة: (وقوله: منحن).
(٢) في الموازنة: (الرَّخم)، وهو خطأ.
(٣) في الموازنة: (الرَّخم)، وهو خطأ.
(٤) في الموازنة: (الرَّخمة)، وهو خطأ.
(٥) ديوانه، ب٢، ج١، ص ١٨١، والموازنة ١: ٤٨٧.
(٦) النؤي: ما يُحفر حول الخباء لمنع السَّيل. الصائم: الوتد. الأشجّ: الذي كثرت فيه الشُّقوق من كثرة الدّقّ. ويريد بالصيام: ثبات الوتد في مكانه. رَيْب الزمان: حوادثه ومصائبه. رقوب: كثير المراقبة لها.
(٧) ديوانه، ق١٤، ب٢، ص١١٢، والموازنة ١: ٤٨٧.
(٨) الخيل الصائمةُ: القائمة الثابتة. تعلكُ: تلوك وتمضغ. اللُّجم: جمع لجام، وهو الحديدةُ التي توضع في فيها.

وقال أَبو تمام[1]:

[الكامل]

وَالــنُّــؤيُ أُهــمِــدَ شَــطــرُهُ فَــكَــأَنَّــهُ
تَحــتَ الحَـــوادِثِ حــاجِــبٌ مَــقــرونُ[2]

وهذا أَيضًا في وصْف النؤي حَسَنٌ. ولست أَعرفُ للبحتريِّ في مثْلِ هذا شيئًا، إِلّا ما تشبيه[3] فيه، وهو قوله[4]:

[الكامل]

آثـــارُ نُـــؤيٍ بِـــالــفَــنــاءِ مُــثَــلَّــمٍ
وَرِمـــامُ[5] أَشــعَــثَ بِــالــعَــراءِ مُــشَــجَّــجِ[6]

وهذا على مذاهبُ النّاسِ. وقال النّابغة[7]:

[الطويل]

رَمــادٌ كَــكُــحْــلِ الــعَــيِنِ مــا إِنْ تُــبِــيــنُــه
وَنُـــؤيٌ كَــجِــذمِ الحَـــوضِ أَثــلَــمُ خــاشِــعُ

ووصل البحتريُّ بيتَه بأَن قال[8]:

[الكامل]

---

(١) ديوانه، ق١٦٧، ب٥، ٣: ٣٢٤، والموازنة ١: ٤٨٧، وأمالي المرتضى ٢: ٣٥.
(٢) الحوادث: السَّحابُ والأمطار.
(٣) في الموازنة: (ما لا يشتبه).
(٤) ديوان البحتري، ق١٦٢، ب٢، ١: ٤٠٠، والموازنة ١: ٤٨٨.
(٥) في الأصل: (وزمامٌ)، وهو تصحيف.
(٦) الفِناء: المكان الواسع. الأشعثُ: يريد به الوتد الَّذي تفرَّق لكثرة ما ضُرِب فغدا كالرأس المتناثر الشعب. المشجَّج: الذي شُجَّ رأسه.
(٧) ديوانه، ق٣، ب٤، ص٤٣. والموازنة ١: ٤٨٨. جِذْمُ الحوض: ما تهدَّم من أطرافه. أثلمُ: مخدَّد. خاشع: ثابت وباقٍ.
(٨) ديوانه، ق١٦٢، ب٣-٥، ١: ٤٠٠، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل الطوسيُّ سنة ٢٢٩ ظنًّا، وهو في: الموازنة ١: ٤٨٨، والزهرة: ٢١٥.

دِمَــنٌ كَـمِـثـلِ طَـرائِـقِ الـوَشـي انجَـلَـت
لَمَـعـاتُـهُـنَّ مِـنَ الـــرِّداءِ الــمُـنـهَـجِ[1]

يَـضـعُـفنَ عَــنْ إذكـارِنــا عَـهـدَ الـصَـبـا
أَو أَن يَــهِـجـنَ صَـبــابَــةً لَــم تَـهـتَـجِ

وَلَـــرُبَّ عَـيـشٍ قَـد تَـبَـسَّـمَ ضـاحِـكًـا
عَــن طُــرَّتَــيْ زَمَــنٍ بِـهِـنَّ مُــدَبَّــجِ[2]

وهذا كلُّهُ على مذاهبِ النَّاس.

ونحو قوله: «كمثْلِ طرائقِ الوشي» قولُ النابغة[3]:

[الطويل]

علـى الـعُـصُـرِ الـخـالـي كـأَنَّ رُسُـومَـهَـا
بـتـهـنـيّـة الـركـنـين وَشْــــيٌ مُـرجَّــعُ

مرجَّعُ بعضُه على بعْضٍ في النِّساجَة.

[٢٦/ب] وقال كُثَيِّر[4]:

[الطويل]

مَــغـانــي دِيــــارٍ لا تَـــــزالُ كَـأَنَّـهــا
بـأَصْـعـدةِ الـشَّـطّـان رَيــطٌ مُـضَـلَّـعُ[5]

وقال كُثَيِّر أيضًا[6]:

(١) الطرائق: الخطوط.
(٢) الطرَّتان: مثنى طرَّة، وهي طَرف كل شيء وحرّفه.
(٣) ديوانه، ق٣٨، ب٢، ص١٨٥.
(٤) ديوانه، ق٢٨، ب٨، ص٤٠٢، ومعجم البلدان مع أبيات أخر ٣: ٢٨٨، والموازنة ١: ٤٨٨.
(٥) رواية الأصل: (الشطّار)، وهو تحريض. والشّطّان: واد في المدينة المنورة. معجم البلدان (شطان) ٤: ٢٤٣.
الرّيط: الملاءة. المضلّع: المخطط.
(٦) ديوانه، ق١١٥، ب٣ و٤، ص٤٧٥، والموازنة ١: ٤٨٨، والثاني في: معجم البلدان (يلَبَنُ).

[الخفيف]

غَـشِـــيَ الــرَّكْــبُ رَبـعَــهــا فَـعَـجِـبـنـا
مِــن بِـــلاهُ وَمــــا الـــمَـدى بِـــقَــديمِ[1]

كَـحَــواشــي الــــرِّداءِ قَــد مُـــحَّ مِـنـهُ
بَـعـدَ حُـسـنٍ عَـصـائِـبُ الـتَّـسـهـيـمِ[2]

وهذا حَسَنٌ جدًا.

وقول البحتريّ: «يضعفن عن إِذْكارِنَا عَهدَ الصِّبا» يعني لطول عهدهنّ ودُرُوسِهِنَّ.

وقد تصرّف شعراءُ الجاهليّةِ والإسلامِ في وصفِ آثارِ الدِّيارِ أَحسنَ تصرّفٍ، وأَتوَا فيه بكل تشبيهٍ مستحسَنٍ، ومعنى مستغرب، فمنه قول طرَفَة[3]:

[الطويل]

....

تَـلُـوحُ كَـبَـاقـي الـوَشْـمِ فـي ظاهـر الـيدِ

الوَشْم: أثرُ الحِنَّاء، وخصّ ظاهر اليد: لأَنَّ دُرُوسَه أَسْرَع.

وقال لَبِيد[4]:

[الكامل]

وَجَــلا الـسُـيـولُ عَــنِ الـطُـلـولِ كَـأَنَّـهـا
زُبُــــرٌ تُـجِــــدُّ مُـتــونَــهـا أَقـلامُــهـا

(١) في الديوان : (....بمقيم).
(٢) التّسهم: التخطيط.
(٣) شرح المعلقات السبع: ٢٣.
(٤) البيت من معلَّقة لبيد، وهو في: شرح ديوانه، ق٤٨، ب٨، ص٢٩٩، والموازنة: ١: ٤٨٩، واللسان: (زبر).
الزّبر: الكتب، المتون: الأوساط.

وهذا ما زلتُ أَسمَعُ العلماءَ تَعْجبُ منْ حسنهِ ولطافةِ معناهُ. وكانَ الفرزدقُ إِذا أَنشدَه يسجُدُ ويقول: إِنَّا نعرفُ مكان السجود في الشِّعرِ كما تعرفونه في القرآن[1].

وقال آخرُ[2]، وأَنشدَهُ إِسحاقُ بنُ إِبراهيم[3]:

[الطويل]

تمـتَّـعْ بـكـرِّ الـطَّـرفِ فـي ريمِ مـنـزلٍ
تحـمّـلَ عـنـهُ قَـاطِـنُـوه فـأَقْـفَـرا

تـرى فـيـه آثـارًا وإِنْ كـانَ داثـرًا
يـذكِّـركَ الـشَّـوقَ الـقـديمَ فـتَـذْكُـرَا

قوله: فتذكُرا، ليسَ بالجيِّدِ، ووجهُه الرفعُ، ولكنَّه جاءَ بِهِ على إِرادة النونِ[4]، وقد جاءَ مثلُه في أَشعارهم، قالَ جَذِيمَةُ الأَبْرَش[5]:

[المديد]

[27/أ] رُبَّمـا أَوفَـيـتُ فـي عَـلَـمٍ
تَـرفَـعَـنْ بُـردي شِـمـالاتُ[6]

(١) الأغاني ١٤: ٩٨، والموازنة ١: ٤٨٩.

(٢) البيتان مجهولا القائل، ولم أقف عليهما إلا في الموازنة ١: ٤٨٩.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد النديم: كان راوية للشعر، وتفرد بصناعة الغناء، وهو أشهر ندماء الخلفاء. ترجمته في: الإعلام ١: ٢٩٢.

(٤) يريد (تذكرًا) بنون توكيد خفيفة.

(٥) البيت في: الكتاب ٣: ١٥٤٣، وطبقات فحول الشعراء: ٣٨، والمؤتلف والمختلف: ٣٩، والأغاني ١٤: ٧٦، وعبث الوليد: ١٠٠، وخزانة الأدب ٤: ٥٦٧ لجذيمة الأبرش. ونسبه في: شرح شواهد المغني ١: ٣٩٣ إلى جذيمة، وغلّط ابنَ حزم إذ نسبه إلى تأبّط شرًّا. ونسبه الزمخشري في المفصل: ٣٣١ إلى عمرو بن هند، ونسبه شارح المفصل ٣: ١٢٤١ إلى جذيمة، وقال: «وربّما وقع في بعض النسخ لعمر بن هند».

(٦) أوفيتُ: أتيت. العَلَمَ: الجبل. الشَّمالات: جمع شَمالٍ، وهي الرياح الشديدة. وهذا البيت شاهد على توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد الخفيفة وهو في حال الإثبات ضرورة. وعلة ذلك تشبيه (ما) في (ربمّا) بـ(ما) النافية في اللفظ.

وقال الجَعْدِيُّ[1]:

[الطويل]

وأَقْبِلْ على مجدي ومَجْدِكَ نَبْتَحِثْ
مَسَاعِيَنَا حتّى ترى كيفَ تَفْعَلا[2]

ومثله قليل.

وأحسَنُ منْ هذا ومنْ كلِّ حسَنٍ قولُ محمّدِ بنِ عبيدٍ الأَزْدِيِّ[3]:

[الطويل]

فلم تَدَعِ الأَرْوَاحُ والماءُ والبِلَى
منَ الدارِ إلَّا مَا يَشُوقُ ويَشْعَفُ[4]

وأنشدَ إسحاقُ، ووجدتُه في التَّعْليقَات[5] لِيَعْلى الطَّائي[6]:

[الطويل]

لَبِسْنَ البلى حتى كأَنَّ رُسُومَها
طَعِمْنَ الهوَى أَوْ ذُقْنَ هَجْرَ الحبائبِ[7]

---

(١) ديوانه، ق٦٠، ص١٣٧، وهو في الكتاب ٣: ٥١٣، والموازنة ١: ٤٩٠، وشرح أبيات سيبويه ٢: ٢٥١، وهمع الهوامع ٢: ٥١١، والدرر ٥: ١٥٣. ورواية الديوان: (فأقبلْ على رهطي ورهطك... نفعلا).

(٢) أي: كيف تفعلنْ، بنون توكيد خفيفة.

(٣) هو محمد بن عبيد السَّلاماني، من بني سلامان بن مفرِّج من الأَزْد، ذكره الصولي في معجم الشعراء: ٤١٧، وقال قدامة في كتابه (نقد الشعر): «ولست أذكر متى سمعت في التشوّق بآثار الديار أوجز ولا أجمع ولا أدلّ على لاعج الشوق، ومكمد الوجه من قول محمد بن عبيد السلاماني أحد بني سلامان بن مفرج من الأزد: [البيت]». نقد الشعر: ٤٣.

(٤) البيت في: الموازنة ١: ٤٩٠، ونقد الشعر: ٤٣، والمنازل والديار: ٧٣، مع بيت سابق وآخر لاحق، وسماه: (محمد بن عبد الأزدي، ثم السّلاماني). والبيت في منتهى الطلب ٨: ٢٨٢، ق٤٥١، ب٥، ٨: ٢٨٢ من قصيدة نسبت إلى عبيد بن عبد العزَّى السَّلاماني، ومطلعها:

أرسمَ ديارٍ بالسّتارين تعرفُ   عفتها شَمالٌ ذاتُ نيرين حَرْجَفُ

(٥) لعله كتاب (التعليقات والنوادر) لأبي علي الهجري، وهو مطبوع بتحقيق المرحوم العلامة حمد الجاسر، وصدر عن دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٩٢، ولم أجد البيت فيه.

(٦) البيت في: الموازنة ١: ٤٩٠، ومحاضرات الأدباء ٢: ٦٣٢، والتذكرة الحمدونية ٥: ٣٨٩، والتشبيهات: ٣٦، والرسالة الموضحة: ١٦، وسمّاه (معلّى).

(٧) في الأصل: (لبسنا).

وقال ابن وهيب[1] في مثله يذكر منزلَين[2]:

[الكامل]

لـبِـسَـا الـبِـلَـى فـكـأنّمـا وَجَـدا
بـعـدَ الأحـبّـةِ مـثـلَ مـا أجِـدُ

وقال البحتري مثل هذا[3]:

[الكامل]

صَـبٌّ يُـخـاطِـبُ مُـفـحِـمـاتِ طُـلُـولِ
مِـن سـائِـلٍ بـاكٍ[4] وَمِـن مَـسْـئـولِ
حَـمَـلَـت مَـعـالِمُـهُـنَّ أَعـبـاءَ الـبِـلـى
حَـتّـى كَـأَنَّ نُـحـولُـهُـنَّ نُـحـولي

وأَنشدني غيرُ واحدٍ من الشّيوخِ[5]:

[المنسرح]

مـا غَـيَّـرَ الـدَّارَ بَـعْـدَ بَـيْـنِـهِـمُ
ريـحُ عَـفَـتْ آيُـهـا ولا مـطـرُ
كـأَنَّـهـا جَـرْعَـةٌ يَمـانِـيَـةٌ
قـد نُـشّـرَتْ فـي عِـرَاصِـهـا الحِـبَـرُ

---

(١) في الأصل والموازنة ١: ٤٩٠: (ابن وهب). وهو: محمد بن وهيب الحِمْيَري البَصْريّ، أبو جعفر، من أهل الأدب والبلاغة والشعر، عاصر دعبلًا الخزاعي وأبا تمام. ترجمته في: الوافي بالوفيات ٥: ١١٨.

(٢) البيت أحد بيتين رواهما ابن رشيق في العمدة ١: ٣٧٨، وهما في: الأغاني ١٩: ١٧، وكفاية الطالب: ١٨٩، والمنزع البديع: ٤٦٩، وحلية المحاضرة ١: ٢١٩، والموازنة ١: ٤٩٠، وعيار الشعر: ١١٤.

(٣) ديوان، ق٦٤٥، ب١ و٢، ص١٦٥٣، والموازنة ١: ٤٩ و٤٩١. وصدر البيت الأول منهما في: أمالي المرتضى ٢: ٤٤، وعبث الوليد، ق٦٤٥، ص٣٧٥. والبيت الثاني في: شرح ديوان المتنبي المنسوب إلى العكبري ١: ٣٥٠، وشرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٠٥. قال الواحدي: «ومثله لأبي الطيب:

بها ما بالفؤاد من الصّلا ورسْمٌ كجسمي ناحِلٌ متهدِّمُ».

(٤) في الأصل: (بالٍ).

(٥) البيتان في الموازنة ١: ٤٩١.

وقال آخر(١) وأَنشده حمَّاد(٢):

[مجزوء الخفيف]

قـــد وقـــفْـــنــا لِـــكُـــلْـــثـــمِ
بـــطـــلـــولٍ وأَرْسُـــــــــــمِ
لائـــــــحـــــــاتٍ كـــأَنَّـــهـــا
بُـــــرْدُ وشْـــــيٍ مُـــنَـــمْـــنَـــمِ
وســـأَلـــنـــا فـــأُفْـــحِـــمَـــتْ
عـــن جـــــواب المـــكـــلِّـــمِ

[١/٢٧أ] وهذا كلُّه أَحلى وأَلطفُ معانَي، وأَلوطُ بالنفس من كل ما قال الطَّائيَّان.

****

(١) الأبيات في الموازنة ١: ٤٩١.

(٢) هو: حماد بن سابور بن المبارك الملقَّب بـ (حماد الرواية) لكثرة ما رواه من شعر وأيام العرب وأخبارها، ولد في الكوفة سنة ٩٥هـ، وتنقل في البادية، ورحل إلى الشام. وهو الذي جمع السبع الطوال المسمّاة بالمعلقات. توفي في بغداد سنة ١٥٥هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان ٢: ٢٠٦.

الفصلُ الثالثَ عشر

في ذكر ما قالاه في[1] محوِ الرِّياح للديار[2]

قال أَبو تمام[3]:

[الكامل]

قِــف بِــالـطُـلـولِ الــدارِســاتِ عُـلاثـا
أَمـسَـت حِـبـالُ قَـطـيـنِـهِـنَّ رِثــاثــا[4]
قَـسَـمَ الـزمـانُ رُبـوعَـهـا بَـيـنَ الـصَـبـا
وَقَـبـولِـهـا وَدَبـورِهـا أَثــلاثــا[5]

وهذا غلطٌ منهُ؛ لأَنَّ الصّبا هي القَبولُ. ولو قالَ الصَّبا وشمالَها وجَنوبها أَثلاثًا، كان قولًا مستقيمًا؛ لأَنَّ هذهِ الرِّياحَ الثلاثَ أَكثرُ هُبوبًا من الدَّبُورِ. ولو اقتصَر على ريحينِ كانَ ذلك أَيضًا صوابًا، كما قال امرؤُ القيس[6]:

[الطويل]

لِمـا نَـسَـجَـتـهـا مِـن جَـنـوبٍ وَشَـمـأَلِ

---

(١) (الفصل.... في): ليس في الموازنة، وهو من وضع ابن الأثير.
(٢) الموازنة ١: ٤٩٢.
(٣) ديوانه، ق٢٩، ب١ و٢، ١: ٣١١، والموازنة ١: ٤٩٢
(٤) علاثا: (علاثة)، وهو اسم غلام كان مع أبي تمّام. القطين: قاطنو الديار. الرثاث: جمع (رثٍّ) وهو البالي.
(٥) القَبول: ريح الصبا، وقيل: هي ريحٌ بين الصَّبا والجنوب، أو هي كل ريحٍ ليِّنة طيِّبة المسِّ تقبلها النفس. الدّبور: ريحٌ تقابل الصَّبا.
(٦) عجز بيت من معلّقة امرئ القيس، وصدره: (فتوضحَ، فالمقراةِ لم يعف رسمها...)، وهو في ديوانه، ق١، ب٢، ص٢. الجَنوب: الريح الجنوبية، والشمأل: الريح الشمالية، وهي الشديدة. نسجتها: تعاقبت عليها.

وكما قال الأَعْشَى[1]:

[الخفيف]

دِمــنَــةٌ قَــفــرَةٌ تَــعــاوَرَهــا الـصَـيـ
ــفُ بِـريـحَــيـنِ مِــن صَـبًـا وَشَـمـالِ

ولكنَّهُ جَعلَها ثلاثًا منْ أَجل القافية لا غيرُ.

وقد حُكِيَ عنِ النَّضْرِ بنِ شُمَيْلٍ[2] أَنَّهُ قالَ: القَبُول: ريح الصَّبا والجنوبِ[3].

وهذا إِن كان النَّضْر قاله فليسَ بمعروفٍ ولا معوَّل عليهِ؛ لأَنَّ الناسَ جميعًا على خلافه في أَنَّ القَبولَ هي: الصَّبا.

وقال ابن الأَعرابيِّ[4]: «القَبولُ: كلُّ ريحٍ ليِّنة طيِّبة المسِّ، تقبلُها النَّفسُ»[5]. وهذا لا حجَّة فيه لبيت أَبي تمامٍ. وقد استقصيتُ القولَ في هذا فيما مضَى عندَ ذكْرِ أَغاليطهِ من هذا الكتابِ.

وقال البحْتريُّ، فذكرَ الرياحَ الأَربعَ[6]:

[الكامل]

مَـتـروكَـةٌ لِـلـرِّيـحِ بَـيـنَ شَـمـالِـهَـا
وجَـنُـوبِـهـا وَدَبـورِهـا وَقَـبـولِـهـا

---

(١) ديوانه، ق١، ب٢، ص٣ والموازنة ١: ٤٩٢، واللسان (دبر). تعاورها: تداولها.

(٢) هو: النَّضْرُ بن شُمَيْل بن خَرَشة بن كُلثوم، أبو الحسن: بصريُّ الأصل. أخذ عن الخليل، ومكث في البادية أربعين سنة، وكانت له منزلة مهمة في رواية الأثر والسنن والأخبار. من كتبه غريب الحديث، والمدخل إلى كتاب العين، والصفات. توفي سنة ٢٠٣هـ. ترجمته في: بغية الوعاة ٢: ٣١٦، ترجمة رقم (٢٠٧٠).

(٣) النص في: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ١: ٣١٧.

(٤) هو محمد بن زياد، أبو عبد الله بن الأعرابي: من موالي بني هاشم. نحوي لغوي، عالم في الشعر، راوية له، حسن الحفظ. كان أكثر الناس شبهًا في الرِّواية بالبصريين. من كتبه: النّوادر، الأنواء، معاني الشعر. توفي سنة ٢٣١ هـ. ترجمته في: بغية الوعاة ١: ١٠٥ و١٠٦، ترجمة: رقم (١٧٤).

(٥) النص في: شرح ديوان أبي تمام ١: ٣١٧.

(٦) ديوانه، ق٦٧٨، ب٢، ١٧٦٧، والموازنة ١: ٤٩٢، والصِّناعتين: ٩٢.

[٢٨/أ] وأَحسنُ مِنْ هذا ومنْ كلِّ ما قيلَ في هذا المعنى قولُه أَيضًا[١] :

[الكامل]

بَـيـنَ الـشَّـقـيـقَـةِ فَـالـلِّـوى فَـالأَجـرَعِ
دِمَـنٌ حُـبِـسنَ عَـلـى الـرِّيـاحِ الأَربَـعِ

وقد تقدَّمَ ذكرُهُ.

قال أَبو تمام[٢]:

[الكامل]

أَوَ مـا رَأَيـتَ مَـنـازِلَ ابـنَـةِ وَائـلٍ[٣]
رَسَـمَـت لَـهُ كَـيـفَ الـزَفـيـرُ رُسـومُـهـا

آنـاؤهـا[٤] وَطُـلـولُـهـا وَنِجـادُهـا
وَوِهـادُهـا وحـديـثُـهـا وَقَـديـمُـهـا

تَـغـدو الـرِيـاحُ سَـوافِـيًـا وَعَـوافِـيًـا
فَـتُـضـيـمُ مَـغـنـاهـا وَلَـيـسَ تَـضِـيـمُـهـا

قوله: «رسمتْ لهُ كيفَ الزفيرُ» لفظةٌ غيرُ لائقةٍ بالمعنى؛ وإنّما جاءَ بها ليجانس بينها وبين قوله: «رسومُها».

وقوله في البيت الثّاني: «وحديثُها وقديمُها»، حَشْوٌ لم يفدْ بهِ فائدةً.

وقوله: «فتُضيمُ مغْناها»؛ يعني الرِّياحَ إِنَّها تُضِيمُ المَغْنى وليسَ يَضِيمُها، وهذا أَيضاَ معنى ليستْ له حَلاوةٌ، ولا يقودُ إلى فائدة؛ لأَن المعلوم أَنَّ الأَرضَ لا تُضِيمُ الرِّيح.

وقال أَيضًا في وصف ربع[٥]:

---

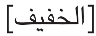
(١) ديوانه، ق٥١٢، ب١، ١٢٨٦، والموازنة ١: ٤٩٢، والصِّناعتين: ٣٦٥، والمنتحل: ١٢٧، وبرد الأكباد: ١٢٧، وصدره في عبث الوليد: ٢٨١.

(٢) ديوانه، ق١٥٣، ب٧-٩، ٣: ٢٧٣.

(٣) في الديوان: (ابنة مالك).

(٤) في الموازنة: (آثارها).

(٥) ديوانه، ق٨، ب٢، ١: ١١٧.


[الخفيف]

مَـلَّـكَـتـهُ[١] الـصَّـبـا الـوَلــوعُ فـأَلـفَـتْـ
ـهُ قَـعـودَ الـبِـلـى وَسُـــورَ الـخُــطـوبِ[٢]

ليسَ هذا موضعَ أَلفتْهُ؛ لأَنَّ معْنى أَلفتْهُ: صادفتْه، وإِذا كانتِ الرِّيحُ هي التي فعلتْ بالرّبعِ، فَوَجْهُ الكلامِ: «جَعَلتْه»، لو استَوى لهُ، لا «أَلفتْه[٣]»، وإِذا لم يستقمْ لهُ «جعلته»، ولا[٤] ما هو في معناها – نقضَ[٥] البيتَ بأَسره، وبناهُ بأَلفاظ أُخَر. وكأَنه أَرادَ أَن يقولَ: قَعودَ البلى وهدفًا للخطوب، أَو غَرَضًا للخطوب، أَي تقع أَبدًا وتصيبُهُ؛ فلمْ ينتظمْ له الوزنُ. وكأَنّه أَرادَ أَنْ يقولَ: وهدفًا للخطوب أَو غرضًا للخطوب، أَي تقع به أَبدًا وتصيبه فقال: سوْر؛ لأَن السُّورَ جُعِلَ لتقع[٦] به كلُّ قَارِعَةٍ دونَ ما وراءَه، فهو هدفٌ وغَرَضٌ لكلِّ رامٍ. فهذا الذي أَراده، واللهُ أَعلَمُ.

[٢٨/ب] وليسَ قولُ مَنْ يقولُ: سُوْرُ الخطوبِ، أَيْ أَنَّ هذا الربعَ محيطٌ بالخطوب، فهو كالحارسِ لها، فهي لا تبْرحُهُ ولا تَريمهُ – بشيء؛ لأَنَّ الأَشْبهَ والأَوْلَى في هذا أَن تُجعلَ الخطوبُ هي التي أَحاطتْ بِهِ منْ كل وجهٍ حتَّى عفّته وأَبلتْه وأَخلتْه من أَهلِه، لا أَنه أَحاط بها.

وقدْ قيلَ: سُؤْرَ الخطوب بالهمزة: بقيّة ما أَبقتْهُ الخطوبُ كَسؤْر السَّبع إِذا وَلَغَ[٧] في الشيء، ثم أَسْأَرَ منهُ. وليس هذا ببعيدٍ منَ المعنى، بل هو وجْهُ جيِّدٌ.

وقال البحتري[٨]:

---

(١) ويروى: (مُلِّته) بالبناء للمجهول.
(٢) القعود: الفتيّ من الإبل، مأخوذ من أنه أصبح صالحًا للركوب والقعود عليه. سؤر الخطوب: بقيّتها.
(٣) في الأصل: (لا لفته).
(٤) سقطت الواو من (ولا) في الأصل.
(٥) في الأصل: (نقص)، والتصحيح عن الموازنة ١: ٤٩٤.
(٦) في الموازنة: (تقع).
(٧) في الأصل: (ولع)، وهو تصحيف.
(٨) ديوانه، ق ٣٩٣، ب١ و٢، ٩٩٨، من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن بسطام. وهما في: الموازنة ١: ٤١٤. والأوَّل منهما في: الزهرة ٢٨٦.

[الطويل]

مَغانِي سُلَيمى بِالعَقيقِ وَدورُها
أَجَدَّ الشَّجى إِخلاقُها وَدُثورُها[1]

وَما خِلتُها مَأخوذَةً بِصَبابَتي
صَحائِفُ تُمْحَى بِالرِياحِ سُطورُها

وهذا منْ أَحسنِ مَعْنى وأَبرعِه.

وقوله: «وما خلتُها مأخوذَةَ بصبابتي»، ممّا يُسأَلُ عنهُ فيقالُ: كيفَ تُؤْخذ الصحائفُ -وهي عَرَصات الدارِ- بصبابته؟ فمعنى «مأخوذة بصبابتي»: أَي مُلْزمة صَبابتي، كما يقالُ: قد أُخِذَ فلانٌ بأَنْ يفعلَ كذا وكذا: أَي أُلزِمَه، كما يُقالُ للرجلِ: افعلْ كذا وكذا، فيقول: من أَخَذَني بهذا، أَي مَنْ أَلْزَمَنيه؟ ومَنْ نَاطَهُ بي وعلَّقهُ عليّ. وكما يقال كذا وكذا وما أخَذَ ما أَخذَهُ، أَيْ وما اتَّصلَ بهِ، وتعلَّقَ عليهِ، ولزِمَ طريقتَه.

ولا أَعرف لأَبي تمام معنى جيدًا في ذكرِ الرياح إلا قولَه[2]:

[الكامل]

يا مَنزِلًا أَعطى الحَوادِثَ حُكمَها
لا مَطلَ في عِدَةٍ وَلا تَسويفا[3]

أَرسى بِناديكَ النَّدى وَتَنَفَّسَتْ
نَفَسًا بِعَقوَتِكَ الرِّياحُ ضَعيفا

---

(١) أجدَّ: بعثه من جديد. الإخلاق: البلى. الدّثور: الامحاء.

(٢) ديوانه، ق٩٧، ب٢ و٣، ٢: ٣٧٦، ٣٧٧، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثّغري، والأبيات مع أُخرى في الموازنة ٢: ٤٩٥، والمنازل والديار: ٩.

(٣) المطلُ: التأخر في الوفاء بالعهد. التَّسْويف: أن يقول الرجلُ للرجل: سوف أفعَلُ، ثم لا يصنع له شيئًا ولا يفي بشيء مما قاله. قال الخطيب: «فهذا يدلُّ على أن اشتقاق التسويف من (سوف) التي تدخل على الفعل المضارع متخلّصه للاستقبال، وهذا أصح ما يقال فيه. وقال قوم: إنّه من (سافَ المالُ) إذا هلك، كأنه إذا سوّفه فقد أهلك ماله». شرح ديوان أبي تمام ٢: ٣٧٦.

وإنّما قالَ ضَعِيفًا: لأَنَّ الرياحَ إِذا اشتدّ هُبوبها عفَّتْ آثارَ الديار وطَمَسَتْ مَعَالِمَها؛ ولذلك قالَ البحتري[1]:

[الخفيف]

[29/أ] وَإِذا هَـبَّـتِ الـريـاحُ[2] نَسيمًا
فَـعَـلـى رَبْـعِ دارِهـا وَالجَـنـابِ

وما زلتُ أَسمعُ أَهلَ العلمِ بالشعر يستحسنون بيتَ أَبي تمام هذا، وهو لَعمري حَسَنٌ، ولكنه أَخذَ المعنى من قولِ آخرَ – وأَنشَده إِسحاقُ بنُ إِبراهيمَ الموصليُّ ولم يأتِ بهِ في ذكرِ الدار[3]:

[الكامل]

يـا حـبَّـذا ريـحُ الجَـنـوبِ إذا بَـدتْ
فـي الـصُّـبـحِ وهـي ضـعـيـفـةُ الأنـفـاسِ
قـد ضُـمِّـنَـتْ بـردَ الـنَّـدَى وتحـمَّـلَـت
عَـبَـقًـا مـن الجَـثـجـاثِ والـبَـسْـبـاسِ[4]

وأَجودُ منْ هذا وذاك في وصفِ طيبِ الريح، قول أَبي الصّفيِّ الأَسدي[5]:

[الطويل]

إِذا أَصْـعَـدَ الـرُّكْـبَـانُ واستقبلتهمُ
جـنـوبٌ كَـمـسِّ الـرَّازقـيّ هُـبـوبُـهَـا

(١) ديوانه، ق٢٩، ب٧، ١: ٨٤، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب. وهو في: الموازنة ١: ٤٩٥.
(٢) رواية الديوان: (الجنوبُ.... فعلى رسْم....).
(٣) هما من غير نسبة في الموازنة ١: ١٠٧، ٤٩٦. وهما لإسحاق في: في نهاية الأرب ١: ١٠١، والمحب والمحبوب ٣: ٨٣، والأغاني ٥: ٢٦٦ (ط. دار صادر)، ومعجم الأدباء ٢: ٦٠٢. قال ياقوت: «وحدث إسحاق، قال: عنيت الواثق في شعر قلته عنده بسرّ من رأى وقد طال مقامي واشتقت إلى أهلي، وهو: [البيتان] فاستحسنه وقال لي: يا أبا إسحاق لو جعلت مكان الجنوب شمالاً ألم تكن أرقّ وأغذى وأصح للأجساد؟». معجم الأدباء: ٦٠٣. البسباس: نبات طيب الريح.
(٤) في معجم الأدباء والأغاني: (قدْ حُمّلتْ....).
(٥) لم أقف على ترجمة له.

الرَّازقيّ: الرقيقُ منَ الكتّان الأَبيضِ[١]، والرِّيحُ وإِنْ كانتْ قد تَسفي التربَ على رسم الدار فتغطيه وتعفوهُ، فإِنَّها أَيضًا قدْ تنسِفُه عنه فتكشفه وتُجِدُّه، أَلا تَرى إِلى قولِ جرير[٢]:

[الكامل]

تُحـيِـي الـرَوامِـسُ رَبـعَـهـا فَـتُـجِـدُّهُ
بَـعـدَ الـبِـلـى وَتُمـيـتُـهُ الأَمـطـارُ

فهي تفعلُ فعليْنِ مختلفَيْن، وربَّما نَسفَتْ ترابَ أَرضٍ فطرحتْه على أَرضٍ أخرى، وبينهما سَيْرُ أَيام، فتكشفُ عنْ معالم تلكَ الأَرض، وتُغَطِّي على معالم هذه، وربَّما غشيت وجهَ الأَرض كلَّه بترابِ الأَرضِ الأُخْرى، وفي ذلك يقول ذو الرُّمَّة[٣]:

[الطويل]

ضَـهُـولٌ كَـسـاهـا تُـرْبُ أَرضٍ غَـريـبَـةٍ
سِوى أَرضِـهـا مِنها الـهَـبـاءُ الـمُـغَربَلُ[٤]

ضَهُول: وصف للريحِ، وذكرها في بيتٍ قبلَ هذا. والهاءُ في كَساها راجعةٌ إِلى رسوم الدّارِ الّتي وَصفَها. وَضهُول ماؤها: يَجيء ماؤُها قليلًا قليلًا.

[٢٩/ب] وضُهُول كلِّ شيء: رجوعه. وبئر ضَهُول: يجيء ماؤُها قليلًا قليلًا. ويروى: «جَفُول»: أَي سريعةٌ ذاهبةٌ، فهذا في ريحٍ واحدة.

فأَمّا الريحان المختلفانِ، فإِنَّ إَحداهما تنسفُ عنَ الأَرض الترابَ والأخرى تَردُّه إِليها على ما قال امرؤُ القيس[٥]:

---

(١) اللسان (رزق).
(٢) ديوانه، ق١٦، ب١٧، ص٨٦٤. الرّوامس: الرياح. تجدّه: تحييه وتبعثه.
(٣) ديوانه، ق٦٤، ب٤، ص١٥٩٦، والموازنة ١: ٤٩٧.
(٤) في الديوان: (جَفولٌ..... لونَ....). الهباءُ المغرَبلُ: ما يخرج من كوّة البيت. والجفول: الريح التي تهبُّ هبوبًا شديدًا فتحمل ما تمرّ عليه من الرّمل والتراب.
(٥) سبق تخريجه.

[الطويل]

.... لَـم يَـعـفُ رَسـمُـهـا

لِمـا نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَمأَلِ

فلعلَّ الطائيَّين فيما شرطاه إنما أَشْفَقَا من أَحد فِعْلي الريحِ، وهو طُمُوسُها للرسم.

وقال البحتريُّ[1]:

[الكامل]

أَسـنِـد صُـدورَ الـيَـعـمَلاتِ بِـوَقـفَـةٍ

فـي المـاثِـلاتِ كَـأَنَّـهُـنَّ الـمُـسـنَـدُ[2]

دِمَـنٌ تَـقـاضـاهُـنَّ إِعـلانَ الـبِـلـى

هـوجُ الـرِيـاحِ الـبـادِيـاتُ الـعُـوَّدُ[3]

حَـتّـى فَـنـينَ وَمـا الـبَـقـاءُ لِـواقِـفٍ[4]

وَالـدَّهـرُ فـي أَطـرافِـهِ يَـتَـرَدَّدُ

وهذا معنى عجيبٌ، وغرضٌ حَسَن، والمُسْنَدُ: الدّهر، أراد أن طُلولَ الدار والماثلات ثابتة فيه كثبات الدّهر ودوامه. وإنّما قال: أَسْنِد، من أَجل قوله: المُسْنَد.

---

(١) ديوانه، ق٢٥٨، ب٥–٨، ص٦٢٧، من قصيدة يمدح بها أبا أيّوب أحمد بن محمد بن شجاع المعروف بابن أخت الوزير. وهي في الموازنة ١: ٤٩٧، والمنازل والديار: ٨٩، وعبث الوليد: ١٩٠. والبيتان الثاني والثالث في: الزهر: ٢١٨. قال المعري: (أشبه ما يُجْعَلُ المسنَدُ ههنا أن يكون خطّ حمِيَر،... وإيّاه قصد أبو عبادة، كما قال أبو ذؤيب:

عرفتُ الدِّيار كرقْم الديار   يزبرها الكاتبُ الحميريُّ

وكانوا يسمون خطَّهم المسنَد.... وقد يُحْتمل أن يعْنَى بالمسند: الحديث المسندُ؛ أي: هذه المنازل قد ثارت حديثًا يُذْكرُ. عبث الوليد: ١٩٠ و١٩١.

(٢) اليَعْملاتُ: جمعَ يعْملة، وهي النّاقة النجيبة. الماثلات: المقيمات.

(٣) في الديوان والزهرة: ٢١٨: (إعلام البلى). تقاضاهن: مرَّ عليهنَّ وتردَّد. الهوج: جمع هَوْجاء، وهي الريح التي تستوي في هبوبها على سمت واحد. العوَّد: التي تعود مرَّة بعد أخرى.

(٤) في الزهرة: ٢١٨: (وما البقاء لواحدٍ).

وأَجودُ منهَ وأَحْلى قولُه[1]:

[الطويل]

عَسَتْ دِمَنٌ بِالأَبرَقَينِ خَوالِ
تَرُدُّ سَلامي أَو تُجيبُ سُؤالي[2]

إِذا ما تَأَيّا الرَّكبُ فيها تَبَيَّنوا
ضَمانَةَ مَتبولٍ وَصِحَّةَ سالِ[3]

خَليلَيَّ ما لِلرامِساتِ وَما لَها
وَما لِلشُّجونِ المُبرِحاتِ وَما لي[4]

وممّا لا مزيدَ عليهِ، ولا غايةَ لحسنهِ وبراعتهِ، ولطفِ معناهُ قولُه[5]:

[الكامل]

أَصَبا الأَصائِلِ إِنَّ بُرقَةَ مُنشِدِ
تَشكو اختِلافَكِ بِالهُبوبِ السرمَدِ[6]

لا تُتعِبي عَرَصاتِها إِنَّ الهَوى
مُلقًى عَلى تِلكَ الرُسومِ الهُمَّدِ[7]

---

(١) ديوانه، ق٦٦٤، ب ١-٣، ص١٦٩٧، من قصيدة يمدح بها بني المهلَّب، والموازنة ١ : ٤٩٨، وصدره في: عبث الوليد :٣٩١.

(٢) الأبرقان: هما أبرقا حُجّر اليمامة على طريق مكة للقادم من البصرة. وقال الزمخشري: هما ماء لبني جعفر.

(٣) تأيّا: أقام في المكان وتلبَّث. الضمانة: الحب. المتبول: الذي أسقمه الحب وذهب بعقله.

(٤) الرامسات: جمع رامسة، وهي الريح التي تخفي الآثار وتطمسها. المبرحات: شديدات التأثير، مأخوذ من قولهم: برَّح به الشوق، إذا أضناه.

(٥) ديوانه، ق٢٢٩، ب١-٣، ص٥٤٤، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد، والموازنة ١ : ٤٩٨، والتشبيهات: ١٧١، والرواية فيه: (بُرْقة ثهمد) والبيت الأول في: خاص الخاص: ٩٧، والإعجاز والإيجاز: ١٨٩، ومحاضرات الأدباء ٢ : ٢٦٩، والمنازل والديار: ١٨٨، والبيت الثاني في: خاص الخاص:٩٧.

(٦) برقة منشد ما بين بني تميم وبين بني أسد، وبرقة ثهمد لبني دارم. السَّرمد. الدائم.

(٧) في المنازل والديار: (لا تبغني عرصاتها ...). لا تبغني: لا تطلب لي. عَرَصاتها: ساحاتها. الهمَّد: الهامدة، والمراد: البالية.

دِمَــنٌ مَــواثِــلُ[1] كَـالـنـجـومِ فَــإِن عَـفَت
فَـبِــأَيِّ نَجـمٍ فـي الـصَـبـابَـةِ نَـهـتَـدي[2]

[٣٠/أ] وقد قرأتُ [شعرًا كثيرًا]، في وصفِ الرياحِ وتعفيتِها للدارِ، لشعراء الجاهليةِ والإسلامِ، فما سمعتُ بأَحسنَ منْ هذا، ولا أَعرفَ ولا أَبدعَ.

****

---

(١) في الإعجاز والإيجاز: (موائل).

(٢) في الموازنة: (تهتدي).

الفصل الرابع عشر

في ذكر[1] ما قالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضًا[2]

قال أَبو تمّامٍ[3]:

[الخفيف]

قَـد عَـهِـدنـا الـرُّسـومَ وَهـيَ عُـكـاظٌ
لِلـصِّـبـا تَـزدَهـيـكَ حُـسـنًـا وَطـيـبـا[4]

أَكـثَـرَ الأَرضِ زائِـرًا وَمَـزورًا
وَصَـعـودًا مِـنَ الـهَـوى وَصَـبـوبـا[5]

وَكِـعـابًـا كَـأَنَّـمـا أَلـبَـسَـتْـهـا
غَـفَـلاتُ الـشَّـبـابِ بُـردًا قَـشـيـبـا[6]

بَـيَّـنَ الـبَـيْـنُ فَـقـدَهـا قَـلَّـمـا تَـعـ
ـرِفُ فَـقـدًا لِـلـشَّـمـسِ حَـتّـى تَـغـيـبـا

(١) (الفصل....ذكر): ليس في الموازنة. وما اختاره ابن الأثير هو من باب آخر تابع لهذا الباب الأصل. وقد أسقط ابن الأثير ما يقابل الصفحات ١: ٤٩٩-٥٠٩ من كتاب الموازنة.

(٢) في الموازنة: (باب آخر من وصف الديار وساكنيها). وقد أسقط المصنِّف بعد العنوان قدر خمسة أسطر. الموازنة ١: ٥٠٩.

(٣) ديوانه، ق١٢، ب٣-٦، ١: ١٥٨، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٠٩. عُكاظ: كثيرة الأهل يجتمع إليها الناس، لأنَّ (عكاظ) سوق للعرب كانوا يجتمعون فيه.

(٤) تزد هيك: تبعث على إعجابك بها.

(٥) الصَّعود: الصعب من الهوى، والصَّبوب: الهيِّن الليِّن.

(٦) الكِعاب: جمع كاعب، وهي الشابَّة.

قوله: «قَد عَهِدنا الرُّسومَ وَهْيَ عُكاظٌ» معنى ليس بالجيِّد؛ لأَنَّه إِنَّما أَرادَ: قدْ عهِدْنا الرسومَ وهي معدِنٌ للصّبا أَو مَأْلفٌ أَو مَوْطِنٌ، فقال: عُكَاظٌ[1]، وإِنَّما ذهبَ إِلى أَنَّ (عكاظَ) من أَعظم الأَسواقِ التي يجتمع إِليها العربُ. وقد كانَ يكفيه أَنْ يقولَ: سوقٌ، فيأتي باللفظة المستعملة المعتادة، فإنَّ[2] السوقَّ قدْ تكونَ عظيمةً آهلةً، وعكاظُ أَيضًا سوقٌ. فما وجه التّخصيصِ في موضع العموم، والعمومُ أَجودُ وأَليقُ؟

وقد يجوز أَن يكون احتذاه على مثالٍ، والرَّديءُ لا يُعْتَبَرُ بهِ، وعلى أَنَّ الوزنَ لم يمكِّنه من سُوق.

وقال البحتريُّ[3]:

[الخفيف]

رَحَــلَ الـظـاعِـنـونَ عَـنـكِ وَأَبـقَـوا
فـي حَـواشـي الأَحـشـاءِ حُـزنًـا مُقيما

أَيـنَ تِـلـكَ الـظِّـبـاءُ أَشـبَـهْـنَ[4] في الحُسـ
ـنِ بُـدورًا وَفـي الـبِـعـادِ نُجوما

قَـد وَجَـدنَ الـسـلُـوَّ بَـردًا سَـلامًـا
إِذ وَجَـدنـا الـهَـوى عَـذابًـا أَلـيـما

[٣٠/ب] وهذا كلامٌ حلوٌ، وغرضٌ حَسَنٌ.

وقوله: «أَشبَهْنَ في الحُسْنِ بُدُورًا وَفي البعَادِ نُجوما» أَجودُ وأَلطف من قول أَبي تمام: «قلَّما تَعْرِفُ فَقْدًا للشَّمسِ حتَّى تَغِيبَا» لأَنّه جمعَ البدرَ والنجومَ بُعْدًا في بيتٍ، وجَعلَ التشبيهَ بمعنيين مختلفين. وأَيضًا، فإنَّ أبا تمام لم يصف المرأة في بيته بالحسن

---

(١) أسقط المصنّف قدر سطر بعد هذه اللفظة. الموازنة ١: ٥٠٩.

(٢) في الموازنة: (... التي تجتمع إليها العرب.... وإنَّ السوق قد تكون).

(٣) ديوانه، ق٧٨١، ب٣-٥، ص٢٠٥٧، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسنَ بن سَهْل. والأبيات في: الموازنة ١: ٥١٠.

(٤) في الديوان: (أصبحن)، والمثبت رواية نسخة مخطوطة أخرى من مخطوطات ديوانه.

والبيت من أوصاف النساء ولا يقولُ مثلَه عاشقٌ، وإنَّما يوصَفُ بمثله صديقٌ أَو حميمٌ، فيُقَالَ: قد بَانَ عليَّ فَقْدُه لمَّا غابَ؛ أَو يكون وصْفًا لملك أَو سيِّدٍ فيُقَالُ: غَابَ فغابَ عنَّا فَضْلُه ونائلُه، وبعُدَ فبعدَ عنَّا خَيرُه ومعروفُه، كما يبعُدُ ضوءُ الشّمس والانتفاعُ بها إِذا غابتْ. أَلا تراه لو كان مدركًا[1] لرجل حتَّى يقول:

[الخفيف]

بَـــيَّنَ الـــبَـــيْنُ فَـقـدَهـا قَـلَّـمـا تَـعـ

ـــرِفُ فَـقـدًا لِـلـشَـمـسِ حَـتّـى تَـغـيـبـا

ولو كان من أقبح الناس صورةً، بَعْدَ أَن يكونَ كريمًا جوادًا، أَو شجاعًا مُحَامِيًا - أَنَّ ذلك كانَ يكونُ حسنًا جميلًا، ومَدْحًا صحيحًا مستقيمًا؟!

وقد قال[2] يرثي إِسحاق بن أَبي ربْعِي[3]:

[السريع]

راحَـــت وُفـــودُ الأَرضِ عَـنَ قَـبـرِهِ

فـــارِغَـــةَ الأَيـــدي مَـــلأى الـقُـلـوبِ

قَـــد عَـــلِـــمَـــتْ مـــا رُزِئَـــــت إِنَّمـــا

يُـعـرَفُ فَـقـدُ الـشَـمـسِ بَـعـدَ الـغُـروبِ

فههنا موضعُ هذا المعنى لا هناكَ.

ويقالُ في قول البحتريِّ: «أَشبَهنَ في الحُسنِ بُدُورًا وَفي البعادِ نُجومًا»: إِنَّ البدرَ أَيضًا لا يوصَلُ إِليه ، فهوَ بعيدُ المنالِ كَبُعْدِ النَّجمِ، فَلِمَ خصَّ النجومَ بالبعَاد؟

---

(١) في الموازنة: (مَدْجًا)، ولا وجه له.

(٢) ديوان أبي تمام، ق١٨٤، بـ٥ و٦، ٤: ٤٧ وفيه: (ملاءَ القلوب). والبيت في: نهاية الأرب ٥: ٢٠١، وزهر الآداب ٣: ١١٧، والموازنة ١: ٥١٠. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٢: ٢٠٦. وهما من قطعة في تاريخ ابن عساكر ٥١: ٥٣٦ لبعض الأعراب مع بيت ثالث.

(٣) إسحاق بن أبي ربعي الكاتب: كان من كتّاب عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي قدم دمشق في صحبته لما توجه واليًا على مصر من قبل المأمون، له شعر. بغية الطلب: ١٥٤٤.

فالجواب[1]: أَنَّ العادةَ لم تجرِ بأَنْ يُقَالَ: أَبعَدُ منَ البدرِ، وإِنَّما يُقَال: أَبعدُ مِنَ النَّجم.

[٣١/أ] فجعلهن في الحسنِ كالبدور، وفي بُعْدِ منالهنَّ كالنُّجومِ، وهذا معنى لا مَزِيدَ على حُسْنه وصحتهِ.

وإِن حملتَ المعنى على أَنَّ البدرَ ليسَ ببعيدٍ منَّا كبُعْدِ سائر النُّجومِ، لأَنَّ بينَه وبينَها في البعْدِ مسافةً بعيدةً – كانَ ذلكَ مذهبًا صحيحًا. وقد استهجنَ ابنُ المعتزِّ[2] قوله: «في حَوَاشِي الأَحْشَاءِ» وهو تَجْنِيسٌ إِنْ لم يكنْ حُلْوًا لائقًا فليسَ بالهَجِينِ ولا الردَّيء القبيح.

وقال أَبو تمامٍ[3]:

[الكامل]

لا أَنـــتَ أَنـــتَ وَلا الـــدِّيـــارُ دِيـــارُ
خَـــفَّ الـــهَـــوى وَتَـــوَلَّـــتِ الأَوطـــارُ

كـانَـت مُـــجـــاوَرَةُ الـطُـلـولِ وَأَهـلِـهـا
زَمَـنًـــا عِـــذابَ الـــوِردِ فَـهـيَ بِـحـارُ

أَيّـــامَ تُـدمـي عَـيـنَـهُ[4] تِـلـكَ الـدُّمـى[5]
فـيـهـا وَتَـــقـــمُـــرُ لُـــبَّـــهُ الأَقـــمـــارُ[6]

(١) طمس أول الكلمة فلم يبن أفاء هو أم واو؟

(٢) هو: أبو العبّاس، عبد الله بن المعتز بن المتوكل، ينتهي نسبه إلى عبد المطلب بن هشام. أخذ الأدب عن المبرد وثعلب، وكان شاعرًا مطبوعًا، بويع بالخلافة سنة ٢٩٦ هـ. له كتب من أهمها: طبقات الشعراء، والبديع وهما مطبوعان. توفي سنة ٣١٥. ترجمته في: وفيات الأعيان ٢: ٧٦–٨٠، ترجمة رقم (٣٤١)، وانظر مصادر ترجمته ثمَّة.

(٣) ديوانه، ق١١٢، ب١–٦، ٢: ١٦٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثّغري، وهي في: الموازنة ١: ٥١١ و٥١٢.

(٤) المراد عين أبي تمام.

(٥) الدّمى: الصور.

(٦) تعَمُرُ لبَّه: تذهب به.

إِذْ لا صَــدوفُ وَلا كَـنـودُ اَسـمـاهُـمـا
كَـالمَـعـنَـيَـيـنِ وَلا نَـــوارُ نَـــوارُ[١]

بـيـضٌ فَـهُـنَّ إِذا رُمِـقـنَ سَــوافِـرًا
صُـــوَرٌ وَهُـــنَّ إِذا رَمَـقـنَ صِـــوارُ[٢]

في حَـيـثُ يُمـتَـهَنُ الحَـديـثُ لِـذي الصِبا
وَتُحَـــصَّـــنُ الأَســــرارُ وَالأَســــرارُ[٣]

قوله: «لا أَنْتَ أَنْتَ» لفظٌ من أَلفاظِ أَهلِ الحضرِ، مُسْتَهْجَنٌ وليس بجيد. لكنَّ قولَه: «ولا الدِّيارُ دِيارُ» كلامٌ معروفٌ من كلامِ العربِ، مستعملٌ حَسَنٌ؛ أَي ليست الديارُ ديارًا كما عهدتُ، مثلما ما يقال في الإيجاب[٤]:

[الطويل]

....
إذ الــنَّـــاسُ نـــاسٌ والــزمـــانُ زَمـــانُ

أَي كما عهدتُ. قال جَرير[٥]:

[الطويل]

---

(١) صَدوف، وكنودُ، ونوار: أسماءُ من كنّ من أهل ودِّه ووصاله. والمراد أنه هؤلاء المذكورات تخالف أسماؤهنَّ أفعالهنَّ، فصَدُوف مأخوذة من صَدَف عن الشيء: إذا أعرض عنه، وكنود مأخوذة من (كند) إذا عقَّ، ونوار من نار ينور إذا نفرَ. شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ٢: ١٦٧.

(٢) صِوارُ: البقرة الوحشيَّة، أي إذا نظرن فعيونهن كعيون البقر الوحشية في نظرتها.

(٣) الأسرار: جمع سِرّ، والمراد به في الموضع الأول: الحديث المكتومُ، وفي الموضع الثاني: النكاح.

(٤) عجز بيت، وصدره:

بلادٌ بها كنا وكنّا نحبّها ....

وينسب إلى أخي عاد، وهو في: الأغاني ٢١: ١٠٥، والموازنة ١: ٥١٢، والتذكرة الحمدونية ٦: ٤٣٣، ومغني اللبيب: ٨٦٣، الشاهد رقم (١١١٧)، ونهاية الأرب ٧: ٢٦٤، وصبح الأعشى ١: ٥٢٦. قال السيوطي في شرح شواهد المغني: ٣٢٠: أنشده صاحب الحماسة البصرية هكذا:

بلادٌ بها كنّا ونحن نحبّها   إذا الناس ناسٌ والبلاد بلادُ

الحماسة البصرية ٢: ٥٦٤.

(٥) ديوانه، ق١١٢، ب٢، ص٤٦٨.



وَكُـنّـا عَـهِـدنـا الـــدارَ وَالـــدارُ مَــرَّةً
هِــيَ الـــدارُ إِذ حَـلَّـت بِـهـا أُمُّ يَـعـمُـرا

وكما قال ابن حِطَّان[1] في النَّفْي:

[البسيط]

أَنـكَـرتُ بَـعـدَكَ مَــنْ قَـدْ كُـنـتُ أَعـرِفُـهُ
ما الـنـاسُ بَـعدَكَ يـا مِـرداسُ[2] بـالـنـاسِ[3]

[٣١/ب] فبنى أَبو تمَّام على هذا قولَهَ: «لا أَنْتَ أَنْتَ»؛ أَي لستَ أَنتَ الذي كنتَ تُعْهَدُ مُحِبًّا وَامِقًا ذا مقى[4]. أَي قد تغيرْتَ وتغيرت الديار.

وقوله: «فهي بحار»؛ والبحر: الماءُ المِلْحُ، ويقال: قد أَبْحَرَ الماءُ، إِذا صار مِلْحًا.

وقوله: «وتُحصَّن الأَسْرَارُ والأَسْرَارُ» الأَولُ جمعُ سِرّ، يعني النكاح والثاني يريد الحديث، أَي هو محفوظ.

وقوله: «إِذ لا صَدوفُ وَلا كَنودُ اَسماهُما كَالمَعنَيَينِ» أَي لا تَصْدفُ هذه، ولا تكْنُدُ تِلْكَ، أَي لا تَقْطَعُ.

«ولا نَوَارُ نَوَارُ» أَي ولا نوار نَافِرٌ، أَيْ هي آنسة غير نَفُورٍ من الحديثِ والأنسِ، وإِنَّما قالَ في موضعٍ آخرَ[5]:

[الطويل]

(١) عمرَان بن حطَّان السدُوسِي، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه. وكان شاعرا مفلقا مكثرًا. الأعلام ٥: ٧٠.

(٢) مرداس: هو مرداس بن أُديَّة أحد بني ربيعة ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقد قتل في موقعة (ميجاس) في الأحواز. والبيت مع أبيات أخر في: الكامل: ١٠٨٢ و١١٨٢. وهو في: الموازنة ١: ٥١٢. ورواية الديوان: (... ممَّن كنت...).

(٣) البيت في: شعر الخوارج، ق٢٥، ب٣، ص١٥، في رثاء مرداس بن أُديَّة، والموازنة ١: ٥١٣.

(٤) في الموازنة: (ذا مقة).

(٥) عجز بيت لأبي تمّام، وصدره:

سواكنُ في برٍّ كما سكنَ الدُّمى............

وهو في ديوانه، ق١٤، ب٥، ١: ١٧٩، من قصيدة يمدح بها خالد بن مزيدٍ الشيباني. وعجزه في الموازنة ١: ٥١٣. نوافر: تنفر من الرِّيبة كما تنفر الظِّباء. وقد قابل أبو تمّام السوءِ بالبر، والنّوافر بالسَّواكن.

... .

نَـوَافِـرُ مِـنْ سُـوءٍ كمَـا نَـفَـرَ الـسِّـرْبُ

لأَنه أَرادَ نفورَهنَّ منَ السُّوءِ، وهو: الرِّيبةُ.

وقال البحتريُّ[1]:

[الكامل]

هَـذا الـعَـقـيـقُ وَفـيـهِ مَـرأىً مـونِـقٌ
لِـلـعَـينِ لَـو كـانَ الـعَـقـيـقُ عَـقـيـقـا[2]

أَشَـقـيـقَـةَ الـعَـلَـمَـينِ هَـلْ مِـنْ نَـظـرَةٍ
فَـتَـبُـلَّ قَـلـبًـا لِـلـغَـلـيـلِ شَـقـيـقـا[3]

وَسَـمَـتـكِ أَردِيَـةُ الـسَّـمـاءِ بِـديمَـةٍ
تُـحـيـي رَجـاءً أَو تَـرُدُّ عَـشـيـقـا[4]

وَلَـئِـن تَـنـاوَلَ مِـن بَـشـاشَـتِـكِ الـبِـلـى
طَـرفًـا وَأَوحَـشَ أُنـسَـكِ الـمَـوْمُـوقـا[5]

فَـلَـرُبَّ يَـومٍ قَـدْ غَـنِـيـنـا نَجـتَـلـي
مَـغـنـاكِ بِـالـرِّشَـأ الأَنـيـقِ أَنـيـقـا[6]

---

(١) ديوانه، ق٥٧١، ب٣–٨ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثُّغري، ويذكر قتالَه محمّد بن عمرو الشَّاري. انظر: قصَّة الشاريِّ هذا في الحاشية ١٦ من القصيدة (٦١) ص١٧٩، وأخبار أبي تمام للصولي ١٠٥ و١٠٦، ومعاهد التنصيص: ١٠٨، وتاريخ الطبري، أخبار سنة ٢٣١. ووفيات الأعيان ٥: ٧٥. وترجمة أبي سعيد مع القصيدة (١) ص٥ والأبيات في الصبح المنبي: ٢٦.

(٢) العقيق: موضع سبق التعريف به.

(٣) الشقيقة: الأرض الصلبة بين رياض. العَلَمان: هما جبلان، وقيل: هو جبلٌ فرد شرقيَّ الحاجر يدعى أبان، وفيه عيون ماء ونخيل. معجم البلدان (شقق).

(٤) في الموازنة: (وسمتك أودية)، ورواية الديوان: ((أردية))، وهي الوجه فكأنّه شبَّه السحاب بالأردية التي تزين السماء، وسمتك: أصابها مطر الوسميِّ، وهو مطر أو الربيع وسمِّي بذلك لأنه يشيع النبات في الأرض فكأنه يسمها بها. الديمة: مطر دائم من غير رعد ولا برق.

(٥) الموموق: المحبوب.

(٦) نجتلي: ننظر إليه.

عَـلَّ الـبَـخـيـلَـةَ أَنْ تَجــودَ بِـهـا الـنَّـوى

وَالــــدَّارُ تَجـمَـعُ شـائِـقًـا وَمَـشـوقـا

قوله: «لو كانَ العقيقُ عَقِيقًا» كما عهِدْتُ. وهذا مِثْل قولِ أَبي تمَّام: ولا الدِّيارُ دِيَارُ.

وبيتُ البحتري أَجودُ، لأَنَّ صدرهُ أَحسَنُ معنىً من قول أَبي تمَّام: «لا أَنْتَ أَنْتَ».

[٣٢/أ] وأَوْدِيةُ السماءِ: يريد المُدُودَ التي تَجْرِي ، والسماء: السَّحاب. والدِّيمَةُ: المطَرُ يدومُ أَيامًا لا يُقْلِع.

وقوله: «تُحْيي رَجاءً» أَي تُخْصِبُ الموضعَ، فيعودُ إِليهِ الظَّاعِنُونَ عنْهُ، وإِنَّما ذهبَ إِلى قولِ جَرير[1]:

[الطويل]

أَلا أَيُّــهـا الـــوادي الَّــذي ضَــمَّ سَـيلُـهُ

إِلَـيـنـا نَــوًى ظَـمـيـاءَ[2] حُـيِّـيـتَ وادِيـا

وهذا من حُرِّ الشِّعرِ، ورَصِينِ المعاني.

وقال أَبو تمام[3]:

[الطويل]



وَعَـهـدي بِـهـا إِذ نـاقِـضُ الـعَـهـدِ بَـدرُهـا

مُـراحُ الـهَـوى فيها وَمَـسـرَحُـهُ الخِـصبُ

(١) ديوانه، ق٣، ب٥، ١: ٧٥، والوساطة بين المتنبي وخصومه: ٢٩، والموازنة ١: ٥١٤. نوى ظمياء: نيّتهم ووجهتهم التي قصدوها. ظَمياء: الموضع الذي انتجعوه وحلّوا فيه

(٢) (ظمياء): مطموسة في الأصل. الظّمياء: السوداء.

(٣) ديوانه، ق١٤، ب ٢–٨، ١: ١٨٠، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، وهي في: الموازنة ١: ٥١٤ و٥١٥.

مُـــؤَزَّرَةً مِـن صَـنـعَـةِ الـوَبـلِ وَالـنَّـدى
بِـوَشـيٍ وَلا وَشـيٌ وَعَـصـبٍ وَلا عَـصـبُ[1]
تَـحَـيَّـرَ فـي آرامِـهـا الـحُـسـنُ فَـاغـتَـدَتْ
قَـرارَةَ مَـن يُصبي وَنُجـعَـةَ مَـن يَصبـو[2]
سَـواكِـنُ فـي بِـرٍّ كَـمـا سَـكَـنَ الـدُّمـى
نَـوافِـرُ مِـن سـوءٍ كَـما نَـفَـرَ الـسِّـربُ[3]
كَـواعِـبُ أَتــرابٌ لِـغَـيـداءَ أَصـبَـحَـت
وَلَـيـسَ لَـها في الحُـسنِ شَكلٌ وَلا تِـربُ[4]
لَـهـا مَـنـظَـرٌ قَـيـدُ الـنَـواظِـرِ لَـم يَـزَل
يَــروحُ وَيَـغـدو فـي خُـفـارَتِـهِ الحُــبُّ[5]
يَـظَـلُّ سَــراةُ الـقَـومِ مَـثـنـىً وَمَـوحَـدًا
نَـشـاوى بِـعَـيـنَـيـهـا كَـأَنَّـهُـمُ شَـــرْبُ[6]

قوله: «مُراحُ الهَوى فيها وَمَسرَحُهُ الخِصْبُ»: أَي الهوى مُخْصِبٌ فيها لكثرة الحسن بها في مَرَاحه ومَسْرحه.

وقد يكونُ أَرادَ خِصْبَ النَّبات لأنَّه قال بعده: «مُؤَزَّرَةً من صَنعَةِ الوَبلِ وَالنَدى».
والمعنى الأَول أَجودُ وأَلطفُ، ولا يكون هذا البيت متعلِّقًا بما قَبْلَهُ.

(١) قال المعري: «أي لها إزارٌ من الروض وضروب من النبات». شرح ديوان أبي تمام ١: ١٧٨ و١٧٩.
(٢) تحيَّر: معناه -ههنا- أقام. والآرام: المراد بها -ههنا- النساء. النُّجْعة: المقصد.
(٣) الدُّمى: الصور، ويريد: النساء وأشكالها.
(٤) كواعب: جمع (كاعب)، وهي الفتية. الأتراب المتساويات في السن. الغَيْداء: ذات النعمة واللطف، والنبات الأغيدُ: المتثني.
(٥) الخَفَارة: الذّمة والعهد. قَيْدُ النّواظر: إذا نظر إليها الإنسانُ قيَّد نظره فلم يصرفه إلى غيرها. والمراد بذلك: قيْدٌ للنواظر، فهو مضافٌ على معنى الانفصال. شرح ديوان أبي تمام ١: ١٨٠.
(٦) السَّراةُ: الخيار والأماثل من القوم، وهو مأخوذ من سَراة الجبل والفرس، وهي أعلاهما، وهو محمول على قولهم: هو ذؤابةُ قومه، أي أعلاهم. مَوْحد: معدول واحد، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعدل، وصرفه للضرورة، والبصريون يمنعون صرفه معرفة ونكرة. النَّشاوى: جمع نشوان.

وقوله:

[الطويل]

تَحَـيَّـرَ فـي آرامِـهـا الـحُـسـنُ فَـاغـتَـدَت
قَــرارَةَ مَـن يُـصبـي وَنُـجـعَـةَ مَـن يَصبو

فإنه من حُلْو الكلام.

[٣٢/ب] وقوله: «سَواكِنُ في برٍّ كَما سَكَنَ الدُمى» فالدُّمى: الصُّوَر، جمع دُميَة. أَي هنَّ سواكنُ في بِرٍّ، أَيْ في صلاحٍ، كما سكَن الصُّوَر؛ لأَن الصُّور سَوَاكِن بلا حركة، كأَنَّه ينسبهن إلى الوقار وقِلَّة الأَشَرِ[1]. وهذه صفة العَفَائِف من النساء.

وقوله: «نَوافِرُ مِنْ سوءٍ كَما نَفَرَ السِّربُ» فالسِّرْبُ: الجماعةُ من الظِّباء والقَطا، ومن بقرِ الوحشِ أَيضًا إلا أَنَّ المستعمل في بقرِ الوحش، والمستعمَل فيه الرَّبْرَب.

وقوله: «أَتراب لغيداءَ[2]» أَي أَترابٌ لها في سنيها، وليس لها في الحسن تِربٌ.

وقوله: «يَروحُ وَيَغدو في خفارَتِهِ الحُبُّ» أَي لا يلحقُ الحبَّ معه آفةٌ من ثَلْم، ولا نقصٌ ولا تغيّرٌ ولا ضعْفٌ. وهذهِ كلُّها معانٍ حَسنةٌ متقنةٌ، وأَلفاظٌ بارِعةٌ فصيحةٌ، إلا البيتين الأَوّلين، فإنَّ فيهما اضطرابًا. والبدْرُ أَيضًا ليس هذا موضعَه، وإنّما يحسن ذكر البدر في مثل هذا إذا كانَ في الكلام ذِكرُ لِسَمَاءٍ أَو نجومٍ أَو ليلٍ. ولو قال: «إذ ناقضَ العَهدَ ريمُها» كان أَشبهَ وأَليقَ.

وقد قال البحتريُّ في مثلِ هذا، ولكنه فيه أَعذَرُ من أَبي تمّامٍ، وذلكَ قولُه[3]:

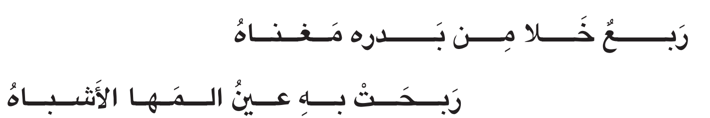
[الكامل]

---

(١) الأَشَرُ: المرحُ والبَطَرُ.

(٢) في الأصل: (لغيد).

(٣) ديوانه، ق٩٢٠، ب١، ص٢٤٣٠، في مدح الشاه بن ميكال. وهو في: الموازنة ١: ٥١٦.



رَبـــعٌ خَـــلا مِـــن بَـــدره مَـغـنـاهُ

رَبِـحَـتْ بِــهِ عــينُ الــمَـهـا الأَشـبـاهُ

أَراد أَنَّ ربعَ المرأَة خلا منها، وخَلَّفتها العِيْنُ الَّتي هي أَشباهُ يشبهُ بعضُها بعضًا. وباعدَ المرأَة من شبْهها فجعلَها بدرًا، أَي أَخْلى الربعَ مَنْ هو كالبدرِ، وخلّفْتهُ العِينُ، كأَنَّه يخسس أَمرها، كما يقال: انظروا من بقي ومن مَضَى. واحتاج البحتريُّ إِلى ذكر البدر أَكثر منْ حاجةِ أَبي تمَّام إِليهِ في قوله: «وَعَهْدي بِها إِذْ ناقِضُ العَهدِ بَدرُها».

[٣٣/أ] وأَحسنُ منْ هذا وأَجودُ لفظًا ومعنى قولُ البحتريِّ[١] أَيضًا:

[الطويل]

وَعَـهـدي بِـهـا مِـن قَـبـلِ أَن تَـحـكُـمَ الـنَّـوى

عَـلـى عـيـنِـهـا أَلّا تَـــدومَ عُـهـودُهـا

بَـعـيـدَةُ مـا بَــيـنَ الــمُـحِـبّـيـنَ وَالـجَــوى

وَمَـجـمـوعَـةٌ غِـيـدُ الـلَـيـالـي وَغـيـدُهـا

قولُه: «وَمَجموعَةٌ غيدُ اللَيالي وَغيدُها» لفظٌ ومعنى ما لُحسْنهما نهايةٌ. وإِنما أَخذَ المعنى منْ قولِ أَبي تمَّام[٢]:

[الطويل]

كَـواعِـبُ زارَتْ فـي لَـيـالٍ[٣] قَـصـيـرَةٍ

يُـخَـيَّـلـنَ لـي مِـن حُـسـنِـهِـنَّ كَـواعِـبـا

وبيتُ البحتريِّ أَجودُ لفظًا، وأَحلى سَبْكًا.

(١) ديوانه، ق٢٦١، ب٣و٤، ص٦٥٠، في مدح مرَّ بن علي الطائي، وهما في: الموازنة ١: ٥١٦.

(٢) ديوانه، ق١٠، ب٤، ١: ١٣٩، من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل، وهو في: الموازنة ١: ٥١٦.

(٣) رواية المخطوط: (كواكبُ)، ولعله تحريف، وليس المعنى ببعيد. في الأصل: (ليالي).

وقال أَبو تَمَّام[1]:

[الكامل]

أَزَعَمتَ أَنَّ الربعَ لَيسَ يُتَيَّمُ
وَالدَّمعَ في دِمَنٍ عَفَت لا يَسجُمُ
يا مَوسِمَ اللَذّاتِ غالَتكَ النَّوى
بَعدي فَرَبعُكَ لِلصبابَةِ مَوسِمُ[2]
وَلَقَد أَراكَ مِنَ الكَواعِبِ كاسِيًا[3]
فَاليَومَ أَنتَ مِنَ الكَواعِبِ مُحرِمُ
لَحَظَت بَشاشَتَكَ الحَوادِثُ لَحظَةً
ما زِلتُ أَحلُمُ أَنَّها لا تَسلَمُ

وهذا كلُّه جيدٌ. ويأتي بعدَ هذهِ الأبياتِ ما هو جَيّدٌ نادرٌ، ورديءٌ ساقطٌ[4].

وقوله: «أَزَعَمتَ أَنَّ الربعَ لَيسَ يُتَيَّمُ» معنى حَسَنٌ. وقد أَورده البُحْتريُّ أحسنَ منْ هذا الإِيراد وألطفَ، فقال -وهو مِنْ إحسانِهِ المشهورِ[5]-:

[الطويل]

لَقينا المَغاني بِاللِّوى فَكَأَنَّما
لَقينا الغَواني الآنِساتِ عَواطِلا[6]

(١) ديوانه، ق١٤١، ب ١-٤، ٣: ٢١٢، وهي بداية قصيدة يمدح بها محمد بن حسَّان، والأبيات في: الموازنة ١: ٥١٧.

(٢) في الأصل: (مواسم)، وبذلك يختلّ الوزن.

(٣) كاسيًا: ذو كِسْوة، وهي على قياس قولهم: تامر ولابن، أي: ذو تمر وذو لبن. قال الخطيب: «جعل الكواعب مثل الكسوة للربع؛ لأنه كان يتجمَّل بهنّ، فلمَّا سِرْنَ عنه ألقى الكِسْوة، فكأنه مُحْرِمٌ لا لباس عليه». شرح ديوان أبي تمام ٣: ٢١٢.

(٤) قال الآمدي بعد ذلك: (وقد ذكرت ذلك في باب العزاء في أوصاف النساء).

(٥) ديوانه، ق٦٣٠، ب٣-٦، ص١٦٠٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثّغري. والأبيات في: الموازنة ١: ٥١٧. والبيت الأول منها في: التشبيهات: ١٧٠، والمنازل والديار: ٤٨ والبيت الرابع في الصناعتين: ٣٢٨، وسر الفصاحة: ١٨٧.

(٦) في التشبيهات: (الآنسات).

[33/ب] وَقَتلُ المُحِبّينَ العُيونُ وَلَم أَكُن
أَظُنُّ الرسومَ الدارِساتِ قَواتِلا
هَواجِرُ شَوقٍ لَو تَشاءُ يَدُ النَّوى
لَجادَت بِمَن نَهوى فَعادَت أَصائِلا[1]
وَمَذهَبُ حُبٍّ لَم أَجِدْ عَنهُ مَذهَبًا
وَشاغِلُ بَثٍّ[2] لَم أَجِدْ عَنهُ شاغِلا

وهذا الذي طلبتهُ الشُّعراء، فأعجَزها إِدراكُهُ.

وقالَ أَبو تمَّام[3]:

[الكامل]

طَلَلٌ وَقَفْتُ[4] عَلَيهِ أَسأَلُهُ إِلى
أَنْ كادَ يُصْبِحُ رَبعُهُ لِيَ مَسجِدا
وَظَلِلتُ أُنشِدُهُ وَأَنشُدُ أَهلَهُ
وَالحُزنُ خِدْني ناشِدًا أَو مُنشِدا
سَقيًا لِمَعهَدِكَ الَّذي لَو لَم يَكُن
ما كانَ قَلبي لِلصَّبابَةِ مَعهِدا

قوله: «إِلى: أَن كادَ يُصبِحُ رَبعُهُ لِيَ مَسجِدًا» كأَنه أَرادَ أَنْ يؤكِّدَ طولَ وقوفهِ في الرّبعِ، كما يقفُ المُصَلِّي في المسجدِ، وربَّما أَطال[5] الوقوفَ.

---

(١) الهواجرُ: جمع هاجرة، وهي نصف النهار، أو من عند زوال الشمس إلى العصر. الأصائل: مفردها (أصيل) وهو ما بين العصر إلى المغرب.
(٢) في سر الفصاحة: ١٨٧: (وشاغل حبٍّ).
(٣) ديوانه، ق٥٤، ب٣-٥، ٢: ١٠١ و١٠٢، والموازنة ١: ٥١٧.
(٤) ديوانه: (طللٌ عكفْت...).
(٥) في الأصل: (وربما طال.....).

وقوله: «وظَلِلْتُ أَنْشِدُهُ» أي أعرِّفهُ أصحابي، فأقول: هذا هو الربع أو الطَّللُ، يقال: أَنْشَدْتُ الضَّالَّة بالألِف: إذا عرَّفتَها، ونَشَدتها: إذا طلبتها. فقوله: «أَنشد أَهله» أَي أَطلبهم كما يطلب النَّاشِد ضالَّته. والحزن خِدْني، أَي صاحبي في الحالين.

وهذه أَبياتٌ لا حَلاوة لها، ولا طلاوة عليها، ولكنَّ الحلو العذبَ –على هذا الوزنِ– قول البحتريِّ[1]:

[الكامل]

عَهدي بِربعِكَ للغواني معهدا
نضبتْ بشاشةُ أُنْسِهِ فتأبّدا

بخِلَت جُفُونٌ لم تُعِزْكَ دُموعَها
وَقَسَا فُؤَادٌ لمْ يَبِتْ بِكَ مُقْصَدَا[2]

ما هَاجَ لي نَوْحُ الحمَام ومَا دَعا
مِنْ صَبْوَتِي وصَبَابتِي إِذْ غَرَّدا

[٣٤/أ] وقال أَبو تمام[3]:

[الكامل]

وَلَقَد سَلَوتَ لَوَ اَنَّ دارًا لَم تَلُح
وَحَلُمتَ لَو أَنَّ الهَوى لَم يَجهَلِ

وَلَطالَمَا أَمسى فُؤادُكَ مَنزِلا
وَمَحَلَّةً لِظِباءِ ذاكَ المَنزِلِ

إِذ فيهِ مِثلُ المُطفِلِ الظَمأى الحَشا
رَعَتِ الخَريفَ وَما القَتولُ بِمُطفِلِ[4]

---

(١) لم أقف عليها في ديوان البحتري ولا في الزيادات عليه. وهي في: الموازنة ١: ٥١٨.

(٢) المُقْصَد –على زنة مُكْرَم–: الذي يمرضُ ويموت سريعًا.

(٣) ديوانه، ق١١٤، ب٣–٥، ٣: ٣٣، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، والأبيات في: الموازنة ١: ٥١٨.

(٤) المطفل: البقرة الوحشيّة ذات الولد. الظَّمأى الحشا: الضامرة البطن. القتول: اسم للمرأة أو صفةً لها.

وقال[1] أَبو تمَّامٍ يصفُ المنزل أَيضًا[2]:

[الكامل]

وَلَــئِــن ثَــوى بِــكَ مُــلـقِـيًـا أَجــرامَــهُ
ضَـيـفُ الخُـطـوبِ لَـقَـد أَصـابَ مُضيفا

وَهِـيَ الْـفَـجَـائِـعُ[3] لَـم تَـزَل نَكَباتُـها
يَـأَلَـفـنَ رَبــعَ الـمَـنـزِلِ الـمَـأَلـوفـا

خَـلَـفَـتْ بِـعَـقْـوَتِـكَ الـسُّـنـونَ وَطـالَمـا
كـانَـتْ بَـنـاتُ الـدَّهـرِ عَـنـكَ خَـلـوفـا[4]

أَيّـــامَ لا تَـسْـطُـو بِـأَهْـلِـكَ نَـكـبَـةٌ
إِلّا تَـــراجَـــعَ صَــرفُــهــا مَـصـروفـا

وَإِذا رَمَــتْــكَ الـحـادِثـاتُ بِـلَـحْـظِـهـا
رَدَّتْ ظِـبــاؤُكَ طَـرفَـهـا مَـطـروفـا[5]

وقال أَبو تمام أَيضًا[6]:

[البسيط]

سَلِّم عَلى الربعِ مِن سَلمى بِذي سَلَمِ
عَـلَـيـهِ وَسـمٌ مِـنَ الأَيّـامِ وَالـقِـدَمِ

(١) (وقال..... أيضًا): مطموس في الأصل.
(٢) ديوانه، ق٩٧، ب٥-٩، ٢: ٣٧٦ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، وهي في: الموازنة ١: ٥١٩. الأجرام: جمع جِرْم، وهو العنصر، وجمعه لأن كل عضوٍ من البدن يجوز أن يجعل جِرْمًا.
(٣) رواية الديوان (الحوادث).
(٤) السّنون: القحط. قال الخطيب: «كأنه يقول: خَلَف بعرصتك الجدْبُ الخِصْب، والوَحْشَةُ الأُنْسَ». شرح ديوان أبي تمام ٢: ٢٧٨.
(٥) قال الخطيب: «يخاطبُ المنزل يقول: لعمارتك بأهلك إذا رماك الزّمانُ ارتدَّ إليه طَرْفُه وفيه القَذَى غمًّا، لأنه لم يتمكَن من مراده؛ لأنَّ أُنْسك يردُّ عن الناس الوَحشة ولحظة الزَّمان». شرح ديوان أبي تمام ٢: ٣٧٨.
(٦) ديوانه، ق١٣٧، ب١-٨، ٣: ١٨٤، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق، والموازنة ١: ٥١٩.

ما دامَ عَيشٌ لَبِسناهُ بِساكِنِهِ[1]
لَدْنًا، وَلَو أَنَّ عَيشًا دامَ لَم يَدُمِ

يا مَنزِلًا أَعنَقَتْ فيهِ الجَنوبُ عَلى
رَسْمٍ مُحيلٍ وَشِعْبٍ غَيرِ مُلتَئِمِ

هَرِمتَ بَعدِيَ وَالرَّبعُ الَّذي أَفَلَتْ
مِنهُ بُدورُكَ مَعذورٌ عَلى الهَرَمِ

عَهدي بِمَغْناكَ حُسّانَ المَعالِمِ مِن
حُسّانَةِ[2] الوَردِ وَالبَردِيِّ وَالعَنَمِ[3]

بَيضاءُ كانَ لَها مِن غَيرِنا حَرَمٌ
فَلَم يَكُن[4] يَستَحِلُّ الصَيدَ في الحَرَمِ

كانَتْ لَنا صَنَمًا نَحنو عَلَيهِ وَلَم
نَسجُدْ كَما سَجَدَ الأَفشينُ لِلصَنَمِ

[٣٤/ب] قوله: «لَو أَنَّ عَيشًا دامَ لَم يَدُم» أَي لو دامَ مدّةً منَ المدَدِ أَو دَهْرًا منَ الدُّهورِ – لم يدمْ، أَيْ لانقطعَ ونَفِدَ[5]، ولم يكُن بدٌّ منْ أَنْ يَتصَرَّم. وقوله:

«هرِمْت بعْدِي» كَلامٌ رَذْلٌ سخيف، قد عابه الناس فيما عابوه من ألفاظه.

وقوله: «حُسَّانَة الوَرد». يريد: الخَدَّ.

والبَرديّ: يريد السّاقَ، وإنما يعني أَصَولَ البَرْدِيّ، وهو أَبيضُ غضٌّ أَمْلَسُ. يُشبَّه به الساق. والعَنَمُ: نبتٌ له أَغصانٌ دِقاقٌ، تشبّه بها الأَصابع.

---

(١) في الأصل: (لساكنه).
(٢) حُسَّان بمعنى (حَسَن) إلا أنه أشدَّ مبالغة، والأنثى: حُسَّانة. ومراده بـ (حُسَّانة الورد) أنَّ خدها مثل الورد. أما البرديُّ، فمعناه أن عظامها كالبرديّ.
(٣) العَنَمُ: البَنان المخضوبُ.
(٤) رواية الديوان: (فلم نكن نستحلّ).
(٥) في الأصل: (وتعد).

وقوله: «بيضاءُ كانَ لها مِنْ غيرنا حَرَمٌ» فالحرمُ: هو المكان الذي قد حُرِّمَ أَن يُصَادَ فيه صَيدٌ، فهو حِرْزٌ له ومَلْجَأ. يريد به زَوْجَ المرأة، أَي كان لها حَرمٌ من غيرنا، ولم نكن نحن حَرَمها.

ويروى: «كانَ لنا مِنْ غيرها حَرَمٌ» يريد: كانتْ لنا زوجةً هي حَرَمُنا، فلم نكن نَسْتَحِلّ[1] معها غيرَها أَوْ لم نكنْ[2] نَسْتَجِيزُ خيانتها، كما قالت لَيلَى الأَخْيَلية[3]:

[الطويل]

لَنَا صَاحِبٌ مَا نَبْتَغِي أَن نَخُونَهُ
وأَنْتَ لأُخْرى صاحِبٌ وخَلِيلُ[4]

وقوله: «كانَتْ لَنَا صَنَمًا» أَراد أَن يقول: نَعْكُفُ[5] عليه، فلم يستقمْ له، فقال: نحْنُو عليه، وهي لفظة غير مستعملة في هذا الموضع، وإِنْ كان لها اقترابٌ من «نعكف» ومُشَارَكَة.

وقوله: «ولم نَسْجُدْ» معنى رديءٌ لا يليق بالمكان. وإنما كانَ يجب أَن يقول: ولو جاز السجودُ لسجدْنا، حتى يكون قد وَفَّى الحبَّ حقَّه[6]، واستعمل المعنى المعتاد في مثل هذا. وإلا فأَيُّ فائدةٍ في أَنْ يقول القائل في شعره: قد أَحببتُ ولكن لم أَجعل محبوبي ربًّا

---

(١) في الأصل: (يستحلّ).

(٢) في الأصل: (يكن).

(٣) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال، الأخيلية، من عامر بن صعصعة. شاعرة عرفت بالفصاحة والذكاء، واشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحميِّر، وفيه تقول:

وتوبة أحيا من فتاة حييَّة ... وأجرأ من ليث بخفّان خادرِ

توفيت سنة ٨٠ هـ. جمع شعرها فيما أعلم مرتين، أولاهما: جمعه خليل العطية وجليل العطية، ثمَّ طبعه د. واضح الصمد وهي الطبعة التي عوَّلنا عليها.

(٤) البيت في ديوان ليلى الأخيلية: ٧٤، وروايته: (... وحليلُ) وهو مع بيتٍ آخر في أمالي القالي ١: ٨٨، والأغاني ١٠: ٦٨، والموازنة ١: ٥٢٠.

(٥) في الأصل: (يعكف).

(٦) الكلمة مطموسة في الأصل.

أَعبده، وهَوِيتُ ولكن لم أجنَّ جنونَ قَيس بن مُعَاذ العَامِري[1]؛ لأَنَّ من شأْن العاشق أَن [٣٥/أ] يشكو ما يمر بِهِ ويقاسيهِ، في أَكثرِ أَحواله تقرُّبًا إِلى محبوبه. وأَمَّا أَن يركب مثل هذا المعنى فلا. وقد يجوز أَنْ يقولهُ قائلٌ: إِذا أَراد عذلَ محبٍّ آخرَ ليقصر. وإِنما قصد أَبو تمام ذكر الأَفْشِين، فخرجَ في المعنى عن العادة وجاءَ بما لا فائدة فيه.

وقال أَبو تمام[2]:

[الطويل]

عَـفَـتْ أَربُـــعُ الحِـــلّاتِ لِـــلأَرْبَـــعِ الـمُـلْـدِ
لِـكُـلِّ هَـضـيـمِ الـكَشـحِ مُـغْـرِبـةِ الـقَـدِّ[3]

لِـسَـلْـمـى سَـــلامـــانٍ وَعَـــمْـــرَةِ عـــامِـــرٍ
وَهِـنـدِ بَـنـي هِـنـدٍ وَسُـعـدى بَـنـي سَـعـدِ[4]

دِيـــــارٌ أَراقَـــــتْ كُـــلَّ عَـــيـــنٍ شَـحـيـحَـةٍ
وَأَوطَـــأَتِ الأَحــــزانَ كُـلَّ حَـشًـا صَـلْـدِ[5]

فَـلا تَـسـأَلانـي عَـن هَــوىً قَـد طَـعِـمـتُـمـا
جَـــواهُ فَـلَـيـسَ الـوَجـدُ إِلّا مِــنَ الـوَجـدِ

قوله: «أَرْبُعُ الحِلَّاتِ» يريد جمع حِلَّة، وهي المنزلُ الذي يَحُلُّونه.

وقوله: «للأَرْبَعِ المُلْدِ» أَي للأَرْبَع من النساء المُلْد، وهُنَّ الغَضَّات النَّوَاعِم.

---

(١) المراد به الشاعر المعروف بـ (مجنون ليلى).

(٢) ديوانه، ق٥٧، ب ١-٣، ٥، ٢: ١١٨، والموازنة ١: ٥٢١، وقد سبق تخريج الأبيات.

(٣) الحلّات: مفردها (حلّة)، وهي جماعة من البيوت وساكنيها. الملد: جمع (مَلْداء)، وهي الناعمة من النساء.

(٤) سلامان: بطن من قبائل عدّة، ففي طيِّئ سلامان، وفي الأزد كذلك. عامر: بطن أيضًا من قبيلة عامر بن صعصعة، وعامر بن لؤي، وعامر بن كلب،.... وبنو هند في أكثر من قبيلة، وكذلك سعد، وفي الأخيرة يقول طرفة:

رأيت سعودًا من سعودٍ كثيرةٍ   فلم أرَ سعدًا مثل سَعْد بن مالك

(٥) في الديوان: (ديارٌ هراقتْ...)، وهراقت وأراقت بمعنى واحد. أوطأت: داست. الصَّلْد: الصُّلْب.

ومنه قولهم: غُصْنٌ أُمْلُود، إذا[1] كان كذلك. وهذا لفظٌ لا حلاوة له. وقد مضى التفسير عند ذكر هذا البيت في الابتداءات[2].

وقوله: «فَلَيْسَ الوَجْدُ إلَّا مِنَ الوَجْدِ» أي من الوجْدِ الذي تعرفانه.

ومن جيِّد هذا البابِ ونادره، قولُ البحتريِّ[3]:

[الطويل]

نَعَم قَد تَشَاكَيْنَا عَلى الشعبِ ساعَةً
وَمِن دونِهِ شِعبٌ لِلَيلى مُفَرَّقُ[4]

عَلى دِمنَةٍ فيها لِأُدمانَةِ النَّقا
مَحاسِنُ أَيّامٍ تُحَبُّ وَتُعشَقُ[5]

وَقَفتُ وَأَوقَفتُ الجَوى مَوقِفَ الهَوى
لَيالِيَ عُودُ الدهرِ فَينانُ مورِقُ[6]

فَحَرَّكَ بَثّي رَبعُها وَهوَ ساكِنٌ
وَجَدَّدَ وَجدي رَسمُها وَهوَ مُخلِقُ[7]

---

(١) في الموازنة: (إذْ كان...).

(٢) في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٣) ديوانه، ق٥٧٨، ب٢-٥، ١٤٨٨، من قصيدة في مدح محمد بن علي القميّ. وهي في: الموازنة ١: ٥٢٢، والبيت الثاني في المنازل والديار: ١٦٩، والثالث في عبث الوليد: ٣٢٨.

(٤) في الديوان: (نعم، قد تباكينا...). الشِّعبُ: الطريقُ في الجبل، أو هو: ما نفرج بين جبلين.

(٥) الأُدْمانة: الظبية البيضاء التي يعلو جلدها خطوط مغبرة. النَّقا: القطعة الملتفّة من الرمل، ويكثر تشبيه المرأة به.

(٦) قال المعرِّي: «ترك صرف (فينان) والأجود صرفُه؛ لأنهم قالوا: لمَّةٌ فينانةٌ فدلَّ ذلك على أنه (فيْعال)، وإنمّا أصل اشتقاقه من الفَنَن وهو الغصن المتشعِّب.... ولو أنَّ فينانًا (فَعْلان) لوجب أن تكون أُنْثَاهُ (فَيْنى)، ولم يُستعمل ذلك. وتركُ التنوين فيما ينصرف جائزٌ في الضرورة، وقد كثر في أشعار المتقدِّمين والمحدّثين». عبث الوليد: ٣٢٨.

(٧) المخلق: البالي.

[٣٥/ب] قوله: «فَحَرَّكَ بَثّي رَبْعُها وَهوَ ساكِنٌ وَجَدَّدَ....» معنى مَقُولٌ، أَخَذهُ منْ قول المَوْبِذ في كِسْرَى عند وفاته: حرَّكَنَا بِسكونِه. ويقال: قيلتْ للإِسكندر. وأَخذه أَبو العَتَاهِية، فقال[١]:

[الخفيف]

قَد لَعَمري حَكَيتَ لي غُصَصَ المَو
تِ وَحَرَّكتَني لَها وَسَكَنتا

وقال أَبو تمام[٢]:

[الكامل]

لَو أَنَّ دَهرًا رَدَّ رَجعَ جَوابِ
أَو كَفَّ مِن شَأوَيهِ طولُ عِتابِ[٣]
لَعَذَلتُهُ في دِمنَتَينِ بِأَمرَةٍ
مَمحُوَّتَينِ لِزَينَبٍ وَرَبابِ
ثِنتَينِ كَالقَمَرَينِ حُفَّ سَناهُما
بِكَواعِبٍ مِثلِ الدُّمى أَترابِ[٤]

---

(١) ديوان أبي العتاهية: ١٠٥.

(٢) ديوانه، ق٤، ب١-٤، ١: ٧٥: ٧٦، والموازنة ١: ٥٢٢، و٥٢٣، في مدح مالك بن طوق التغلبي.

(٣) الشأوان: مفردها (شَأْو)، وهو الغاية، واستعير هنا للدهر، والمراد به فعل الدهر من حزنٍ وفرح. وقد أنكر ابن المستوفي كلام المعري في هذا البيت فقال: «وما ذكره أبو العلاء لا يستقيم؛ لأنَّ العاقل لا يعتب الدهر على أن يكفَّ شأوه في السرور ولا في الغنى ولا في الشيء المحبوب، وإنما يعتبه على أن يكفَّ شأوه في ضدِّ ذلك، وهذا معلوم معروف. والذي أراه أنه إنّما ثنَّى (الشأوين) لتثنية (الدمنتين)، وأراد بشأويه هنا فعله بهما، والله أعلم». عن شرح ديوان أبي تمام ١: ٧٥، ج٢.

(٤) في الديوان: (ثنتان). القمران: الشمس والقمر. قال الخطيب: «وقد يجوز أن يعني بقوله: (كالقمرين) أن كل واحدة منهما كالقمر لا أنه جعل الشمس تسمَّى قمرًا، والأوّل أقرب إلى أفهام الناس، والثاني جيِّد». شرح ديوان أبي تمام ١: ٧٦.
وردّ ابن المستوفي على القول السابق بقوله: «وهذا القول بالعكس أولى، لأنَّ فهم القمرين بتثنية القمر أفهم، ولأنَّ تشبيه كل واحدة منهما بما تشبَّه به الأخرى أحسن من تفضيلها في التشبيه على صاحبتها وهذا ظاهر في الموضعين». عن: شرح ديوان أبي تمام ١: ٧٦، ج٥.

مِـن كُـلِّ ريمٍ لَـم تَـرُم سـوءًا وَلَـم
تَـخـلِـطْ صِـبـا أَيّـامِـهـا بِـتَـصـابـي[(١)]

قوله: «لَعَذَلْتُهُ في دِمْنَتَيْنِ» معنى سخيف، وإبداعُ غيرُ حَسنٍ ولا جميلٍ.

وقد اعتذر أَبو نواس إلى الرَّبْع: بأَنه[(٢)] لم يَقدِرْ على دفع ضرر البِلَى والدُّرُوس عنه، وأَنَّه لا يدري ما يقول في ذلك لِسُعَاد؛ فجاءَنا بآبِدَةٍ أُخرى طريفة عجيبة، وقد رأيت غير واحدٍ من الشيوخِ يستحسنهُ لغرابةِ معناهُ، وذلك قوله[(٣)]:

[الطويل]

أَرَبـعَ الـبِـلـى إِنَّ الخُـشـوعَ لَـبـادِ
عَـلـيـكَ، وَإِنّـي لَـم أَخُـنـكَ وِدادي
فَـمَـعـذِرَةً مِـنّـي إِلَـيـكَ بِـأَن تَـرى
رَهـيـنَـةَ أَرواحٍ وَصَـوبَ عـوادي
ولَـمْ أَدْرَأ الـضَـرّاءَ عَـنـكَ بِـحـيـلَـةٍ
فَـمـا أنـا مِـنـهـا قـائِـلٌ لِـسُـعـادِ

وهذا ليس على طريقة العرب ولا على[(٤)] مذاهبهم، وإذا[(٥)] اعْتَمَدَ الشاعرُ الإبداعَ فَمِنْ سَبيله أَلَّا يخرج عن سَنَن القوم. فإنه لم يخطر فيه عليه مُستَغْربُ المعاني ومستظرفُها.

[٣٦/أ] وما أَحسن المعنى الصحيحَ إذا أَتى به الطّبعُ النقيّ، وكان قائلُه مُخْبرًا بالأَمرِ على ما هو، وذلك نحو قول البحتريِّ[(٦)]:

---

(١) الريم: الظبي الخالص البياض، والأصل فيه: (رئم) بالهمز، ويجوز قلب الهمزة ياء فيقال: ريم، وجمعه: (آرام).

(٢) الكلمة مطموسة في الأصل المخطوط.

(٣) ديوان أبي نواس: ٧٣، ورواية الديوان: (غوادي)، جمع غادية، ورواية الأصل ألصق بالسياق. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٢٣.

(٤) الكلمة ساقطة من الموازنة ١: ٥٢٣.

(٥) في الأصل: (وإنّما)، وفي الموازنة ١: ٥٢٣: (وإذا) ولعله الأقرب إلى الصواب لتلقي الجواب بالفاء.

(٦) ديوانه، ق٦٦١، ب٢، ٧و٨، وليس بينها البيت الثاني، وهي من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبِّر، ويذكر أَسْره والضربة التي في وجهه. والأبيات في الموازنة ١: ٥٢٣ و٥٢٤... والبيت الثاني من الأبيات ليس في الديوان والبيت الثالث في الموازنة ١: ٥٢٤، والزهرة: ٣٤٨، وطيف الخيال: ٧٧. والبيت الأخير في الموازنة ١: ٥٢٤، والزهرة: ٣٤٨، وطيف الخيال: ٧٧.

[الطويل]

وَمـا أَعـرِفُ الأَطـلالَ مِـن بَطنِ تـوضِحٍ
لِـطـولِ تَـعَـفّـيـهـا وَلَـكِـن إِخـالُـهـا[1]

إِذا قُـلـتُ أَنْـسَـى دارَ لَـيلى عَـلى البِلى
تَـصَـوَّرَ فـي أَقصـى ضَـمـيـري مِـثـالُـهـا

وكُـنـتُ أَرجِّـي وَصـلَـهـا عِـنـد هَـجْـرِهَـا
فَـقَـدْ بـانَ مِـنّـي هَـجْـرُهـا وَوِصـالُـهـا

فَـلا عَـهـدَ إِلّا أَن يُـعـاوِدَ ذِكـرُهـا
وَلا وَصْـلَ إِلّا أَن يُـطِـيـفَ خَـيـالُـهـا[2]

وهذا هو الشِّعر الذي لم تشِنْ وجهَه الاستعارةُ البعيدةُ، ولا المعنى المتمَحَّل.

وقال الحارث[3] بن خالد المخزومي في جيِّد[4] قول البحتري: «وما أَعرفُ الأَطلال»، وأَحسن كل الإِحسان، وأَبدع وأَغرب، وذلك قولُه[5]:

[الكامل]

عَـفَـتِ الـدِّيـارُ فَـمـا بِـهـا أَهـلُ
أَجْـرَاعُـهـا وَدِمـاثُـهـا الـسَّـهْـلُ

إِنّـي وَمـا نَـحَـروا غَـداةَ مِـنـىً
عِـنـدَ الجِـمـارِ يَـؤُودُهـا الـعُـقـلُ[6]

---

(١) رواية الديوان: (في جنب توضح...). التعفّي: الدرس والامّحاء. إخالها: أظنها وأتوهمها، وهمزته مكسورة.

(٢) رواية الديوان: (فلا قُرْب إلّا .....). يعاود: يُعيد.

(٣) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي القرشي. نشأ في مكة أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة، وعرف بمجاراته في الغزل، وبحبه عائشة بنت طلحة. توفي سنة ٨٠هـ. ترجمته في: الأغاني ١١: ٤٢، والمؤتلف والمختلف: ٩٠، وخزانة الأدب ١: ٤٥٣ وما بعدها، والأعلام ٢: ١٥٤.

(٤) في الموازنة: (في ضد).

(٥) شعره، ق٢٤، ب١-٥، ص٧٧ و٧٨، مع تقديم البيت الخامس على الرابع، وهي في: الأغاني ٣: ٣١٣، والموازنة ١: ٥٢٤، وثلاثة الأبيات الأخيرة في: شرح حماسة أبي تمام: ١٢٨٢، وهي الأبيات ١، ٢، ٣، ٦، من قصيدة في: منتهى الطلب ٩: ٤٢ و٤٣ وفيه: (... حِزّانها ودماثها..).

(٦) الحِزّان: جمع حزيز، وهو الغليظ من الأرض. الدماث: مفردها دمث، وهو السهل. الجمار: ما يرميه الحاج من حَصَيات. يؤودها: يرهقها. العُقّل: جمع عِقال، وهو ما يربط به البعير.



لَـعَـرفْـتُ مَـغْـنَـاهـا بِمـا احْـتَـمَـلَـتْ
مِـنِّـي الـضُـلـوعُ لِأَهـلِـهـا قَـبـلُ
ويَـكـادُ يَـعـرِفُـهـا الخَـبـيـرُ بِـهـا
فَـيـردُّهُ الإقْـواءُ وَالـمَـحـلُ[1]

وأَقول الآن في الموازنة بينهما[2]: إِنّ أَهل الصّنعة يفضّلون كلَّ ما قاله أَبو تمام على أَكثرِ ما قاله البحتري في هذا الباب، ويقولون: إِنّ أَبا تمامٍ استقصى الوصفَ في نُعوت النساء، وأَحسن وأجادَ.

وقد –لعمري– [3] كان ذاكَ مع ما فيه من الإِساءَات والأَلفاظ الرَّديئة التي ذكرتها.

[٣٦/ب] والمطبُوعُون وأَهلُ البلاغة لا يكونُ الفضلُ عندهم من جهة استقصاءِ المعاني والإِغراقِ في الوصف؛ وإِنما يكون الفضلُ عندهم في الإِلمام بالمعاني، وأَخْذِ العَفو[4]، كما كانت الأَوائِلُ تفعلُ، مع جَوْدَة السَّبْك، وقرب المَأْتَى.

والقول في هذا قولُهمْ، وإِليهِ أَذهبُ. إِلا أَني أَجعلهما في هذا الباب متكافئَيْن، لكثرة إِحسان أَبي تمام فيه.

****

(١) في شعره: (... فيكادُ...). الإقواء: من أقوت الدار: إذا خلت من الساكنين.
(٢) (وأقول..... بينهما): مطموس في الأصل.
(٣) في الموازنة: (وقد كان ذاك لعمري)، بتقديم جملة (لعمري...).
(٤) في الموازنة: (تعفو)، ولا معنى لها في هذا السياق.

الفصل الخامس عشر[١]

في ذكر ما قالاه في الدُّعاء للديار بالسُّقيا والخصب والنَّبات[٢]

قال أَبو تمام[٣]:

[الطويل]

سَقَى رَبعَهُم لا بَلْ سَقَت مُنتَواهُمُ
مِنَ الأَرضِ أَخلافُ السَّحابِ الحَواشِكُ[٤]

وَأَلبَسَهُم عَصْبَ الربيعِ وَوَشيَهُ
وَيُمنَتَهُ نَبتُ النَّدى المُتَلاحِكُ[٥]

إِذا غازَلَ الرَّوضُ الغَزالَةَ نُشِّرَتْ
زَرابِيُّ في أَكنافِهِم وَدَرانِكُ[٦]

إِذا الغَيثُ سَدّى نَسجَهُ خِلتَ أَنَّهُ
مَضَت حِقبَةٌ حَرسٌ لَهُ وَهوَ حائِكُ

(١) (الفصل.... في): ليس في الموازنة، وهي من وضع المؤلف.

(٢) الكلمة ساقطة في المخطوط.

(٣) ديوانه، ق١٠٩، ب٣-٦، ٢: ٤٥٧-٤٥٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري. وهي في: الموازنة ٢: ٥٢٦. والبيت الرابع في: دلائل الإعجاز: ٥٥٣.

(٤) في الديوان: (سقت...). الحواشك: في الأصل جمع (حاشكة)، وهي الناقة التي تجمَّع اللبن في ضَرّعها. وهو هنا يريد السحابة الكثيرة الماء. وفي القاموس: الحَشَكُ: شدَّة الدِّرَّة المجتمعة في الضّرْع، أو سرعة تجمُّع اللبن فيها، حشكت السَّحابة: كثر ماؤها. القاموس المحيط (حشك).

(٥) المتلاحك: المتداخل المتصل بعضه ببعض.

(٦) الزرابيُّ: الطّنافس، قال المعري: «وأجدر أن تكون عربية الأصل». شرح ديوان أبي تمام ٢: ٤٥٨. الدرانك: مفردها: دُرْنوك، وهو شبيه بالطنافس والبِسَاط. قال المعري: «ويقال: إنّ أصله غير عربي، إلا أنهم قد استعملوه قديمًا». شرح ديوان أبي تمام ٢: ٤٥٨.

قوله: «حَوَاشكُ» جمع: حَاشكَة، وهي النَّاقة التي قد اجتمع لبنُها في خَلْفها شبَّه السحابَ بها. والحَشَكُ: اسم الدُّرَّة المجتمعة.

والمُتَلاحِكُ[1]: الذي قد تكَاثَفَ وتَدَاخَلَ بعضُه في بعض، من المُلَاحَكَة في البناءِ ونحوه.

وقوله: «حقْبَةٌ حَرْسٌ» في غاية الرداءة[2]؛ لأَن الحقْبَة، السَّنةُ: وجمعها حِقَبٌ.

والحَرَسَ: الدَّهر. وذكْرُ السَّنة مع الدهر جهلٌ بموضوعات الكلام، وخروج عن العاداتِ. ومتى سمع أَحدًا يقول: ما رأَيته مذْ سنةٍ دهرًا، وقد مضى له سنةُ دهرٍ ما يكلِّمنا؟ [٣٧/أ] فأَما جعلُهُ الغيثَ كأَنَّه كانَ حائِكًا، فمن مَضَاحِيك معانيه وأَلفاظه.

وقال البحتريُّ[3]:

[البسيط]

أَسقى دِيارَكِ -وَالسُّقيا تَقِلُّ لَها-
إِغزارُ كُلِّ مُلِثِّ الوَدقِ ثَجّاجِ[4]

يُلقي عَلى الأَرضِ مِن حُليٍ وَمِن حُلَلٍ
ما يُمتِعُ العَينَ مِن حُسنٍ وَإِبهاجِ

فَصاغَ ما صاغَ مِن تِبرٍ وَمِن وَرِقٍ
وَحاكَ ما حاكَ مِن وَشيٍ وَديباجِ[5]

---

(١) يقال: لَحَك الشيء بالشيء: شدَّ التئامه به، ومثله: لاحَكَ، وتلاحكَ. والمتلاحِكة: الناقة الشديدة الخلق. القاموس المحيط (لَحَكَ).

(٢) في الموازنة: (الرداة)، وهو تخفيف الرداءة.

(٣) ديوانه، ق١٦٦، ب ٥-٧، ص٤١١. والموازنة ١: ٥٢٦. والبيت الثالث في: دلائل الإعجاز: ٥٥٣.

(٤) الملثُّ: المطر الذي يستمرُّ مدة. الودْق: المطر الخفيف. الثجَّاج: الشديد الانصباب.

(٥) التِّبر: الذهب الذي لم يُصَغْ أو يسبك. الوَرِق: الدراهم المضروبة - الدِّيباج: لفظة فارسيَّة معرَّبة، وتعني الثياب الملوَّنة. قال الجرجاني في الردِّ على الآمدي: «والذي قاله البحتريُّ (فحاك ما حاك) حسن مستعمل، والسبب في هذا الذي قاله -يعني الآمديّ- أنه ذهب إلى عرض أبي تمام أن يقصد (بخلت) إلى الحوك، وأنه أراد: (خِلْتَ الغيث حائكًا)، وذلك سهو منه، لأنه لم يقصد (بخلت) إلى ذلك، وإنّما قصد أن يقول: إنّه يظهر في غداة يوم من حوك الغيث ونسجه بالذي تراه العيون.... ما يتوهَّم معه أن الغيث كان فعل ذلك، وفي نسجه وحوكه، حقبًا من الدهر». دلائل الإعجاز: ٥٥٤.

فصوغ الغيث النبتَ وحَوْكُهُ للنباتِ ليسَ باستعارةٍ. بل هو حقيقة، ولكن لا يقالُ: هو صائغ، ولا كأَنّه صائغ. وكذلك لا يقال: حائكٌ ولا كأنَّه حائكٌ[١]. وعلى أَن لفظة حائك خاصةً في غاية الرّكاكة إِذا خرجت على ما جاء به أَبو تمام.

وقال البحتريُّ[٢]:

[الخفيف]

فَسَقاهُم وَإِن أَطالَت نَواهُمْ
خِلفَةَ الدَّهرِ لَيلُهُ وَنَهارُهْ[٣]

كُلُّ جَونٍ إِذا ارتَقى البَرقُ فيهِ
أوقِدَتْ لِلعُيونِ بِالماءِ نارُه[٤]

إِن أَقامَ ارتَوى الظَّماءُ وَإِنْ سا
رَ أَقامَتْ أَنيقَةً آثارُه

بِاتِّفاقٍ مِن خُضرَةِ الرَّوضِ نَضرٍ
وَاختِلافٍ يُجِدُّهُ نُوّارُه[٥]

كَسُفورِ الفَتاةِ عَن حُرِّ وَجهٍ
يَتَكافا ابيِضاضُهُ وَاحمِرارُه[٦]

وهذا كلُّه جيدٌ، حَسَنٌ لفظُه ومعناهُ.

وقوله: «يتكافا ابيضاضُه واحمراره» ما لحُسْنِه نهايةٌ.

---

(١) (ولا .... حائك): ليست في الموازنة ١: ٥٢٧.

(٢) ديوانه، ق٣٦٣، ب ٣-٧، ص٩١٧، والموازنة ١: ٥٢٧. والبيت الأول منها في: التشبيهات: ٦٣، وسمط اللآلي: ٤٤٥.

(٣) خِلفة: يأتي هذا عقب ذاك.

(٤) الجوْن: السَّحاب الأسود.

(٥) نُوَّاره: زهر الرمّان.

(٦) في الموازنة: (.... عن حسن وجه ....). يتكافا: تخفيف (يتكافأ)، أي: يتساوى.

وقال أَيضًا يصفُ آثارَ الغيثِ، وليس بدعاءٍ للدار بِالسُّقْيا[1]:

[الكامل]

دِمَـــنٌ تَـنـاهَـبَ رَسـمَـهـا حَـتّـى عَـفـا

مِـنـهـا تَـعـاقُـبُ رائِــحٍ بِـقِـطـارِهِ[2]

[37/ب] بـاتَـت وَبـاتَ الـبَـرقُ يَمـري عُـوذَهُ

فـيـهـا وَيَـنـتِـجُ مُـثـقَـلاتِ عِـشـارِهِ[3]

فَـــالأَرضُ فـي نَـسْـجِ الـنَّـبـاتِ مُـجِـدَّةٌ

أَثـوابَـهـا وَالــرَوضُ مِـن نُـوّارِهِ[4]

وهذا أَيضًا حلوٌ، حَسنٌ لفظُه ومعناهُ.

وقوله: «وَبَاتَ البَرْقُ يَمْري»: أَي يَسْتَخرجُ ماءَها. والعُوذُ: الحديثاتُ النِّتاجِ، شبَّهَ السحائب بها. والعِشَار: التي قد أَتى لحملها عَشَرة أَشهرٍ، وإِذا وضَعَت فهي أَيضًا عِشَارٌ، لا يزول عنها هذا الاسمُ.

وقال أَبو تمام يصفُ آثارَ الغَيْثِ[5]:

[الطويل]

دَوارِسُ لَـم يَـجـفُ الـربـيـعُ رُبـوعَـهـا

وَلا مَــرَّ فـي أَغـفـالِـهـا وَهــوَ غـافِـلُ

(١) ديوانه، ق٣٤٥، ب٣-٥، ص٨٦٦، من قصيدة في مدح أبي عامر الخِضْر بن أحمد، وهي في الموازنة ١: ٥٢٧.

(٢) الرائح: مطر المساء. القطار: جمع قطر، وهوالمطر.

(٣) يمري: يستخرج. العُوْذُ: الظّباء أو النوق الحديثة النتاج، واحدتها: عائذ. العِشار: التي مضى على حَمْلها عشرة أشهر.

(٤) رواية الأصل: (فالأرْض في عَمَم). المجدَّة: مأخوذة من جدَّ يَجِدُّ فهو جديدٌ، وأجدَّ، واستجدَّه: صيَّره جديدًا فتجدَّد. القاموس المحيط (جدد). النوَّار: زهر الرمَّان.

(٥) ديوانه، ق١٢٩، ب٣، ٤، ٣: ١١٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيّات، وهي في الموازنة ١: ٥٢٨. الدوارس: يعني الديار المندرسة التي لا حياة فيها.

فَقَد سَحَبَت فيها السَّحابُ ذيولها
وَقَد أُخمِلَت بِالنَّورْ فيها الخَمائِلُ[1]

وقال البحتريُّ[2]:

[البسيط]

يادِمنَةً جاذَبَتها الرِّيحُ بَهجَتَها
تَبيتُ تَنشُرُها عَنْها[3] وَتَطويها
لازِلتِ في حُلَلٍ لِلغَيثِ ضافِيَةٍ
يُنيرُها البَرقُ أَحيانًا وَيُسديها[4]
تَروحُ بِالوابِلِ الدَّاني رَوائِحُها
عَلى رُبوعِكِ أَو تَغدو غَواديها[5]

رَوائحها: يعني السَّحَاب، وهذا أَيضًا جيِّدٌ بالغ. [انتهى][6].

وقال أَبو تمام[7]:

[الكامل]

(١) في الديوان والموازنة: (... السحائبُ ذيلَها). وأشار محقق الديوان إلى أنها رواية نُسَخ أخر. الخمائل: الأرض السهلة. قال المعري: «واتَّفق له أنَّ الخمائل تقع على ما أُخْمِل من القُطُف ونحوها؛ أي جُعِلَ له خمْلٌ فقال: (وقد أُخملتْ بالنَّور)؛ أي: جُعل لها كالخَمْل، وهي خمائلُ تُشبّه بالقَطيف الذي هو مُخْمل مما يُنْسج». شرح ديوان أبي تمام ٣: ١١٤.

(٢) ديوانه، ق٩١٥، ب٢-٤، ص٢٤١٤، من قصيدة يمدح بها المتوكل ويصف البركة. وهي في: الموازنة ١: ٥٢٨، والمنازل والديار ٣٣٩.

(٣) في الديوان والموازنة والمنازل والديار: (.... طورًا ....).

(٤) ضافية: شاملة متَّسعة. ينيرُها: يمدّ الخيوط عَرْضًا، ويُسْديها: يمدّ خيوطها طولًا، فيكون النَّسْجُ.

(٥) الرّوائح: جمع رائحة، وهي -ههنا- السَّحابة، وهي في مقابل (الغوادي) وواحدتها (غادية)، وهي التي تنشأ صباحًا.

(٦) ليست في الموازنة.

(٧) ديوانه، ق١٣٣، ب ٥و٦، ٣: ١٥١، من قصيدة في مدح المأمون، والموازنة ١: ٥٢٩.

لاَ[١] مَــرَّ يَــومٌ واحِــــدٌ إلّا وَفــي
أَحــشـائِــهِ لِمَحِـلَّــتَـيـكِ غَــمــامُ[٢]
حَـتّـى تُـعَـمَّـمَ صُـلْـعُ هـامـاتِ الـرُّبـا
مِــن نَــــورِهِ وَتَــــأَزَّرَ الأَهــضــامُ[٣]

فالأَهضَام: ما انخفضَ منَ الأَرض، جمعِ هضْم.

[٣٨/أ] وقوله: «حتى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبا» أَخذه من قول الراجز –وأَنشده يعقوب بن السكِّيت[٤] وغيرهُ[٥]–:

[الرجز]

قـد أَصْـبَـحَـتِ الـعُـقْـدَةُ صَـلْـعَـاءَ الـلِّـمَـمْ
وأَصْــبَــحَ الأَسْــــوَدُ مـخـضـوبًـا بــدَمْ

والعُقْدة[٦]: موضعُ ذو شَجَرٍ لا يَنْتَفِي فيذهب. واللِّمَمُ، وهي الجِمَامُ جمع لِمَّة، فيجعله مثلًا لرُءوس النَّبت إِذا أَكلته الإِبل فصارت لِمَمُه صَلْعاء. والأَسودُ: الحيَّةُ تَطَؤه[٧] الإِبل فتقتله.

(١) رواية الديوان: (ما مرَّ)، والرواية المثبتة وردت في نسخ خطية ثلاث غير النسخة التي أخرج المحقق الديوان عليها. وورد شرح البيت في الديوان عاضدًا الرواية المثبتة. قال: «دعا للديار فقال: لا مرَّ يوم...». شرح ديوان أبي تمام ٣: ١٥١.
(٢) المحلّتان: المشتى والمصيف والمَبْدَى والمَحْضَر.
(٣) تعمَّم: أي صار النبت كالعمائم للربى الصلعاء التي لا نبت فيها. تأزَّر: كان كالإزار. الأهضام: جمع هِضْم، وهو المطمئنُّ من الأرض.
(٤) هو: يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف بن السكيت. كان عالمًا باللغة والشعر، موثوق الرواية. أخذ عن أبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي. صنَّف في اللغة وشرح دواوين شعراء عدة. توفي سنة ٢٤٤هـ. من أهم كتبه: إصلاح المنطق، والألفاظ، وشرح ديوان النابغة، وغيرها. ترجمته في: بغية الوعاة ٢: ٣٤٩، ترجمة رقم (٢١٥٩).
(٥) الرجز بلا نسبة في: الموازنة ١: ١١١ و٥٢٩، والوساطة بين المتنبي وخصومه: ٢٠٥، ومجمل اللغة ٣: ٣٩٢، وأساس البلاغة (عقد)، وفي أساس البلاغة (قرع): (أصبحت العُقَد قرعاء اللّمم)، وروى الزمخشري في (قرع) الشطر الأولى مع شطرين آخرين وأسند الرواية إلى ابن السكيت.
(٦) في الموازنة: (فالعقدة...).
(٧) في الأصل: (تطاءه).

وقال البحتريُّ[1]:

[البسيط]

إذا الـغَـمـامُ حَـداهُ الـبـارِقُ الـسَّـاري

وَانـهَـلَّ مِـن ديمَـةٍ وَطـفـاءَ مِـدرارِ[2]

وَخِـيـلَ إِشـراقُـهُ طَـورًا وَظُـلـمَـتُـهُ

مـا حـاكَ مِـن نَمَـطَـي رَوضٍ وَأَنـوارِ[3]

فَـجـادَ أَرضَـكِ فـي غَـربِ الـسَّـمـاوَةِ مِن

أَرضٍ، وَدارَكِ بِـالـعَـلـيـاءِ مِـن دارِ[4]

وهذا معنى في غاية اللَّطافة والحسن، وكَثْرةِ الماء. انتهى.

وقال البحتري[5]:

[الكامل]

قَـسَـمَ الـصَّـبـابَـةَ فِـرقَـتَـيـنِ فَـشَـوقُـهُ

لِـلـظـاعِـنـيـنَ وَدَمـعُـهُ لِـلـمَـنـزِلِ

مُـتَـقَـسِّـمُ الأَحـشـاءِ يَـنـشُـدُ أَربُـعًـا

مُـتَـقَـسِّـمـاتٍ بِـالـصَّـبـا وَالـشَّـمـأَلِ[6]

---

(١) ديوانه، ق٣٤٢، ب ١-٣، من قصيدة في مدح المستعين بالله وأبي صالح بن يزداد، والموازنة ١: ٥٢٩.

(٢) الديمة: السحابة الماطر. الوطفاء: السحابة المسترخية من كثرة الماء. المدرار: اسم مبالغة، الغزيرة الماء.

(٣) النَّمط: الطريقة.

(٤) السَّماوة: بادية بين الكوفة وبلاد الشام. العلياء: لعله اسم موضع ذكر محقق ديوانه أنه لم يعثر على هذا الاسم في كتب البلدان. أقول: لعله صفة لكل أرض عالية، وقد ورد ذكر (العلياء) في شعر النابغة في معلقته:

يا دار ميَّة بالعلياء فالسَّند ... أقوتْ وطال عليها سالفُ الأمدِ

وورد في شعر البحتري نفسه في قوله (ديوانه، ق٢٦٠، ب٥، ص٦٤٥):

أضحتْ معاهد ذاك الحَزْن مقفرةً ... وأقفرتْ منهم العلياء فالسَّند

(٥) ديوانه، ق٦٨٨، ب ٣-٦، ص١٧٩٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي، وتعود إلى سنة ٢٣٢هـ. وهي في: الموازنة ١: ٥٣٠. والأبيات ١-٣ في المنازل والديار: ٤٥ مع البيتين الأول والثاني من مطلع القصيدة.

(٦) في المنازل والديار: (يندُبُ أربُعًا).

حَـطَّـت عَـلـى تِـلـكَ الأَجــــارِعِ وَالــرُّبــا

مِـنـهُـنَّ أَعـبــاءُ الـغَـمـامِ الــمُـثـقَـلِ[1]

وَغَـــدَا الـرَّبـيـعُ لَـهـا يُـنَـمـنِـمُ رَوْضَـــهُ

ضَــربَـــيِنِ بَـــينَ مُـعَـمَّـدٍ وَمُـــهَـــلَّـــلِ[2]

مُعَمَّدٍ: مثل العمَدِ، ومُهَلَّل: مثل الأَهِلَّة.

وقال أَبو تمام[3]:

[الكامل]

أَســقـــى دِيــــارَهُـــمُ أَجَـــــشُّ هَـــزيمُ

وَغَـــــدَتْ عَـلَـيـهِـم نَـضـرَةٌ وَنَـعـيـمُ[4]

جـــادَت مَـعـاهِـدَهُـم عِـهـادُ سَـحـابَـةٍ

مــا عَــهـدُهــا عِــنـدَ الــدِيــارِ ذَمـيـمُ

ولأَبي تمام في الدُّعاء بالسُّقْيا، أَبيات كثيرةٌ في قصيدته التي أَولها[5]:

[المنسرح]

إِنَّ بـكــاءً فــي الــدِّيــار مِـــنْ أَرَبِـــهْ

تفاصَحَ فيها وتَبادى، وهي كَزَّةٌ قليلةُ الحلاوة، لم أَكتبْ منها شيئًا.

(١) في المنازل والديار: (... على تلك المنازل... أعباء السَّحاب...). الأجارع: جمع أجْرع، وهو الرملة المستوية التي لا نبات فيها.

(٢) في الديوان: (... ينمنم روضه...)، وهي كذلك في الموازنة.

(٣) ديوانه، ق١٦٠، ب ١و٢، ٣: ٢٨٩، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شُبَانة، وهي في: الموازنة ١: ٥٣٠.

(٤) رواية الديوان: (أسقى طلولهم...). سقى وأسقى بمعنى واحد، ومعناه الدّعاء للديار بالسقيا. وفرَّق بعضهم بين الفعلين في المعنى. الأجشُّ: صوت فيه خشونة، وهو هنا صفة للرعد؛ أي: رَعْدٌ أجشُّ. الهزيم: صوت هزيم، أي شديد.

(٥) ديوانه، ق٢، ب١، ١: ٢٦٩ من قصيدة يمدح فيها الممدوح السابق، وعجز هذا البيت:

....   فشايعا مغرمًا على طربه

[٣٨/ب] وقال البحتري[١]:

[الكامل]

وإذا تَحَمَّلَ مِن تِهامَةَ بارِقٌ
لَجِبٌ تَسيرُ مَعَ الجَنوبِ زُحوفُهُ[٢]

صَخِبُ العَشِيِّ إذا تَأَلَّقَ بَرقُهُ
ذَعَرَ الأَجادِلَ في السَّماءِ حَفيفُهُ[٣]

فَسَقى اللِّوى لابَل سَقى عَهدَ اللِّوى
أَيّامَ نَرتَبِعُ اللِّوى وَنَصيفُهُ[٤]

الأَجَادِلُ: الصُّقُور.

وهذا جيِّدٌ بالغٌ لفظُه وسبكُه ومعناهُ.

وقال البحتريُّ أَيضًا[٥]:

[الكامل]

إِلمامَةٌ بِالدارِ إِنَّ مُتَيَّمًا
يَكفيهِ أَكثَرَ شَوقِهِ إِلمامُهُ[٦]

أَمْسَى يُضَرِّمُ في جَوانِحِهِ الجَوَى
بَرقٌ يَشُبُّ مَعَ العَشِيِّ ضِرامُهُ[٧]

---

(١) ديوانه، ق٥٥٦، ب ٦–٨، ص١٤١٨، من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان مطلعها:

شرْخ الشباب أخو الصِّبا وأليفُه   والشّيْبُ تَزْجيه الهوى وخُفُوفُه

والأبيات في: الموازنة ١: ٥٣٠ و٥٣١. والبيت الثاني والثالث منهما في: المنازل والديار ٧٠ و٧١.

(٢) رواية الديوان: (فإذا تحمَّل...). البارقُ: السحاب الماطر. اللجب: الكثير ذو الجلبة. الجنوب: الرياح التي تهبُّ من الجنوب، وهي رياح خيرة.

(٣) الأجادل: مفردها (أجْدل) و(أجدلي)، وهو الصفر.

(٤) نرتبع: ننزله في زمن الربيع. نصيفه: ننزله زمن الصيف.

(٥) ديوانه، ق٧٧٨، ب٢ و٣ ٨ و٩، ص٢٠٣٣ من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد بن بسطام. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٣١.

(٦) الإلمامة: النزول في الديار.

(٧) الضرام: الاتقاد والاشتعال.

سُقيَ اللِّوى حَوذانُهُ وَعَرارُهُ
وَسَيالُهُ وَأَراكُهُ وَبَشامُهُ[1]

فَلَرُبَّ عَيشٍ بِاللِّوى لَم تُستَزَدْ
حُسنًا لَياليهِ وَلا أَيّامُهُ

وهذا لا مزيدَ على براعةِ لفظهِ، وجَوْدة سَبْكِه، وكثرةِ مائِه.

وقال أَيضًا[2]:

[الطويل]

أَدارَهُمُ الأولى بِدارَةِ جُلجُلٍ
سَقاكِ الحَيا رَوحاتُهُ وَبَواكِرُه[3]

وَجاءَكَ يَحكي يوسُفَ بنَ مُحَمَّدٍ
فَرَوَّتكِ رَيّاهُ وَجادَكِ ماطِرُه[4]

وهذا أَحسنُ ما يكونُ من المدحِ. ويُسَمَّى الاسْتِطرَاد[5]، وقد ذكرَ أَبا سعيد محمد بن يوسف في غير موضعٍ، على هذا المعنى ونحوه. يتسبَّب إلى مدحه في مدائحِ غيره.

وقال أَيضًا[6]:

[الطويل]

---

(١) الحَوْذان: نوع من النبات. العَرار: نبت طيب الرائحة، وهو المعروف بالنرجس البرِّي. السَّيَال: شجر طويل الأغصان ذو شوك أبيض كالحليب. الأراك: الشجر الذي يعمل منه السِّواك، وهو طيب الرائحة. البَشَام: شجرٌ له سوق وأغصان وأوراق صغار، إذا قُطعتِ الورقة منه سال منها ما يشبه الحليب أيضًا.

(٢) ديوانه، ق٣٤٧، ب ٣و٤، ص٩٧٦، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمّد، والصَّواب أنها في مدح ابنه، وتعود إلى سنة ٢٣٧هـ. وهما في: الموازنة ١: ٥٣١، والصناعتين: ٣٦٦، وزهر الآداب: ٣: ٢٩.

(٣) رواية الديوان: (... رَوْحانُه...). الرّوحَان: مطر العشيّ. البواكر: مطر الصباح.

(٤) الريَّا: الرائحة الطيبة.

(٥) الاستطراد: هو أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل، فإن تمادى فهو الخروج وإن عاد فهو الاستطراد. معجم المصطلحات البلاغية ١: ٨١.

(٦) ديوانه، ق٦٦١، ب ٣و٤، ص١٦٨٦، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدّبر، وهما في: الموازنة ١: ٥٣٢. والبيت الثاني في الزهرة: ٣٤٨.

أَوَدُّ لَها سُقيا السَّحاب وَمَحوَها
بِسُقيا السَّحاب حينَ يَصدُقُ خالُها[١]
مَحَلَّتُنا وَالعَيشُ غَضٌّ نَباتُهُ
وَأَفنِيَةُ الأَيّامِ خُضرُ ظِلالُها[٢]

[٣٩/أ] وهذا معنًى حَسنٌ صحيحٌ.

وقال أَيضًا[٣]:

[الكامل]

يا عارِضًا مُتَلَفِّعًا بِبُرودِهِ
يَختالُ بَينَ بُروقِهِ وَرُعودِهِ
لَو شِئتَ عُدتَ بِلادَ نَجدٍ عَودَةً
فَنَزَلتَ بَينَ عَقيقِهِ وَزَرودِهِ[٤]
لِتَجودَ في رَبعٍ بِمُنعَرَجِ اللِوى
قَفرٍ تَبَدَّلَ وَحشَهُ مِن غيدِهِ

وقال أَيضًا[٥]:

[الطويل]

سَأَلتُ الغَوادي مُلحِفًا في سُؤالِها
وَناشَدتُها في سَقيِ بُرقَةِ ثَهمَدِ[٦]

---

(١) الخال: البَرْق.
(٢) في الأصل: (خلالها). الأفنية: مفردها فِناء، وهو ما اتسع من أمام الدّار. ويجمع على (فُنيّ) أيضًا.
(٣) ديوانه، ق٧٢٥، ب ١-٣، ص٦٩٣، وهي في: الموازنة ١: ٥٣٢. والبيت الثاني في دلائل الإعجاز: ١٦٦، والإيضاح: ٧٩. العارض: السحاب الظاهر في الأفق. البرود: الثياب الموشَّاة. المتلفع: المشتمل، المتغطي.
(٤) أورد الجرجاني هذا البيت من جملة شواهد على أنَّه لابدَّ من حذف المفعول به للفعل (شاء)، ولو لم يحذف لما كان له من الحلاوة ما له. قال: «معلومٌ أنك لو قلت:.... ولو شئتَ أن تعودَ بلاد نجدٍ عودةً عُدْتها أذهبت الماء والرَّونق، وخرجت إلى كلام غثٍّ، ولفظ رثٍّ». دلائل الإعجاز: ١٦٧.
(٥) ديوانه، ق٣٢٦، ب ٣-٧، ص ٨١٥، ٨١٦، من قصيدة في مدح ابن نُصَيْر. والبيت الأول والثاني منهما في: المنازل والديار: ١٨.
(٦) البُرَق عند العرب قريب من مئة برقة، ومنها برقة ثهمد، وهي لبني دارم. والغوادي: جمع غادية، وهي السحابة.

مَـنـازِلُ مـا أَبـقـى الـبِـلـى مِـن عِـراصِـهـا

سِـوى أَرسُـمٍ مَـعـفُـوَّةِ الآيِ هُـمَّـدِ[1]

مَـعـاهِـدُ مِـن خَـودٍ تَـنـاصَـرَ حُـسنُـهـا

تَـنـاصُـرَ ضَـوءِ الـكَـوكَـبِ الـمُـتَـوَقِّـدِ[2]

تَـثَـنّـى عَـلـى لَـحـظِ الـعُـيـونِ إِذا مَـشَـتْ

تَـثَـنِّـيَ غُـصـنِ الـبـانَـةِ الـمُـتَـأَوِّدِ[3]

وهذا كله جيد لفظًا ومعنى.

وقال أَيضًا[4]:

[البسيط]

أُنـاشِـدُ الـغَـيـثَ كَـي تَـهـمـي غَـوادِيـهِ

عَـلـى الـعَـقـيـقِ وَإِن أَقـوَت مَـغـانـيـهِ[5]

عَـلـى مَـحَـلٍّ أَرى الأَيّـامَ تَـضـحَـكُ عَـن

أَيّـامِـهِ وَالـلَـيـالـي عَـن لَـيـالـيـهِ

عَـهـدٌ مِـنَ الـلَـهـوِ لَـم تُـذمَـم عَـوائِـدُهُ

يَـومًـا فَـتُـنـسـى وَلَـم تَـقـدُم بَـوادِيـهِ[6]

وقال أَيضًا[7]:

---

(١) العِرَاص: جمع عَرَصَة، وهي البقعة الواسعة وليس فيها بناء. معفوَّة: دارسة. هُمَّد: جمع هامدة، وهي البالية التي لا حياة فيها. الآي: العلامة.

(٢) المعاهد: الأماكن المعهودة، أي المأهولة. الخَوْد: الشابَّة. تناصَرَ: آزرَ بعضُه بعضًا.

(٣) البانة: واحدة البان، وهو نوع من الشجر. المتأوِّد: المتثني.

(٤) ديوانه، ق٩١٦، ب ١-٣، ص٢٤٢٢، من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن ثوابة. وهي في: الموازنة ١: ٥٣٢، والمنازل والديار: ١٠٠.

(٥) في المنازل والديار: (أنّ تهمي...). المغاني: جمع مغْنى، وهو المعلم من معالم الديار. تهمي: تهطل.

(٦) في المنازل والديار: (.... تذمم معاهده). لم تقدُم: لم تصبِح قديمة. العوائد: جمع عائدة، والمراد بها ما يرجع من أيام اللهو وما يعود منها.

(٧) ديوانه، ق٧٠٢، ب ٦-٨، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إسماعيل بن نَيْبُخت وهي في: الموازنة ١: ٥٣٣. والبيت الثالث منها في عبث الوليد: ٤٣٥.

[الكامل]

خَـلَـفَـتـكُـمُ الأَنـــواءُ فـي أَوطـانِـكُـم
فَـسَـقَـت صَـــوادِيَ أَربُـــعٍ وَطُـلـــولِ[1]

وَإِذا الـسَّـحـابُ تَـرَجَّـحَـت هَـضَـبـاتُـهُ
فَـعَـلـى مَـحَـلٍّ بِـالـعَـقـيـقِ مَـحـيـلِ[2]

حَـتّـى تُـبَـلَّ مَـنـازِلٌ لَـو أَهـلُـهـا
كَـثَـبٌ لَـرُحـتُ عَـلـى جَـوىً مَـبـلـولِ[3]

وقال أَبو تمام[4]:

[الخفيف]

أَيُّـهـا الـبَـرقُ بِـتْ بِـأَعـلـى الـبِـراقِ
وَاغـــدُ فـيـهـا بِـوابِـلٍ غَـيـداقِ

[39/ب] دِمَـنٌ طالَما التَقَت أَدمُـعُ المُز
نِ عَـلَـيـهـا وَأَدمُـعُ الـعُـشّـاقِ

وقال أَبو تمام أَيضًا – وهذا من أَحسنِ معاني هذا الباب، وهو من إِحسانه المشهور[5]:

[الكامل]

يـا مَـنـزِلًا أَعـطـى الحَـوادِثَ حُـكـمَـهـا
لا مَـطـلَ فـي عِـدَةٍ وَلا تَـسـويـفـا[6]

(١) الأنواء: جمع نَوْء، وهو المطر. الصَّوادي: جمع (صادية) وهي الشديدة العطش.

(٢) محيل: ماحل.

(٣) في عبث الوليد: (حتّى يَبُلَّ...). الكَثَبُ: القريبُ. قال المعرِّي في التعليق على هذا البيت: «قوله: لو أهلها كثَبٌ، أوقع بعد (لو) الابتداء والخبر، وإنَّما جَرَت العادة أن يليها الفعل أو (أنَّ)، وإذا وليها اسمٌ وجبَ أن يضمَر لها فعلٌ... وهي تجري في ولاية الفعل مُجرى (إذا) وحروف الجزاء». عبث الوليد: ٤٣٥.

(٤) ديوانه ٢: ٤٤٧، والموازنة ١: ٥٣٣. الغَيْداق: الكثير الجريان.

(٥) ديوانه ق٩٧، ب٢-٤، ٢: ٣٧٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٣٣.

(٦) العِدَة: الوعد. التّسويف: المماطلة في الوفاء بالوعد.

أَرســـى بِـنــاديـكَ الــنَّــدى وَتَــنَــفَّـسَـت
نَـفَـسًـا بِـعَـقْـوَتِـكَ الـرِّيــاحُ ضَـعـيـفـا[1]

شُـغِـفَ الـغَـمـامُ بِـساحـتـيـك وَرُبَّمـــا
رَوَّت رُبـــاكَ الـهـائِـمَ الـمَـشـغـوفـا[2]

وقوله: «وتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرياحُ ضَعِيفًا» مما استحسنه الناسُ، وقد ذكرْتُه في باب مَحْوِ الرِّياحِ للديار، ومن أَين أَخذ المعنى.

وقوله: «شُغِفَ الغمَامُ بَسَاحتَيْكَ» يدعو له بالسُّقْيا على سبيل الجزاء، بما روّته رباه من أَحبابِه فيه.

****

---

(١) العَقَوة: ما حول الدار.

(٢) في الموازنة: (... بعرصتيك فربما ...).

الفصل السّادس عشَر

في ذكر ما قالاه في [مخاطبة الأصحاب في][1] الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب إيّاهما على ذلك

قال أَبو تمام[2]:

[الكامل]

فَاعقِل بِنِضوِ الدارِ نِضوَكَ يَقتَسِم
فَرطَ الصَّبابَةِ مُسعِدٌ وَحَزينُ[3]
لا تَمنَعَنّي وَقفَةً أَشفي بِها
داءَ الفِراقِ فَإِنَّها ماعونُ[4]
وَاسقِ الأَثافِيَ مِن شُؤوني رِيَّها
إِنَّ الضَّنينَ بِدَمعِهِ لَضَنينُ

[٤٠/أ] استعار للدار اسم «النِّضْوِ» لِدُروسها، من أَجل قوله: «نِضْوكَ»، يريد بعيره، وذلك رسمُه ومذهبُه في الاستعارة.

---

(١) من هنا طمس أكثر عنوان هذا الفصل في النسخة الخطيَّة.

(٢) ديوانه ق١٦٧، ب ٢-٤، ٣: ٣٢٣ و٣٢٤، والموازنة ١: ٥٤١. النّضْو في الأصل: السَّهم الفاسدُ من كثرة الرمي، وهو كذلك الثَّوب الخَلَق، واستعاره هنا للدارس من الديار.

(٣) في الهامش: (النّضو: البعير المهزول) وبقية العبارة لم أتبيَّنها. النّضْو الأول: يُطلق على الثوب البالي، وهو هنا يريد الديار الدارسة. والنضو الآخر: هو البعير. الفَرْط: الزيادة.

(٤) الماعون: مأخوذ من (المعْن)، والمراد به هنا: الأمر السهل اليسير. يقال: ليس له سَعْن ولا مَعْن. والسَّعْن: شبيه بالدّلو أو القربة البالية يبرَّد فيها الماء. وفسَّر هذا المثل بأنه ليس لديه دسم اللحم ولا الخرقة البالية.

وقوله: «يَقْتسِمْ فرْطَ الصَّبابةِ مُسْعَدٌ وحزينُ» فإِنَّ المُسعد ليس عنده من الصَّبابة ما عند الحزين؛ لأَنَّ الصَّبابة رقَّة الشوق. فما في المسعد من الاشتياق؟ وكيف فرط الاشتياق؟

والقريب من الصَّواب قولُ البحتري[1]:

[الكامل]

هَل مُغرَمٌ يُعطي الهَوى حَقَّ الجَوى
مِنكُم فَيُنفِدَ دَمعَهُ أَو مُسعِدُ

أَي هل مغرم منكمْ يبكي لغرامه كما أَبْكي أَو مُسعد؟ لأَنَّ المسْعدَ قد يبكي لبكاء صاحبه وإِنْ لم تكُ هناك صبابةٌ، أَو أَن يكون أَراد بالمسعد مَنْ يقف معه يتأَلَّمُ له ولا يعنِّفهُ.

وقول أَبي تمامٍ يُتجاوز في مثله: لأَنَّ الهائم الصبَّ إِذا وجدَ من يرقُّ له ويرحمهُ ويظهرُ الاغتمامَ بأَمرِه، يخيَّل إِليه أَنَّ منْ شأنهِ أَنْ يحزنَ كحزنهِ، ويبكي كبكائه. وقد قال البحتريُّ في مثل هذا[2]:

[الكامل]

هَلّا بَكَيتِ وَقَد رَأَيتِ بُكاءَهُ
وَدَنِفتِ حينَ سَمِعتِ شَجوَ المُدنَفِ[3]
فَلأُجرِيَنَّ الدَمعَ إِنْ لَم تُجرِهِ
وَلأَعرِفَنَّ الوَجدَ إِن لَم تَعرِفِ

---

(١) ديوانه، ق٢٥٨، ب٨، ٦٢٨، من قصيدة يمدح فيها أبا أيّوب أحمد بن محمد بن شُجاع المعروف بابن أخت أبي الوزير وهو في الموازنة ١: ٥٤١. وانظر ترجمته في حواشي القصيدة ٢٠٦، ص٤٩١.

(٢) ديوانه، ق٥٥٥، ب١٠، ٧، ٨، ١٤١٢، من قصيدة يمدح فيها يوسف بن محمد بن يوسف الصامتيّ (ت ٢٣٧هـ). انظر ترجمته في حواشي القصيدة (٦) من ديوان البحتري، ص٢٧. وترتيب الأبيات في الديوان ٧، ٨، ١٠. وهي في الموازنة ١: ٥٤٢. والبيت الثاني من الأبيات في: المنازل والديار: ١٨٩ مع ثلاثة أبيات أخرى.

(٣) الدَّنف: المرض الملازم. الشجو: الحزن.

وَأَنـا الـمُعَنَّفُ في الـصّبابَـةِ وَالـصِّبا

وَعَلَـيـهِمـا إِن كُـنـتَ غَـيـرَ مُـعَـنَّـفِ

فأَراد من صاحبه أَنْ يَدْنَفَ كَدَنَفِه، كما أَراد أَبو تمام من صاحبه أَن يُقاسِمَه فَرْطَ الصّبابَة.

وقد قال كُثَيِّر[1]:

[الطويل]

خَـلـيـلَـيَّ هَـذا رُبـعُ عَـزَّةَ فَـاعـقِـلا

قـلـوصَـيـكُـمـا، ثُـمَّ اِبـكِـيـا حَـيـثُ حَـلَّـتِ

[٤٠/ب] فأَرادَ هذا أَيضًا من خليليْه أَنْ يبكيا على رَسْمِ عَزَّة.

وقال أَبو تمامٍ[2] –فجَرى على المنهج المستقيمِ في مخاطبةِ الأصحابِ–:

[الكامل]

مـا فـي وُقـوفِـكَ سـاعَـةً مِـن بـاسِ

نَـقـضـي ذِمـامَ الأَربُـعِ الأَدراسِ

فَـلَـعَـلَّ عَـيـنَـكَ أَن تُـعـيـنَ بِمـائِـهـا

وَالـدَّمـعُ مِـنـهُ خـاذِلٌ وَمُـواسِ

لا يُـسـعِـدُ الـمُـشـتـاقَ وَسـنـانُ الـهَـوى

يَـبِـسُ الـمَـدامِـعِ بـارِدُ الأَنـفـاسِ

فقال: «وسْنانُ الهوى» أَي نائمُ الهوى، أَي مَنْ لا هَوى لهُ، فهو يَبِسُ المدامع باردُ الأَنفاسِ، فلا يكونُ منه إِسعادٌ.

---

(١) ديوانه، ق٣، ب١، ص٩٥، ومعاني القرآن ١: ١٩٢، وأمالي القالي ٢: ١٠٧ و١٠٨.
(٢) سبق تخريج الأبيات.

ومن كان في قلبه هوى فأَنفاسُه حارَّة لحرارةِ قلبِه. فأَتاك ههنا بعينِ الصَّوابِ، وحقيقة أَمر الصاحبِ. فأَحسن وأَجاد.

ومثله قول البحتري[1]:

[البسيط]

يَـأبـى الخَـلِـيُّ بُـكـاءَ المَـنـزِلِ الخالـي
وَالـنَّـوحَ فـي أَرسُـمٍ أَقـوَت وَأَطـلالِ[2]
وَذو الـصَّـبـابَـةِ مـا يَـنـفَـكُّ يُـنصِـبُـهُ
وَجـدًا تَـأَبُّـدُ آيِ الـدِّمـنَـةِ الخـالـي[3]

قوله: «تأَبُّدُ» أَيْ صارَ فيها أَوابِدُ الوحشِ. ويقال: تأَبَّدَ المنزلُ: إِذا طالَ عليه الأَبدُ.

ونحو هذا قول أَبي تمّام أَيضًا[4]:

[الطويل]

أَقـولُ لِـقُـرحـانٍ مِـنَ الـبَـينِ لَـم يُـضِـف
رَسيسَ الـهَوى تَحتَ الحَشَا وَالتَّرائِبِ[5]
أَعِـنّـي أُفَـرِّقْ شَـمـلَ دَمـعـي فَـإِنَّـني
أَرى الـشَّـمـلَ مِـنـهُـم لَـيسَ بِـالـمُـتَقارِبِ
وَمـا صـارَ فـي ذا الـيَـومِ عَـذلُـكَ كُـلُّـهُ
عَـدُوِّيَ حَـتّـى صـارَ جَـهـلُـكَ صاحِـبـي[6]

---

(١) ديوانه، ق٦٦٩، ب١ و٢، ص١٧١٦، من قصيدة يمدح بها الشاه بن ميكال. وهما في: الموازنة ١: ٥٤٣. وصدره الأول منهما في: ٣٩٦، والمنازل والديار: ١١٣.

(٢) في الموازنة: (... في دمن....)

(٣) في الموازنة: (... وجدًا تَأَبُّدُ...). ينْصبه: يتعبه. تأبُّدُ: توحش الدار وخلوها من الأنيس.

(٤) ديوان أبي تمام، ق١٥، ب٢-٦، ١: ١٩٨-٢٠٠، من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي، وهي في: الموازنة ١: ٥٤٣.

(٥) الرسيس: الخفيُّ. الترائب: ملتقى عظم الصدر.

(٦) في الموازنة: (وما صار يوم الدار).

وَمـا بِـكَ إِركـابـي مِـنَ الـرُّشـدِ مَـركَـبًا
أَلا إِنَّمـا حـاوَلـتَ رُشْـدَ الـرَكـائِـبِ
[41/أ] فَكِلْني إِلى شَوقي وَسِرْ يَسِرِ الهَوى
إِلـى حُـرُقـاتـي بِـالـدُّمـوعِ الـسَّـوارِبِ

قوله: «أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ» أي التمستُ المعونةَ والمساعدةَ في الوقوف على الدّارِ معي مِمَّنْ لَمْ يَذُقْ مُفارَقَة الأحبابِ ولم يعرفِ الهوى؛ كأَنّه ينكرُ ذلك على نفسِه.

والقُرْحَان: هو الذي لم يخرج به الجُـدْرِيّ، وليس به آثارُه ولا آثارُ غيره من القروحِ. وقيل له: قُرْحَانٌ، على العكس، كما قيل للأَسود: أَبو البَيْضَاء. وللمَهْلَكَة: مفَازَة، ونحو هذا. فجعل أَبو تمّام مَنْ لم يعشقْ ولم يفارقِ الأَحباب قُرْحَانًا، على التشبيه. كما قال جرير[١]:

[الطويل]

لَـوْ كُـنْـتُ مِـنْ زَفَـرَاتِ الحـبِّ قُـرْحَـانَـا

ثمّ قال:

[الطويل]

وَمـا صـارَ يَـوم الـدَّارِ عَـذلُـكَ كُـلُّـهُ
عَـدُوِّيَ حَـتّـى صـارَ جَـهـلُـكَ صاحِـبي

فأراد أَنّه قد عَذَلَه على الوقوف والبكاء وأَنّه كرهَ عَذْلَه وشقَّ عليه، فصارَ عَذْلُه عدوًا له، وإِنَّما أرادَ عَداوته في نفسِه. ثمّ قال: «حتّى صار جهلُك صَاحِبي»، أي إِنما استفرغتَ عَذْلَك وانتهيتَ فيه حتّى انطلقتُ معكَ فصارَ جهلُك صاحبي. وإِنّما أَراد حتّى اصْطَحَبْتُك على جهلكَ بحالي وأَنك غير مُجَانِسي ولا على سَجيَّتي وطباعي في الهوى وتجربته.

(١) عجز بيت وصدره:
وكادَ يوم لوى حوَّاء يقتلُني ....
ديوانه، ق١٥، ب٢٥، ص١٦٠. القرحان: الخليُّ.

ثم قال: «وَمَا بِكَ إِرْكَابِي مِنَ الرُّشدِ مرْكَبًا» أَي لم تقصدْ بعذلك إِيَّاي قَصْدَ من يريد رُشْدي وصَرْفي عن الهوى وتسليتي؛ وإنّما حاولتَ رُشْدَ الركائب، يعني الإبل، وهي جمع رَكُوبة، لئلّا يطولَ وقوفها في الدّار وتردُّدها واحتباسُها، فيتضاعفَ كَلالُها ويشقَّ ذلك عليها.

[٤١/ب] ثمّ قال: «فَكَلْنِي إلى شَوْقِي وسِرْ يَسِرِ الهَوَى إلى حُرَقَاتِي».

فإمّا أَنْ يكونَ قال له هذا قبلَ أَنْ ينطلقَ معهُ أَي: سِرْ أَنْتَ ودعْني؛ أَو يكونَ قالَ هذا وهو سائرٌ مُعه لَمَّا عَلمَ أَنَّه لا يقفُ عليهِ، وأَنّه ماضٍ وتاركُهُ، كما يقولُ المُكْرَه: واللهِ ما أريدُ التوجُّه، وهو متوجِّه.

وهذا من معاني أَبي تمام التي يَسأَلُ الناسُ عنها، وليس له إِنْ شاءَ الله وجه غيرُ ما ذكرتُه. وهذه العَويصاتُ في الشِّعرِ هي شَرُّ مذاهبه، وأَرداها وأَقلُّها حلاوةً.

ومن رديء ما جاءَ بِهِ في هذا البابِ، قولُه[1]:

[الخفيف]

مَـا عَـهِـدنـا كَـذا نَـحـيبَ الـمَـشـوقِ
كَـيـفَ وَالـدَّمـعُ آيَـةُ الـمَـعـشـوقِ

كأَنَّه يقولُ لنفسه: ما عَهدنا كذا نحيبَ المَشُوقِ؛ أَو أَنْ يكونَ حَكَى قولَ أَصحابه. وأَراد أَنْ يقولَ: بكيتُ فانتحبتُ، فقالوا: ما عَهدنا كذا نَحيبَ المَشُوق. وأَراد أَن يقول: فقلتُ لهم: كيفَ والدَّمعُ؟!، فاقتصرَ على حكاية كلامهم وجوابه، وأَسقَط (قالوا)، و(فقلت). وكانَ الأَجودُ أَن يَقُولَ: آيةُ العاشق، لأَنَّ منْ علاماتِ المحبِّ البكاءِ. وقال: آية المعشوق، أَي أَنَّ دمعي علامةٌ لمنْ أُحبُّه في أَني عاشقةٌ، وهذا لا يكونُ جوابًا صحيحًا عمَّا أَنكروهُ عليهِ من شدّة نحيبه. لأَنَّه لم يبكِ ليعلمَها أَنّه عاشقٌ، وإنَّما بكى منْ شدَّة وجدهِ. وإنَّما كانّ يصحُّ أَن يكونَ جوابًا عنهُ أَنْ لو كان صدرُ البيتِ:

حَـسِـبْـتـنِـي فـي الحُـبِّ غـيـر صَـدُوقِ

(١) ديوانه، ق١٠٥، ب١، ٢: ٤٣٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. وهو في: الموازنة ١: ٥٤٥.

فيقول:

كَـيـفَ وَالــدَّمــعُ آيَــةُ الــمَـعـشـوقِ

أَي كيفَ لا أَكونُ صدوقًا في حبِّي ودمعي آيةٌ لكِ يشهدُ بأَني محبٌّ؟!

[٤٢/أ] فهذا كانَ وجهَ هذا، وعلى أَنَّ آيةَ العاشقِ ههنا أَيضًا أَجودُ.

والدليل على أَنَّ قوله:

مـا عَـهِـدنـا كَـذا نَـحـيـبَ الـمَـشـوقِ

إِنّما هو حكايةُ كلامٍ مَنْ عنَّفهُ على النَّحيبِ - أَنّه وصلَه بأَنْ قالَ[١]:

[الخفيف]

فَــأَقِــلّا الـتَّـعـنـيـفَ إِنَّ غَـرامًـا
أَن يَـكـونَ الـرَّفـيـقُ غَـيـرَ رَفـيـقِ

وَاسـتَـمـيـحـا الجُـفـونَ دِرَّةَ دَمـعٍ
فـي دُمــوعِ الـفِـراقِ غَـيـرِ لَـصـيـقِ

إِنَّ مَــن عَــقَّ والِـــدَيـــهِ لَمَـلـعـو
نٌ، وَمَــن عَــقَّ مَـنـزِلًا بِـالـعَـقـيـقِ

وَقِـفـا الـعـيـسَ مُـلـقِـيـاتِ الـمَـثـاني
فـي مَـحَـلِّ الأَنـيـقِ مَـغْـنَـى الأَنـيـقِ

قوله: «أَنْ يَكونَ الرَّفيقُ غَيرَ رَفيقِ» أَي أَنْ يكونَ جافيًا عَسُوفًا غيرَ رفيقٍ بمن يصاحبهُ.

وقوله: «في دموعِ الفراقِ غير لَصِيقِ» أَي ابكيا بدمعٍ لا يشبهُ دمعَ مَنْ فارقَ أَحبابَه، أَي ابكيا وإِنْ لم يكنْ وراءَ البكاءِ حرقةٌ، ولا لاعِجُ هوىً، أَيْ على وجهِ الإِسعادِ. فأَوردهُ بهذا اللفظِ الرديءِ.

---

(١) من القصيدة نفسها، ٢: ٤٣٠ و٤٣١.

وقوله: «إِنَّ مَن عَقَّ والِدَيه لِمَلعونٌ» البيتُ – من أَحمق المعاني وأَسخفها وأَقبحها. وقد زاد في الحمق بهذا المعنى على معنى البيتِ الذي قبلهُ، وطَمَّ عليهِ وعلى كلِّ جهالاته في معانيهِ؛ لأَنّه لم يقنعْ بأَن يبعث صاحبيْه على الوقوفِ معهُ على المنزلِ، والبكاءِ حتى جعلَ كلَّ منْ يقفُ ويعرج كائنًا مَنْ كانَ منَ النَّاس: من خاصٍّ وعامٍّ، وبادٍ وحاضرٍ، ومجتازٍ وغيرِ مجتازٍ، ومفارقٍ لأَحبابهِ وغيرِ مفارقٍ – مَلْعُونًا إِذا لم يقفْ على المنزلِ بالعقيقِ؛ لأَنَّ ظاهرَ المعنى العمومُ، وما المستحقُّ –واللهِ– للعن غيرُه، إِذْ رضي لنفسه بمثلِ هذا السُّخْفِ.

[٤٢/ب] وقوله: «في مَحَلِّ الأَنيقِ مَغْنَى الأَنيقِ» قول مَا لِبرْدِ معناهُ ولفظهِ نهايةٌ.

وقال أَيضًا[(١)]:

[الكامل]

نُحِرَتْ رِكابُ القَومِ حَتّى يَغبروا
رَجْلي، لَقَد عَنُفوا عَلَيَّ وَلاموا
وَقَفوا عَلَيَّ اللَومَ حَتّى خَيَّلوا
أَنَّ الوُقوفَ عَلى الدِّيارِ حَرامُ[(٢)]

وهذا معنى جيِّدٌ حسَنٌ صحيحٌ.

وقال أَيضًا[(٣)]:

[البسيط]

أَراكَ أَكبَرتَ إِدماني عَلى الدِّمَنِ
وَحَمليَ الشَّوقَ مِن بادٍ وَمُكتَمِنِ

---

(١) ديوانه، ق١٣٣، ب٢، ٤، ٣: ١٥٠ من قصيدة في مدح المأمون، وهما في: الموازنة ١: ٥٤٧.

(٢) يغبَروا: يبقون. الرَّجْل: جمع راجل. مثل هَلْكى وهالك، نقل التبريزي عن المعري في معنى هذا البيت قوله: «... وإنّما دعا عليهم بنحر ركابهم ليتلبّثوا في الديار فيقضي وطره من التَّسليم، ويكون نحرها جزاء لهم على لومهم إيَّاه». شرح ديوان أبي تمام ٣: ١٥٠.

(٣) ديوانه، ق١٧٠، ب ١-٣، ٣: ٣٣٧، وهي أبيات من قصيدة في مدح أبي الحسن علي بن مرٍّ، وهي في: الموازنة ١: ٥٤٧.

لا تُكثِرَنَّ مَلامي إن عَكَفتُ عَلى

رَبعِ الحَبيبِ فَلَم أَعكُف عَلى وَثَنِ

سَلَوتُ إن كُنتُ أَدري ما تَقولُ إذَنْ

جَعَلْتُ أُنملةَ الأحزان في أذُني[1]

وهذا أَيضًا معنىً حَسنٌ ولفظٌ جيِّدٌ.

وقوله: «أنملةَ الأَحزان» أَي يشغلني حُزْني عن أَن أَفهمَ ما تقولُ.

وقال أَيضًا[2]:

[الطويل]

أَجَل أَيُّها الرَّبْع الَّذي خَفَّ آهِلُهْ

لَقَد أَدرَكَتْ فيكَ النَّوى ما تُحاوِلُه[3]

وَقَفتُ وَأَحشائي مَنازِلُ لِلأَسى

بِهِ وَهوَ قَفرٌ قَد تَعَفَّتْ مَنازِلُه

أُسائِلُكُمْ ما بالُهُ حَكَمَ البِلى

عَلَيهِ وَإلّا فَاترُكوني أُسائِلُه[4]

---

(١) رواية العجز في ديوانه: (... مجَّتْ مقالتها في وجهها أُذُني). الأُنْمُلة: بالحركات الثلاث للميم والهمزة، ففيها تسع لغات، وهي الجزء من الإصبع التي فيها الظُّفُر، وجمعها أنامل وأنملات. القاموس المحيط (نمل).

(٢) ديوانه، ق١١٢، ب ١-٣، ٣: ٢١، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله، وهي في: الموازنة ١: ٥٤٧.

(٣) قال المعري في التعليق على هذا البيت: «هذا لا يمكن أن يكون إلّا على كلام متقدّم؛ لأن (أجلْ) في معنى (نَعَم)، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلّا وقد سبقها كلامٌ من غيرك، فكأنه ادَّعى أنَّ الرّبع كلَّمه وشكا إليه فقال له: أجلْ أيها الربع». شرح ديوان أبي تمام ٣: ٢١. خفَّ آهله: ارتحل من كان فيه. الآهل: المقيم.

(٤) قال المعري: «إذا رُوي على هذا الوجه فالمعنى صحيح بيِّن: أي أسائلكم عن خبره، فإن كنتم جاهلين بذلك فاتركوني أسائلُه، أي: لا تلوموني على الوقوف والإطالة. وقوله: «(أسائلُه) موضوع موضعَ الحال، ولو أنّه في غير النظم لجازَ جزمُه، وقد كان الناسُ يروون هذا البيت (أسايلُه ما بالهُ) وتكون الهاء عائدة على الربع، ويتكلمون في المراد بذلك. وأنشده بعضهم: (أَسَائلَهُ) على النداء، وإنْ صحَّ أنَّ الطائيَّ قال (أُسايلُه) بالهاء، فله معنى صحيح يُسْتحسن على مذهب الطائي، ويكون (أسائلُه) في أوّل البيت من السؤال، و(أُسَايلُه) في آخر البيت من السَّيْل، أي يسيل دمعي ويسيل مطره». شرح ديوان أبي تمام ٣: ٢٢.

[٤٣/أ] وهذا[١] المعنى فيه اضطرابٌ؛ لأَنّه قال: أسائلكم: ما باله حَكَم البِلى عليه وإلا فاتركوني أسائلهُ؟ فما هذه المساءَلة منه أَو للرَّبع في أَن حكَمَ البلى عليه وهو قدْ قدَّمَ السَّببَ الذِي من أَجله بلي[٢]، وشرحه في البيت الأَول بقوله: خَفَّ آهلُه، ويقولُ: «لقد أَدركتْ فيك النَّوى ما تحاولُه». وهذا هو الذي أَبلاه؛ لأَنه إِذا فارقَ أَهلَه، وتَعَفَّتْ منازلُه – فقدْ خَرِب وبلي.

وقال أَيضًا[٣]:

[البسيط]

حُـيّـيـتَ مِـن طَـلَـلٍ لَـم تُـبـقِ لـي طَـلَـلا
إِلّا وَفـيـهِ أَسـىً تَـرشـيـحُـهُ الـذِكـرُ[٤]
قـالـوا: أَتَـبـكـي عَـلـى رَسـمٍ فَـقُـلـتُ لَـهُـم
مَـن فـاتَـهُ الـعَـيـنُ هَـدّى شَـوقَـهُ الأَثَـرُ[٥]

قوله: «لم يُبْق لي طَلَلًا»، والطَّلَلُ: ما شَخَص من آثار الديار، والطلل: شَخْصُ الإنسان وقامته. يقال: ما أَحسنَ طَلَلَه، وإنما يريد طَلل الدارِ. أَي لم يبقَ لي طللًا في دياري ومواطني التي فارقتها، وأَخليتها، وعكفت عليه – إلا وفيه أَسى أَي حزنٌ من أَهلي الذين فارقتهم علَيَّ. تَرْشيحُه الذكر: أَي تنميته، وتربيته الذّكر. أَي ذكرُهم لي يرشِّح الحزنَ على أَن يمسكه، ويحفظَه، ويقومَ عليه حتّى لا يبقى ولا يذهب.

---

(١) جاء في النص المخطوط بعد إيراد الأبيات: «وقوله: كانت لنا صنمًا، أراد أن يقول: أعكف عليه فلم يستقمْ له فقال: نحنو عليه، و(نحنو) لفظة غير مستعملة في هذا الموضع، وإن كان لها اقتراب من (يعكف) ومشاركة. وقوله: «(ولم تسجد) معنى زجر لا يليق بالمكان، وإنّما كان يجب أن يقول: ولو جاز السجودُ لسجدَ حتَّى يكون قد وفَّى الحبَّ حقّه، واستعمل المعنى المراد في مثل هذا». وهذا كلام لا رابط بينه وبين الأبيات السابقة، ولعلّه سهو من الناسخ وسبق نظر.

(٢) في الموازنة: (بكى)، وهو تحريف.

(٣) ديوانه، ق٧٠، ب ٧و٨، ٣: ١٨٥ و١٨٦، من قصيدة يمدح بها عمر بن العزيز الطائي من أهل حمص.

(٤) ترشيحه: تقويته.

(٥) قال المعري: «إن صحَّت الرواية جاز أن يكون هدَّى من الهدْي، ويجوز أن يكون أصله الهمز أراد هدَّأ، فخفَّف، أدَّى شوقه الأثرُ: دلَّ شوقه أثره». شرح ديوان أبي تمام ٢: ١٨٦.

ولا يجوز أَن يريد بالطَّلل جملة شخصه وقامته؛ لأَن ذلك يكون مثل قولك: ما لزيدٍ جسدٌ إلّا وفيه أَثرٌ، وما له رأسٌ إلَّا وَفيه شَجَّة. وهذا خطأ؛ إِذْ ليس له إلا رأسٌ واحدٌ، وجسدٌ واحدٌ. والبيت الثاني جيِّد بالغٌ.

وقال البحتريُّ[(١)]:

[الطويل]

لَعَمرُ المَغاني يَومَ صَحراءِ أَرْثَدِ
لَقَد هَيَّجَتْ وَجدًا عَلى ذي تَوَجُّدِ[(٢)]

[43/ب] مَنازِلُ أَضحَتْ لِلرِيّاحِ مَنازِلا
تَرَدَّدُ فيها بَينَ نُؤيٍ وَرَمْدِدِ[(٣)]

شَجَتْ صاحِبي أَطلالُها فتهلَّلَتْ
مَدامِعُهُ فيها وَما قُلتُ: أَسعِدِ

وهذا لعمري صاحبٌ حَسَنُ الصُّحبة، ولعلّه كانَ له شَجَنٌ وهوىً، فلمَّا وقفَ على الدِّيار تذكَّرَ أَحبابَه فبكى.

وقال أَيضًا[(٤)]:

[الطويل]

خُذا مِن بُكاءٍ في المَنازِلِ أَو دَعا
وَروحا عَلى لَومي بِهِنَّ أَوِ اربَعا

(١) ديوانه، ق٢٩٩، ب ١-٣، ص ٧٧١، من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد بن المدبِّر. وهي في: الموازنة ١: ٥٤٨ و٥٤٩، والزهرة: ٢٩٧. والصناعتين: ١٠٥، وعبث الوليد: ١٤٤. والبيت الثاني والثالث في المنازل والديار: ١٨.

(٢) في الديوان: (... صحراء أَرْبَدِ). أربد: موضع في بلاد الشام، وهو الآن بين الحدود السورية والأردنية. أرثد: موضع بين مكة والمدينة في وادٍ يسمّى وادي الأبواء.

(٣) في الموازنة: (... تردَّدُ منها). وفي الزهرة: (منازل أمستْ...). والرواية المثبتة رواية الديوان، النؤي: ما يحفرُ حول الخيمة اتّقاء السيل. الرِّمْدِد ورِمْدَد: الكثير الدقيق جدًّا، أو الهالك.

(٤) ديوانه، ق٥٠٥، ب١-٣، ص١٢٦٣، من قصيدة في مدح الحسن بن وهب سنة ٢٣٠ هـ. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٤٩، والمنازل والديار: ٤٥. وصدر البيت الأول في: عبث الوليد: ٢٧٥.

فَما أَنا بِالمُشتاقِ إِنْ قُلتُ أَسعِدا
لِتَندُبَ مَغنىً مِن سُعادَ وَمَربَعا
وَلي لَوعَةٌ تَستَغرِقُ الهَجرَ وَالنَّوى
جَميعًا، وَدَمعٌ يُنفِدُ الحُبَّ أَجمَعا

وهذا معنى آخرُ ذهب إليه في الإسعاد حَسَنٌ جدًّا.

ونحو هذا قوله[1]:

[الكامل]

فالدّارُ تَعلَمُ أَنَّ دَمعي لَم يَغِضْ
فَأَروحَ أَحمِلُ مِنَّةً مِن مُسعِدِ
ما كانَ لي جَلَدٌ فَيودِيَ إِنَّما
أَودى غَداةَ الظّاعِنينَ تَجَلُّدي

وقال أَيضًا على السَّبيلِ التَّي سلكَها أَبو تمام[2]:

[الخفيف]

يا أَخا الأَزدِ ما حَفِظتَ الإِخاءَ
لِمُحِبٍّ وَلا رَعَيتَ الوَفاءَ[3]
عَذَلًا يَترُكُ الحَنينَ أَنينًا
في هَوىً يَترُكُ الدُّموعَ دِماءَ

---

(١) ديوانه، ق٥٤٤، ب٤، ٦، ص٥٤٤، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. والبيتان في: الموازنة ١: ٥٤٩، والزهرة: ١٦٥. في الديوان: (والدار تعلم...). لم يغض: غاض الماء: ذهب.

(٢) ديوانه، ق٢، ب ١-٤، ٦، ص١٣، من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن محمد يوسف الثّغري الطائي، يعود تاريخها إلى سنة ٢٢٨ هـ. الأول منها في: عبث الوليد: ٣. والبيتان الرابع والخامس في: المنازل والديار: ٨٩.

(٣) الأزد: قبيلة عربية يمنية الأصل، وهم أَزْد بن الغوْث. وفي القاموس المحيط: «... وبالسين أفصحُ: وحي من اليمن. ومن أولاده الأنصار كُلُّهم. ويقال: أَزْد شنوءة، وعُمَان، والسَّراة». القاموس المحيط (أزد). وجاء في تاج العروس: «... وفي الاستيعاب: الأَزْدُ: جرثومة من جراثيم قحطان، وافترقت فيما ذكر أبو عبيدة وغيره من علماء النسب على سبع وعشرين قبيلة». تاج العروس (أزد) ٧: ٣٨٢ و٣٨٣.

لا تَـلُـمْـنـي عَـلـى الـبُـكـاءِ فَـإِنِّـي
نِـضْـوُ شَـجـوٍ مـا لُمْـتُ فـيـهِ الـبُـكـاءَ[1]

كَـيـفَ أَغــدو مِــنَ الـصَّـبـابَـةِ خِـلـوًا
بَــعْــدَ مــا راحَـــتِ الـــدِّيـــارُ خَـــلاءَ

قِـــفْ بِـــهـــا وِقـــفَـــةً تَـــرُدُّ عَـلَـيـهـا
أَدمُـــعًـــا رَدَّهـــا الجَـــوى أَنـــضـــاءَ

قوله: «نِضْو شَجْو ما لُمْت فيه البُكاءَ» – من المقلوب، وكان يجب أَن يقول: ما لمته في البكاءَ فيه.

[٤٤/أ] ومثلُ هذا في الشعر كثيرٌ. وإِنّما كان يصدر عن العرب على سبيل السَّهوِ والضرورة، ولا يسوّغه متأَخِّرٌ، ومنه ما هو حَسَنٌ، وقد جاءَ مثلُه في القرآن.

فإِنْ قيلَ: إِنّ لفظَ البيتِ مستقيمٌ، وهو مستغن بمعناه ولفظهِ عن أَن يُتَأَوَّل فيه القلبُ؛ وذلك أَنَّ البكاءَ ليسَ هو شيئًا غير سكبِ الدّموع، وجريها على الخدود. فكما تلوم العينَ على بكائها، وتلومُ الدمعَ على انحداره مجازًا فكذلك تلومُ البكاءَ مجازًا.

قيل: هذا عدولٌ عن القياس وصحيح التّمثيل، وإِنّما كان ينبغي أَنْ يقولَ: فكما تلومُ انحدار الدَّمعِ الذي هو البكاءُ، فكذلكَ تلومُ البكاءَ، هذا وجهُ المعارضة. فإِنْ كنتَ تلومُ انحدارَ الدمع فقدْ صحّ اعتراضُك، وإِنْ كنتَ لا تلومهُ، وهو البكاءُ، فلمَ تلومُ البكاءَ؟

ومع هذا فقدْ جرتِ العادةُ بلوم العينِ على البكاءِ، ولوم الدمع على الانحدارِ، ولَوْمِها أَيضًا على الامتناعِ، وقالتِ الشّعراء في ذلك ما هو معروفٌ مشهورٌ، ومنه قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة[2] يبكي أَخاه مَالِكًا[3]:

(١) النضو: المهزول من الإبل وغيرها، والمراد به هنا نفسه، وجمعه: أنضاء.

(٢) متمم بن نويرة بن حمزة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل، وكان أعور وأدرك الإسلام وأسلم فحسن إسلامه. واستفرغ شعره في مراثي أخيه مالك بن نويرة. معجم الشعراء: ٤٦٦.

(٣) مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة، فارس شاعر، من أرداف الملوك في الجاهلية. يقال له « فارس ذي الخمار»، أدرك الإسلام وأسلم وقتل في الردة. معجم الشعراء: ٤٦٦.

[الطّويل]

عذرتُكِ يا عيني الصَّحيحةَ في البكا
فما أَنْتِ يا عَوْرَاءُ والهَمَلَانِ[1]

فعذرَ عَيْنًا ولامَ أُخْرى.

وقال بعضُ المتأَخِّرين[2]:

[الخفيف]

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عيَنيَ خَيْرًا
وجَزَى اللهُ كلَّ خيرٍ لِسَانِي
كنتُ مثلَ الكتابِ أَخْفَاهُ طَيٌّ
فاستدلُّوا عليه بالعُنْوانِ

[٤٤/ب] فلامَ هذا دمَعهُ؛ لأنّه فضَحهُ، كما لام ذاكَ عينَه، وما علمنا أَحدًا لامَ البكاءَ. ومعنى ذلك مفهوم؛ لأَنَّ البكاءَ قد جُعِلَ فعلًا للعين على المجاز، والسّيلانُ: فعلُ الدمعِ، فيقال: بكتْ عيني، وسالَ دمعي. فإذا لُمْنا العينَ على بكائها، ولُمْنَا الدمع على انحدارِهِ – كانَ ذلك حَسَنًا جميلًا؛ لأَنّا إِنّما لُمْنَا فاعلًا على فعله، كما نَلُومُ الفاعلَ الذي فعله حقيقةً على فعلِه، ولكنْ لا نَلُومُ فِعْلَه؛ لأَنّا إذا لُمْنَا الباكيَ على أَن فَعَلَ البكاءَ، فنلوم البكاءَ على أَن فَعَلَ ماذا؟ فإن قيل: على أَنْ كثرَ واتّصلَ منهُ.

(١) البيت في: أمالي اليزيدي: ١٤٩، بغير نسبة، والموازنة ١: ٥٥٠. وهو من جملة أبيات أوردها ياقوت في: معجم البلدان (دمخٌ) ٢: ٤٦٢، ونسبها إلى طِهْمان بن عمرو الدارمي. وهو مع بيتين آخرين في: الأشباه والنظائر ١: ٧٠، والحماسة البصرية ١: ١٣٤، وضرائر الشعر ١: ١٣٤، والفصول والغايات ١: ١٢٢ ونسبه إلى يزيد بن الطثْريَّة.

(٢) البيتان للعبّاس بن الأحنف، وهما في ديوانه: ٢٨٢، والموازنة ١: ٥٥١. وهما مع بيتين آخرين في: أمالي القالي ١: ٢٩٠ ونسبهما أبو علي إلى أبي نواس روايةً عن ابن دريد. قال: «وكان أبو بكر بن دريد يستحسن قول أبي نواس في هذا المعنى: [الأبيات]». وأشار المحقق في ج١ ص٢٠٩ إلى أنه كتب بهامش الأصل: هذه الأبيات للعبّاس بن الأحنف. وفي المصون في الأدب: ٢٢: «ومما استحسنه أبو نواس للعباس [الأبيات]». والبيت في كتاب (المنتحل) للثعالبي: ١٩٠، ط. ١٩٠١. الإسكندرية، والبيتان مع بيت ثالث في: مجمع الأمثال، المثل: ١٠٧٨، ١: ٢٠٤، والبيت الثاني منهما في: التذكرة الحمدونية ٦: ٩٤، والمثل السائر ٢: ١١٥، ونهاية الأرب ١: ٣٩٢.

قيل: فهلْ سمعتَ أَحدًا قطّ قال: يا بكاءُ – لمَ كثرتَ، ولمَ اتصلتَ؟ كما يقال يا عين لم بكيتِ؟ فإني ما أَظنّ أَنّ أَحدًا يقدِرُ أَنْ يقولَ: إنّه سمعَ بهذا. وذلكَ أَنّ الإكثارَ والاتّصال إنما هما حركاتُ الفاعلِ بالفعلِ، فالباكي هو الذي أَكثرَ البكاء وواصلَه، لا أَنَّ البكاءَ فَعَل ذلكَ نفسه. والمجاز[1] لا يتسع لأَن نلومَ البكاءَ كما نلومُ العينَ، ولا لأَنْ نلومَ انحدارَ الدمعِ كما نلومُ الدّمعَ، ولا تنتهي الاستعارةُ إلى هذا الموضعِ.

ولو حملنا البكاءَ الذي هو فِعْلُ الفاعل على المجاز فلُمْنَاه كما نلومُ الباكيَ، لَحسُنَ أَيضًا أَنْ نلومَ الجَزعَ كما نلومُ الجازعَ، ونلومَ الغَضبَ كما نلومُ الغضبانَ، ونلومُ الضَّحكَ الذي هو ضدُّ البكاءِ كما نلومُ البكاءَ.

وما أَكثر ما تُحْمَلُ الأشياء على أَضدادها، وما علمتُ مثلَ هذا جرى في توسُّعٍ ولا مجازٍ: لأَنَّ «لمتُ» ليسَ هذا موضعَها، وإنّما هوَ موضعُ أَحمدتُ، وذَمَمتُ وكَرِهتُ وأَنكرتُ، وأَشباهها، وهذه حقائق، وليس كلُّ شيءٍ يُحْمَلُ على المجازات.

[٤٥/أ] فإن استجْزنا أَنْ نلومَ البكاءَ فينبغي أَنْ نلوم أَيضًا الضَّربَ، والقتلَ، والقيامَ، والقعودَ، والركوبَ، والنزولَ، والأَكلَ، والشربَ، وسائر أَفعالِ الفاعلين، ونعذُلَها أَيضًا، ونوبّخها؛ لأَنّ العَذْلَ والتوبيخَ في معنى اللومِ. ونلومُ أَيضًا النَّحِيبَ، والشَّهيقَ، والزَّفيرَ، والنَّشيجَ كما نلومُ البكاء.

وإذا لمنا أَيضًا اليدَ على أَنْ لم يشتدَّ قبضُها على الشيءِ مجازًا لُمْنَا القبضَ أَيضًا مجازًا، وكذلكَ الرِّجْلُ إنْ لمناها على أَن عجزتْ عن المشيِ، لُمنَا المشيَ أَيضًا، وعنَّفناهُ، وركَّبْنَا مجازًا على مجازٍ، وتوسُّعًا على توسُّعٍ، وهذا ما لم يُسْمَعْ بمثلِهِ في لغةٍ منَ اللُّغاتِ.

---

(١) في الموازنة: (فالمجاز).

فعلى كلِّ الأَحوال حَمْلُ بيتِ البحتريِّ على القَلْبِ[1] الّذي قدِ استعملتْهُ العَربُ في مجازاتها، ونطَق القرآنُ بوجهٍ منهُ حَسنٍ، وسطَّرهُ أَهلُ العلمِ بكلامِ العربِ في كتبهمْ أَوْلَى منْ حملهِ على وجهٍ غيرِ مستعمَلٍ، ولا معروفٍ ولا سائغٍ.

وقد قالَ المبّردُ: إِنَّ العربَ كانتْ تستعملُ القلبَ لاختصارِ الكلامِ، وإقامةِ الأَوزانِ، وإِصلاحِ القوافي. وأَنشدَ لِلْفَرَزْدَقِ يصفُ ذئبًا[2]:

[الطويل]

وَأَطلَسَ عَسّالٍ وَما كانَ صاحِبًا
رَفَعْتُ لِنَاري مَوْهِنًا فَأَتَاني[3]

وقال: أَراد رفعتُ له ناري. فقَلَبَ. فهذا الآنَ يقولُ: إِنّ الوجهَ من القلبِ الذي ذكرَ بعضُ أَهلِ اللغةِ أَنّه جاءَ في كلامهم على سبيلِ السَّهو والغلطِ - أَنهم كانوا يفعلونَهُ اعتمادًا. وإِذا اعتمدتِ العربُ الشيءَ ضرورةً لم يكْن ذاك لمتأَخِّر.

وههنا مع هذا وجهان قويّانِ جيِّدان يحتملهما بيتُ البحتريِّ، ويجري على تأليف لفظهِ، لا على القَلْب.

[٤٥/ب] أَحدُهما: أَنْ يكونَ أَرادَ: لا تلمْني على البكاءِ فإِنِّي ذو حزنٍ لما لمتَ فيهِ على البكاءِ. فأَسقطَ «على» كعادةِ العربِ الجاريةِ في حذفِ حروفِ الصفاتِ للإِيجازِ والاختصارِ فوصلَ الفعلُ إِلى البكاءِ فنصبَه. وهذا معْنى قريبٌ جدًّا. ومثْلُه[4] قولُهم: جزيتُكَ إِحسانَكَ، أَي على إِحسانكَ، وعنْ إِحسانكَ. وقولهم نزلْتُكَ، بمعنى نزلتُ عليكَ،



(١) أفرد ابن هشام للقلب حديثًا مفصَّلًا. انظر: مغني اللبيب، القاعدة العاشرة، ص ٩١١ - ٩١٤.
(٢) البيت من قصيدة طويلة في ديوان الفرزدق: ٨٧٠، والموازنة ١: ٥٥١. الأطلس: الذئب. العسّال: المتمايل في مشيه.
(٣) رواية الديوان: (... دعوت بناري...).
(٤) في الموازنة: (ومثلُ).

ونزلتُ بكَ. وهذا من أَفصحِ اللغاتِ وأَبلغها، وهوَ مسطورٌ في كتبهم. وكذلكَ شغبتك[١] بمعنى شغبت عليك حكاها أَبو زيد[٢].

ومما هو جائزٌ وجارٍ في كلامهمْ - كلامِ أَهلِ البدوِ والحضرِ - قولُهم: بكَيْتُ فلانًا، بمعنى بكيتُ عليه.

وأَنشدنا «أَبو الحسنِ الأَخفشُ» قِراءَةً عليه في الكتاب «الكامل»[٣] عن المبِّرد لأَعرابيٍّ[٤]:

[الطويل]

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَفْرَضْ فإنِّي وناقَتِي
بحجرٍ إلى أَهْلِ الحِمَى غَرِضَانِ
تَحِنُّ فَتُبْدِي ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ
وأُخْفِي الذي لَوْلَا الأُسَى لقَضَانِي

أَراد لقضيَ عليَّ. قالَ المبّردُ: فأَخرجَه لفصاحتِه، وعلمه بجواهرِ الكلام أَحسنَ مُخْرجًا.

وقال عَنْتَرَة[٥]:

[الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلى الطَّوى وَأَظَلُّهُ
حَتّى أَنالَ بِهِ كَريمَ المَأكَلِ

(١) الشَّغَبُ: تهييج الشَّر. يقال: شغَبَهم، وشغب بهم، وشغّبَ عليهم، أي: هيَّج الشَّر عليهم، وهو شَغِبٌ، ومِشْغَبٌ. القاموس المحيط (شغب).

(٢) لم أقف على قوله في كتاب «النوادر». وفي المخصص ٤: ٢٤٥: «أَبُو عبيد: شَغَبْت عَلَيْهِم وَشَغَبتهم ورُحتُ الْقَوْم ورُحتُ إِلَيْهِم».

(٣) كتاب الكامل: أهم كتب الأدب. طبع عدة طبعات أعلاها طبعة دار الرسالة، بتحقيق د. محمد الدالي، وصدر عن مؤسسة الرسالة سنة، ١٩٨٦م.

(٤) الكامل: ١: ٤٦، والبيتان رواهما المبِّرد لأعرابي من بني كلاب، وهما في: فرحة الأديب: ٧١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣: ٣٢٧-٣٣١ وهما بلا نسبة في المسائل العسكريات: ١٠٢ و١٠٣، والثاني منهما في شرح شواهد مغني اللبيب ١٤١ منسوبًا إلى عروة بن حزام.

(٥) ديوانه: ٢٤٩.

أَي أَظلّ عليهِ.

قالَ: ومثلُه قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا﴾ [الأعراف/١٥٥]

أَي مِنْ قومهِ.

وقول الشاعر(١):

[البسيط]

أَمَرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرتَ به
فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

أَي أَمرتُكَ بالخير.

[٤٦/أ] وقال(٢) الفَرَزْدق(٣) :

[الطويل]

ومِنّا(٤) الّذي اِختيرَ الرِجالَ سَماحَةً
وجُودًا إِذا هَبَّ الرِياحُ الزَعازِعُ

أَي منَ الرِّجال، وأَشباه لهذا كثيرة.

وأَنشد أَبو مِسْحل(٥):

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب الزُّبيدي، وهو في مجموع شعره: ق٥، ب١٠، ص٦٣، والكتاب ١: ٣٧، ومغني اللبيب، الشاهد رقم (٥٩٤)، و(٩٦٩). النَّشب: المال الثابت، والمال -ههنا- الإبل. ونُسب إلى أعشى طرود، والعباس بن مرداس السلمي، وزرعة بن السائب، وخفاف بن ندبة السُّلَمي. انظر: خزانة الأدب ٩: ١٢٤.
والشاهد فيه: نصب (الخبر) على نزع الخافض، والأصل فيه: أمرتك بالخير. ومثله قول الشاعر:
أستغفر اللهَ ذنبًا لستُ محصيَه ربَّ العباد إليه الوجْهُ والعملُ
انظر: الكتاب ١: ٣٧.

(٢) في الموازنة: (وقول الفرزدق).

(٣) ديوانه: ٥١٦، وهو أول النقيضة التي يردُّ فيها على نقيضة لجرير مطلعها:
ذكرتُ وصال البيضِ والشيب شائعُ ودار الصبا من عهدهن بلاقعُ
وهو في كتاب الكامل: ٤٨، وخزانة الأدب ٩: ١٢٤.

(٤) في ديوانه: (منّا ...) فجزم فاء (فعولن). الزَّعازع: الشديدة.

(٥) هو عبد الوهاب بن حُرَيش الهمداني: أعرابي حضر من البادية إلى بغداد، تعلّم النحو على يد الكسائي، وكان يروي شواهد من الشعر كثيرة، حتى قيل: إنه روى عن علي بن المبارك أربعين ألف شاهد على النحو قال ثعلب: ما ندمت على شيء كندمي على ترك سماع الأبيات التي كان يرويها أبو مِسْحل عن علي بن

[الطويل]

سقَى اللـه مـنْ يَـسْـقِـي حَـمَـامَـةَ دارِهَــا
عـلـى فُـرْضَــةٍ مـن مــاء شُــرْبٍ يَـقُـومُـهـا

أَراد يقومُ عليها. وقال: يُقالُ: قامَ فلان اليومَ الماءَ بينَ القوم. إذا قسَّمه بينهم. ومعناه؛ قامَ على الماء، فلمَّا حذف «على» نَصبَ. فكذلك قول البحتريّ: ما لمت فيه البكاءَ، أَي على البكاءِ.

والوجهُ الآخر: أَنْ يكونَ أَرادَ: لا تلمْني على البكاء فإنِّي ذو حُزْنٍ لما لمتُ فيه ذوي البكاء، وأَهلَ البكاء. فأَسقطَ المضاف فوصَّل الفعلَ إلى البكاءِ فنصبه. وذلك على عادة العربِ المستمّرةِ في حذف المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مُقَامه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾ [العلق/١٧] أي أَهل ناديَه. ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢] أَيْ أَهلَ القريةِ. وقول مُهلهلِ[١]:

[الكامل]

واسْـتَـبَّ بَـعْـدَكَ يـا كُـلـيْـبُ الـمَـجْـلِـسُ[٢]

أَي أَهلُ المجلسِ. وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ﴾ [البقرة/١٧٧] أَي برّ مَنْ آمنَ بالله. وقوله تعالى جَدُّه: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء/١٧٥] أي ضعفَ عذابِ الحياةِ، وضِعفَ عذابِ المماتِ.

المبارك الأحمر. من كتبه النوادر، والغريب. انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٢: ٤٢، (ترجمة رقم: ١٣٨)، والأعرابيات: ١٠٤. وقد ضبط محقق «بغية الوعاة» الاسم بكسر ميم (مِسْحل) وضبطها صاحب كتاب الأعرابيات بالفتح.

(١) الْمُهَلْهَلُ بن رَبيعَة بن مرّة بن هبيرة التّغْلبيّ، وَاسمه امْرُؤُ الْقَيْس؛ ويُقال: عَديّ بن رَبيعَة، أبو ليلى، من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر، وَإنَّما سمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثَّوْب وَهُوَ اضطرابه واختلافه. طبقات فحول الشعراء ١: ٣٩.

(٢) عجز بيت للمهلهل، وصدره:

نبّئت أنَّ النّار بعدكَ أُوقدتْ ....

والشطر في: الموازنة ١: ٥٥٥. والبيت في: ديوانه مع ثلاثة أبيات أخرى: ٤٤، شعراء النصرانية ٢: ١٧٩، وأمالي القالي ١: ٩٥.

وأَوكد من ذلك كلِّه قول الله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة/٩٣]. أَي حُبَّ العجل.

وكذلك أَرادَ البحتريُّ: لا تلمْني على البكاءِ؛ فإنّي ما لُمْتُ في مثل[1] هذا الحزنِ ذا بُكَاءٍ، أَو أَهلَ البكاءِ، وأَسْقَطَ «أَهلَ»، وأَقامَ البكاءَ مُقَامَه.

[٤٦/ب] وهذا يستوي فيه القدماء والمتأَخِّرون جميعًا؛ لأَنَّه خارجٌ عن الضَّرورة.

فهذان وجهانِ في غايةِ القوة والصحَّةِ. والمعنى: لا تلمْني على البكاءِ؛ فإنّي ما لمتُ في هذا الشَّجو بَاكِيًا، لأنّهُ يحق في مثلهِ البكاءُ؛ لعظَمِ تأْثيرهِ في النَّفسِ، وتَخَوُّنِهِ للجَلَد، وذهابه بالصبر، ونحُو هذا.

وقولُه بعدَهُ[2]:

[الخفيف]

كـيـفَ أَغْـــدُو مِـــنَ الـصَّـبَـابَـةِ خِـلْـوًا
بَــعْــدَ مَــا رَاحَـــتِ الـــدِّيــارُ خَـــلَاءَ؟

أَيْ: لا تلمْني على البكاءِ؛ فّإني إِنْ لم أبكِ وقدْ خلتِ الدّيارُ منْ أَهلِها فلستُ ذا صبابةٍ. يقولُ: إنَّه يكونُ إن لم يبك والخليُّ الَّذي ليسَ في لبِّه هوىً، بمنزلةٍ واحدةٍ، وإذا خَفَّف البكاءُ منْ صبابتهِ فقد قَضى حقَّ المحبَّةِ على كلِّ حالٍ.

وقال البحتري أَيضًا[3]:

[الكامل]

أَحــرى الخُــطـوبِ بَــأَن يَـكـونَ عَظيمـا
قَـــولُ الجَـــهـــولِ أَلا تَــكــونُ حَـلـيمـا

(١) في الموازنة ١: ٥٥٥: (... في مثل هذا البكاء...).

(٢) ديوانه، ق ٢، ب ٤، ص ١٣، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، وتاريخها ٢٢٨ هـ، والبيت في: الموازنة ١: ٥٥٦، والمنازل والديار: ٨٩.

(٣) ديوانه، ق٧٥٨، ب ١و٢، ص١٩٦٠، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل، وتاريخها ٢٢٨ هـ، وهما في: الموازنة ١: ٥٥٦، وصدر البيت الأول في: عبث الوليد: ٤٥٥.

قُبِّحتَ مِن جَزَعِ الشَجِيِّ مُحَسَّنًا

وَمَدَحتَ مِن صَبرِ الخَلِيِّ ذَميما[1]

وقال أَيضًا[2]:

[الكامل]

ماذا عَلَيكَ مِنَ انتِظارِ مُتَيَّمٍ

بَل ما يَضُرُّكَ وَقفَةٌ في مَنزِلِ

إِن سيلَ عَيَّ عَنِ الجَوابِ فَلَم يُطِق

رَجعًا فَكَيفَ يَكونُ إِن لَم يُسأَلِ[3]

لا تَكلِفَنَّ لي الدُموعَ فَإِنَّ لي

دَمعًا يَتِمُّ عَلَيهِ إِن لَم يَفضُلِ[4]

قوله: «يتمُّ عليه إِن لم يفضُلِ» مثل قوله[5]: «ودمعُ ينفدُ الحبَّ أَجمعا»

ومثل قوله أَيضًا[6]:

[الكامل]

سارت مُقَدَّمَةُ الدُّموعِ وَخَلَّفَت

حُرقًا تَوَقَّدُ في الحَشا ما تَرحَلُ[7]

---

(١) الذّميم: فعيل بمعنى مفعول، فهو مذموم.

(٢) ديوانه، ق٦٧٤، ب٧-٩، ص١٧٣٩، في مدح محمد بن علي القُمّي سنة ٢٢٧ هـ، ومطلعها:

أهلًا بذلكمُ الخيالِ المقبلِ فَعَلَ الذي نهواهُ أو لم يفعلِ

والأبيات في: الموازنة ١: ٥٥٦. وهي كذلك في: إعجاز القرآن للباقلّاني: ٣٤٢ و٣٤٣.

(٣) سِيل: أصله سُئِل، فخفّف الهمزة. عيَّ: عجز عن الجواب.

(٤) في إعجاز القرآن: ٣٤٣: (... ينمّ عليه...) بالنون لا بالتاء.

(٥) بعض عجز بيت سبق تخريجه.

(٦) ديوانه، ق٦٧٥، ب ٣و٤، ص ١٧٤٩، من قصيدة يمدح بها المتوكّل. وهما في: الموازنة ١: ٥٥٧، والزهرة: ٢٩٦ بلا نسبة.

(٧) رواية الديوان: (سالتْ...). توقَّدُ: تتوقدُ. ورواية المصادر كلها: (سارت) كما هي هنا.

إِنَّ الـفِـراقَ كَـمـا عَـلِـمـتُ فَخَـلَّـنـي
وَمَـدامِـعًـا تَـسَـعُ الـفِـراقَ وَتَـفـضُـلُ[1]

[٤٨/أ] قال: «سارتْ مقدَّمةُ الدّموعِ وخلَّفتْ حُرَقًا». ثم قال: «فخلّني ومدامعًا تَسَعُ الفراقَ وتفضُلُ» ومقدّمة الشَّيءِ ليس هو الشيءِ بأَسره. إنّما مقدَّمة الجيشِ: ما يتقدَّمُه من جُملَته، ويبقى سائرُه[2] متأَخرًا. فقال: «رحلتْ مقدَّمةُ الدموعِ». عني يوم المفارقة. ثُمَّ قال: «فخلِّني ومدامعًا» يريدُ جملةَ الدّمعِ المتأَخِّر الذي هو مَقْرُونٌ بالحُرَقِ المقيمةِ التي ذكرها.

وقال في نحوه أَيضًا[3]:

[الخفيف]

خَـلِّـيـاهُ وَوَقـفَـةً فـي الـرُسـومِ
يَـخـلُ مِـن بَـعـضِ بَـثِّـهِ الـمَـكـتـومِ[4]
وَدَعـاهُ لا تُـسـعِـداهُ بِـدَمـعٍ
حَـسـبُـهُ فَـيـضُ دَمـعِـهِ الـمَـسـجـومِ
سَـفَـهٌ مِـنـكُـمـا وَإِفـراطُ لُـؤمٍ
أَن تَـلـومـا فـي الـحُـبِّ غَـيـرَ مُـلـيـمِ

وقال في نحوه أَيضًا[5]:

[الخفيف]

إِنَّ تِـلـكَ الـطُّـلـولَ مِـن وَهـبـيـنـا
حَـزَّنَـت خـالِـيًـا وَزادَت حَـزيـنـا

(١) تفضُلُ: تزيد عليه.
(٢) سائره: بقيته، مأخوذ من (السُّؤْر)، وهو بقية الماء في الكأس.
(٣) (وقال... أيضًا): مطموس في الأصل.
(٤) ديوانه، ق٨٠٥، ب ٦-٨، ص٢١٢٢، من قصيدة في مدح إبراهيم بن المدبر سنة ٢٨٨ هـ. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٥٧، والثاني منهما في: الزهرة: ١٩١.
(٥) ديوانه، ق٨١٥، ب ٨و٩، ص٢١٦٢، من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الصَّامتيّ ٢٣٠ هـ. وهما في: الموازنة ١: ٥٥٧، والثاني منهما في: الزهرة: ١٩١.

فَـاتــرُكــانـــي فَـمــا أُطــيـــعُ عَـــذولا
وَاخـــذُلانـــي فَـمــا أُريـــدُ مُـعـيـنـا[١]

وقال أَيضًا[٢]:

[الكامل]

وَمِــنَ الجَــهـالَــةِ أَن تُـعَـنِّـفَ بـاكِـيًا
وَقَــفَ الـغَـرامُ بِــهِ عَـلـى مَـجـهـولِـها
إِنَّ الــدُّمــوعَ هِــيَ الـصَّـبـابَـةُ فَـاطَّـرِح
بَـعضَ الـصَّـبـابَـةِ تَـسـتَـرِحْ بِـهُـمولِـها[٣]

وهذا معنىً حسنٌ معروفٌ. والدُّموع ليستِ الصبابةَ؛ ولأَنَّ الصبابة رقَّةُ الشوقِ، وإنّما يبكي الباكي منْ شدّة صَبابته. ولمَّا كانتِ الصَّبابَةُ تخِفُّ بالبكاءِ، وتذهبُ بذهابِ الدمع [٤٨/ب] قال: إنَّ الدموعَ هيَ الصبابةُ. أَي إِنَّها تذهبُ بذهابه، وتمضي بمضيِّه؛ أَي فدعْني أَبكي؛ فإِنِّي أَستريحُ بِهُمُولِ الدْمعِ.

وقال أَيضًا[٤]:

[الطويل]

وَمـا انـفَـكَّ رَسـمُ الـدارِ حَـتّـى تَـهَـلَّـلَتْ
دُمـوعـي، وَحَـتّـى أَكـثَـرَ الـلَـومَ صاحِـبي
وَقَـفـنـا فَــلا الأَطـــلالُ رَدَّت إِجـابَـةً
وَلا الـعَـذلُ أَجْـدى في الـمَشوقِ المُخاطَبِ

(١) وَهْبين: جبل من جبال صحراء الدهناء. معجم البلدان. وفيه يقول ذو الرمّة:
أتعرفُ أطلالًا بوَهبين فالخُضْرِ   لميٍّ كأنيارِ المفوَّفة الخُضْرِ
ديوانه: ٢٦٠، والمنازل والديار: ١٢٧.
(٢) ديوانه، ق٦٧٨، ب ٤و٥، ص١٧٦٧، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمّي سنة ٢٢٦هـ. وهما في: الموازنة ١: ٥٥٧ و٥٥٨.
(٣) الهُمُول: انصبابُ الدمع.
(٤) ديوانه، ٣٥، ب ٣-٥، ص١٠٨، من قصيدة يمدح بها المعتزَّ بالله سنة ٢٥٣ هـ. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٥٨، والمنازل والديار: ١٢٨بتقديم الثاني على الأوَّل.

تَمــادَتْ عَـقـابـيـلُ الـهَـوى وَتَـطـاوَلَـتْ

لَجـاجَـةُ مَـعـتـوبٍ عَـلَـيـهِ وَعـاتِـبِ[1]

وهذا معنىً حسَنٌ، ولفظٌ له ماءٌ ورونقٌ، وهو أَجودُ وأَسلمُ من قول أَبي تمام[2]:

[الكامل]

وَمـا صـارَ فـي ذا الـيَـومِ عَـذلُـكَ كُـلُّـهُ

عَـدُوِّيَ حَـتّـى صـارَ جَـهـلُـكَ صاحِـبـي

وقال أَيضًا[3]:

[الكامل]

فـي غَـيـرِ شَـأنِـكَ بُـكـرَتـي وَأَصـيـلـي

وَسِـوى سَـبـيـلِـكَ فـي الـسُـلُـوِّ سَـبـيـلـي[4]

بَـخِـلَـت جُـفـونُـكَ أَن تَـكـونَ مُـسـاعِـدي

وَعَـلِـمـتَ مـا كَـلَـفـي فَـكُـنـتَ عَـذولـي

جـارَ الـهَـوى لَمّـا اسـتَـخَـفَّ صَـبـابَـتـي

لِخَـلِـيِّ مـا تَـحـتَ الـضُـلـوعِ مَـلـولِ

أَي جارَ الهوى عليّ لِخَليّ ما تحتَ الضّلوعِ، أَي لخليّ منَ الهوى؛ أَي جار عليَّ له.

---

(١) العقابيلُ: بقايا العلَّة والعَدَاوة والعِشقِ. والعقابيل أيضًا: الشدائد. القاموس (عقب).

(٢) ديوانه، ق١٥، ب٤، ١: ١٩٩ من قصيدة يمدح بها أبادلف العجلي. والبيت في: الموازنة ١: ٥٤٣، ٥٥٥. وذكر التبريزي رواية أخرى للبيت فقال: «ويُرْوى:

وما زال يومَ الدَّار عَذْلُك كُلُّه   عدوِّي حتَّى صارت عُذرك صاحبي

وروى الصولي عجزه:

....   حتى صار حلمُك صاحبي»

انظر: شرح ديوان أبي تمام ١: ١٩٩، ح٥.

(٣) ديوان البحتري، ق٧٠٢، ب ١-٣، ص١٨٣٤، مطلع قصيدة يمدح بها إسحاق بن إسماعيل بن نَيبُخْت سنة ٢٦٨هـ. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٥٨. وصدر البيت الأول في: عبث الوليد: ٤٣٤.

(٤) البُكْرة: الوقت ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. الأصيل: ما بين العصر والمغرب.

وقال أَيضًا[1]:

[الكامل]

مـا أَنـتَ لِـلـكَـلِـفِ الـمَـشـوقِ بِـصـاحِـبِ
فَـاذهَـب عَـلـى مَـهَـلٍ فَـلَـيـسَ بِـذاهِـبِ
عَـرَفَ الـديـارَ وَقَـد سَـئِـمنَ مِـنَ الـبِـلـى
وَمَـلَـلـنَ مِـن سُـقـيـا الـسَّـحـابِ الـصـائِـبِ
فَـأَراكَ جَـهـلَ الـشـوقِ بَـيـنَ مَـعـالِـمٍ
مِـنـهـا وَجِـدَّ الـدمـعِ بَـيـنَ مَـلاعِـبِ

قوله: «على مَهَلٍ» لستُ أَراه مفيدًا شيئًا، وما أَظنّها إِلّا حشْوًا. وهذا من مواضع قولهم: فامضِ لشأْنك، وامضِ لسبيلكَ.

[٤٩/أ] وقال أَيضًا[2] :

[الخفيف]

بَـعـضَ هَـذا الـعِـتـابِ وَالـتَـفـنـيـدِ
لَـيـسَ ذَمُّ الـوَفـاءِ بِـالـمَـحـمـودِ[3]
مـا بَـكَـيـنـا عَـلـى زَرودَ وَلَـكِـنْـ
ـنَـا بَـكَـيـنـا أَيّـامَـنـا فـي زَرودِ
وَدُمـوعُ الـمُـحِـبِّ إِنْ عَـصَـتِ الـعُـذْ
ذَالَ كـانَـتْ طَـوعَ الـنَّـوى وَالـصُـدودِ

وهذا منْ إِحسانهِ المشهورِ.

---

(١) ديوان البحتري، ق٥٤، ب ١-٣، من قصيدة مدح بها الحَسَنَ بن وهْب سنة ٢٢٨ هـ على الراجح.
والأبيات في: الموازنة ١ : ٥٥٩، والمنازل: ٨٨ والبيت الثالث في: سرّ الفصاحة ٢٠١ .

(٢) ديوانه، ق٢٥٩، ب١-٣، ص٦٣٢، من قصيدة يمدح بها عبدالملك الزيّات، سنة ٢٣١ هـ.
والأبيات في: الموازنة ١ : ٥٥٩، وهبة الأيام: ٧٨. والبيت الأول بألفاظ متقاربة مع مطلع القصيدة: ٢٩٨، ص ٢٦٨ .

(٣) التفنيد: الخطأ في القول. زرود: رَمْلٌ على طريق الحاج من الكوفة.

وقال أَيضًا[1]:

[الكامل]

فيمَ ابتِدارُكُمُ المَلامَ وَلوعا أَبَكَيتُ إِلّا دِمنَةً وَرُبوعا

عَذَلوا فَما عَدَلوا بِقَلبي عَن هَوىً وَدَعَوا فَما وَجَدوا الشَجِيَّ سَميعا

وقال أَيضًا[2]:

[الكامل]

يا وَهبُ هَبْ لِأَخيكَ وقفَةَ مُسعِدٍ يُعطي الأَسى مِن دَمعِهِ المَبذولِ

أَو ما تَرى الدِّمَنَ المُحيلَةَ تَشتَكي غَدَراتِ دَهرٍ لِلزَّمانِ مُحيلِ[3]

إِن كُنتَ تُنكِرُها فَقَد عَرَفَ البِلى قِدمًا مَعارِفَ رَبعِها المَجهولِ

وقال أَيضًا[4]:

[الطويل]

---

(١) سبق تخريجهما.

(٢) ديوانه، ق٦٤٥، ب٣-٥، ص١٦٥٨، من قصيدة يمدح بها الفضل بن إسماعيل الهاشمي، سنة ٢٢٧هـ. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٦٠، والثاني منهما في: عبث الوليد: ٣٧٥. قال المعري: «مُحيل: بضم الميم لا غير... والمعنى ههنا من أحال، إذا أتى عليه حَوْلٌ، ولا يمكن أن يكون (مَحيل) من (أحال)، إنّما يسوغ مثل ذلك لو قيل: حِلتُه فأنا أحيله فهو محيول ثم يحذف منه حرف فيقال: محيل». عبث الوليد: ٣٧٥.

(٣) في الديوان: (... غدرات عَهْدٍ).

(٤) ديوانه، ق٧٥٩، ب٢-٤، ص١٩٦٥، من قصيدة يمدح بها أبا مسلم بن حميد الطّائي، ويرجع تاريخها إلى سنة ٢٣٢ هـ. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٦٠.

وَقَفنا فَحَيَّينا لِأَهلِكِ بِاللِّوى
رُبوعَ دِيارٍ دارِساتِ المَعالِمِ
ذَكَرنا الهَوى العُذرِيَّ فيها فَأُنسِيَتْ
عَزاها مَشوقاتُ القُلوبِ الهَوائِمِ
خَلَعْنا بِها عُذرَ الدُّموعِ فَأَقبَلَتْ
تَلومُ وَتَلحَى كُلَّ لاحٍ وَلائِمِ

وهذا كلُّه على اختلافِ معانيهِ، جيِّدٌ بالغٌ، وحُلْو نادرٌ.

وقال أَيضًا[1]:

[الخفيف]

ذاكَ وادي الأَراكِ فَاحبِس قَليلا
مُقصِرًا مِن صَبابَةٍ، أَو مُطيلا
قِف مَشوقًا، أَو مُسعِدًا، أَو حَزينًا
أَو مُعينًا، أَو عاذِرًا، أَو عَذولا

[٤٩/ب]قد وسَّع البحتري على هذا الصّاحبِ كلّ السَّعةِ. أَي قفْ على أَي[2] حالٍ كنتَ عليها منْ هذهِ الأَحوالِ، ولو أَن تَعْذِلَ بعد أَن تَتلَوَّم عليَّ، ولا تنصرفْ عنِّي فإنِّي أَحتملُ عذلكَ، وهذهِ غايةُ النَّصَفةِ. ثم أَتبعَ بأَنْ قالَ[3]:

[الخفيف]

(١) ديوانه، ق٦٧٧، ب١ و٢، ص١٧٦٢ من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القُمِّي، ويرجع تاريخها إلى سنة ٢٢٧هـ. والبيتان في: الموازنة ١: ٥٦٠، والزهرة: ٢١٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ١٨٥، والبيت الثاني في: العمدة ٢: ٢٦، والغيث المسجم ٢: ٢٢.

(٢) في الموازنة: (أية).

(٣) الأبيات في: ديوانه ق٦٦٧، ب٣-٩، ص١٧٦٢، ١٧٦٣. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٦٠ و٥٦١، والزهرة: ٢١٤ ماعدا البيت ٨.

إِنَّ بَــيـنَ الـكَـثـيـبِ فَــالجَــزْعِ فَـالآ
رامِ رَبــعًــا لِآلِ هِـــنـدٍ مُـحـيـلا[1]
أَبـلَـتِ الـريـحُ وَالـــرَّوائِـــحُ والأيْـــ
ـــيـامُ مِـنـهُ مَـعـالِمًـا أَو طُـلـولا
وَخِـــــلافُ الجَـمـيـلِ قَـولُـكَ لِـلـذا
كِــرِ عَـهـدَ الأَحــبـابِ صَـبـرًا جَـمـيـلا
لا تَـلُـمـهُ عَـلـى مُـواصَـلَـةِ الـدَّمْـ
ـــعِ فَـلُـؤمٌ لَـــومُ الخَـلـيـلِ الخَـلـيـلا
عَـــلَّ مـــاءَ الـــدُّمـــوعِ يُـخـمِـدُ نـــارًا
مِـــنْ جَـــوى الحُـــبِّ أَو يَـبُـلُّ غَـلـيـلا
وَبُـــكـــاءُ الـديـارِ مِمّـــا يَـــرُدُّ الـشْـــ
ـشَـوقَ ذِكـرًا وَالحُـبَّ نِـضْـوًا ضَـئـيـلا[2]
لَــم يَـكُــن يَـومُـنـا طَـويـلاً بِـنَـعـمـا
نَ، وَلَـكِـن كـانَ الـبُـكـاءُ طَـويـلا[3]

قوله: «أَبلَتِ الرِّيحُ وَالرَّوائِحُ» فالرّوائح: السَّحائبُ التّي تمطرُ النَّهار بأسره، وتَرُوحُ عشيًّا.

وقوله: «مما يردُّ الشوقَ ذكرًا» أَي يُخَفِّفهُ حتَّى يصيرَ تذكُّرًا لا يُقلِقُ، ولا يُزعج كإقلاقِ الشَّوْقِ.

«والحُبَّ نِضْوًا» أَي يردُّ الحبَّ نِضْوًا، أَي يخففُ الهوى، ويصغِّرهُ؛ لأَنَّه يرى الدار، وخلوّها من أَهلها، وييأَس فيبكي ويستريح، فذلكَ هو تَصْغير الحُبِّ.

---

(١) الجَزع: بلدة قرب الطائف. الآرام: إحدى دارات العرب التي ورد ذكرها باسم: دار الآرام.
(٢) النِّضو: المهزول.
(٣) نَعْمان: هو واد ينبت فيه الأراك، وموقع بين مكّة والطّائف.

وقوله: «لَم يَكُن يَومُنا طَويلًا»[1] ينبغي أَنْ يكونَ هذا اليومُ كانَ يومَ توديع لم يكنْ طويلًا؛ لأَنَّ يومَ مشاهدتهم ورؤيتهم لا يستطيلُه بلْ يستقصرهُ. قال: «ولكنْ كانَ البُكاءُ طويلًا». وهذا خلاف قول أَبي تمّام[2]: «يَوْمَ الفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا»، وأَنا أستقصي الكلامَ في هذا عندَ ذكر بيت أَبي تمام في «بابِ الفراقِ».

[٥٠/أ] ومن جيّد هذا البابِ قولُ البحتريِّ[3]:

[الخفيف]

عَـرِّجـوا فَـالـدُمـوعُ إِن أَبـكِ فـي الـرَبْــ
ــــعِ دُمـوعـي وَالاكـتِـئـابُ اكـتِـئـابـي
وَكَـمِـثْـلِ الأَحـبـابِ لَـو يَـعـلَـمُ الـعـا
ذِلُ عِـنـدي مَـنـازِلُ الأَحـبـابِ

وهذا نحوُ قولِ امرئ القيس[4]:

قِـفـا نَـبـكِ مِـن ذِكـرى حَـبـيـبٍ وَمَـنـزِلِ

فجعلَ البكاءَ للحبيبِ والمنزل جميعًا.

ولا تَزِيدُ زيادةٌ في لَوْمِ الأَصحاب على حُسْنِ قَوْلِ كُثَيِّر[5]:

[الطويل]

---

(١) في الموازنة: (لم يكن.... بنعمان).

(٢) ديوانه، ق١٢٣، ٣: ٦٦، يمدح بها نوح بن عمرو السَّكْسَكيّ، وتمام البيت:
.... لم تُبْقِ لي جَلَدًا ولا معمولا
وهو في الموازنة ١: ٥٦١.

(٣) ديوانه، ق٢٩، ب ٤ و٥، ص٨٣، من قصيدة في مدح إسماعيل بن شهاب سنة ٢٣٢ هـ. وهما في: الموازنة ١: ٥٦٢ و٥٦٦، والمنازل والديار: ١٧٩ مع بيت آخر. والبيت الأول في خزانة الأدب ١: ٤٠٠، والثاني في: الزهرة: ٢١٦، والمنازل والديار: ٣٣.

(٤) المعلقات السبع: ١٣.

(٥) ديوانه، ق٥٨، ب٥-٧، ص٣٣٤، والموازنة ١: ٥٦٢.

يَـقـولُ خِـلـيـلـي سِـر بِـنـا أَيَّ مَـوقِـفٍ
وَقَـفـتَ وَجَـهـلٍ بِـالحَـلـيـمِ الـمُـعَـمَّـمِ

تَـلـومُ وَلَـم تَـعـلَـم بِـأَسـرارِ خُـلَّـةٍ
فَـتَـعـذُرَ إلاّ عَـن حَـديـثٍ مُـرَجَّـمِ

فَـإِنْ كُـنـتُ لَـم أجـهَـلْ فَـقَـد لُمْـتَ ظالمًا
وَإِنْ كُنتُ قَد أَزرى بِـيَ الجَـهلُ فَاحلَمِ

أَراد أَيّ موقفٍ هذا الذي وقفتَه. يقولُ لي الأَحبابُ: سرْ أَيَّ موقفٍ، كأَنه يحكي إِنكارَ صاحبهِ عليهِ الوقوفَ.

****



الفصل السابع عشر[١]

في ذكر ما قالاه[٢] في ترك البكاء على الديار والنَّهي عنه

قال أَبو تمام[٣]:

[الكامل]

إِن كـــانَ مَـسـعـودٌ سَـقـى أَطـلالَـهُـم
سَـبَـلَ الـشُّـؤونِ فَـلَـستُ مِـن مَـسـعـودِ[٤]

ظَـعَـنـوا فَـكـانَ بُـكـايَ حَـــولًا بَـعـدَهُـم
ثُـــمَّ ارعَـــوَيـــتُ وَذاكَ حُـكـمُ لَـبـيـدِ[٥]

---

(١) ليس في الموازنة، وهو من وضع المصنِّف.

(٢) في الموازنة: (ما جاء عنهما ....).

(٣) ديوانه، ق٣٧، ب٧-٩، ١: ٣٨٦، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، والأبيات في: الموازنة ١: ٥٦٣.

(٤) مسعود: هو مسعود بن عمرو بن الأزدي وقد عرف بالبكاء على الأطلال وبكائها. وقيل: هو أخو ذو الرمّة الشاعر المعروف. انظر: شرح ديوان أبي تمام ١: ٣٨٦. نقل ابن المستوفي عن الآمدي في كتابه: «فأعياني معنى البيت مدة طويلة حتى قرأت في شعر ذي الرمة قوله:

عشيَّة مسعودٌ يقول وقد جرى ... على لحيتي من واكف الدمع قاطرُ

أفي الدارِ تبكي إذ بكيت صبابةً ... وأنتَ امرؤ قد حلَّمتك العشائر

فعلمت أن أبا تمام أراد مسعودًا هذا أخا ذي الرّمة؛ لأنه كان يَنْهى عن البكاء على الديار، فكأنه أراد: إن كان مسعود بكى على الديار ورجع عن مذهبه في ترك البكاء وتفنيد مَنْ بكى، فلست منه، وكان هذا عند أبي تمام أبلغ من أن تضرب المثل بمن بكى الديار». انظر: شرح ديوان أبي تمام ١: ٣٨٦-٣٨٧، ج٤.

(٥) يقصد بذلك قول لبيد:

إلى الحَوْل ثمَّ اسمُ السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

انظر: شرح ديوان لبيد: ٢١٤.

أَجــــدِرِ بِــجَــمْــرَةِ لَــوعَـــةٍ إطْـفَــاؤُهــا
بِــالــدَّمْــعِ أَن تَـــزدادَ طُــولَ وُقُـــودِ[1]

[٥٠/ب]قوله: إِنْ كانَ مسعودٌ، يعني مسعودًا أَخا ذي الرُّمَّة، ولا يعرفُ له بيتُ واحد بكى فيه على الديار. وهذا من معاني أَبي تمّام الغامضة التي يُسْأَلُ عنها. وما زلتُ أَرى الناس قديمًا يَخْبِطُونَ فيه وإنما ذكرَ مسْعودًا؛ لأَنّه كان ينهَى ذا الرّمة عن البكاءِ على الديار. وذلك قول ذي الرُّمَّة[2]:

[الطويل]

عَـشِـيَّـةَ مَـسـعـودٌ يَـقـولُ وَقَـــد جَـرى
عَـلـى لِحْـيـتـي مِـن عَـبْـرةِ الـعَـيـنِ قـاطِـرُ[3]
أَفـــي الــــدارِ تَـبـكـي إِذْ بـكـيـتَ صـبـابـةً
وَأَنـــتَ امـــرُؤٌ قَـد حَـلَّـمَـتـكَ الـعَـشـائِـرُ[4]

فأَراد أَبو تمّام إِنْ كانَ مسعود الذّي أَنكرَ على ذي الرُّمة البكاءَ ونهاهُ عنهُ. – قد رأَى أَنّ البكاءَ أَحسنُ بعد أَن كان عنده غيرَ حَسنٍ؛ فلستُ منه. وذلك كقول القائل: إن كان حاتم قد شحَّ فلست منه، أَي إِنْ كانَ بعدَ كرمهِ وجودهِ قد رأَى أَن البخْلَ حَسنٌ – فَلَسْتُ مقتديًا به.

وكأَنَّ هذا عند أَبي تمامٍ أَبلغُ منْ أَنْ يقولَ: إِن كان غَيْلَانُ سقَى أَطلالَهم –يعني ذا الرمة– فلست منه.

---

(١) قال الخطيب: «وهو ضدُّ المعنى في مثل قوله:
وإِنَّ شفائي عَبْرَةٌ مُهْراقة　　　فهل عندَ رسم دارس من معوَّلِ»
(٢) ديوانه، ق٣٢، ب٣و٤، ١٠١٢، وخزانة الأدب ٣: ٦٤٥، ووفَيات الأعيان ٣: ١٨٨، والموازنة ١: ٥٦٣، والمنازل والديار: ١٢١، من جملة أبيات
(٣) قال الباهلي شارح الديوان: (مسعود: أخوه).
(٤) رواية الديوان: (أفي الدار تبكي أن تفرَّق أهلها). والمثبتة رواية الأصل والموازنة. وهي كذلك في وفيات الأعيان. ٣: ١٨٨، والمنازل والديار: ١٢١، وشرح شواهد مغني اللبيب: ٢٢٦. حلَّمتك العشائر: وصفتك بالحِلْم.

وهذا أَيضًا من استقصاء أَبي تمام، ومبالغته في المعاني التي يخرجها إِلى التّعْمِيةِ والانغلاق.

وقوله: «وذاك حُكْمُ لَبيدِ» يريدُ قولَ لَبيدِ[1]:

[الطويل]

إِلى الحَولِ ثُمَّ اسْمُ السَلامِ عَلَيكُما
وَمَن يَبكِ حَولًا كامِلًا فَقَدِ اِعتَذَرْ

وقوله[2]:

[الكامل]

أَجدِرْ بِجَمرَةِ لَوعَةٍ إِطفاؤُها
بِالدَّمعِ أَن تَزدادَ طولَ وُقودِ

غلطٌ بَيِّنٌ؛ لأَنه أَتى فيه بما يخالف مذهبَ أَهل الجاهليّةِ والإِسلام، والأَمم كلِّها؛ لأَنهم مُجْمِعُون على أَن في البكاءِ راحةً منَ الكَرْبِ، وتبريدًا لحرارةِ الحزنِ، وتَخْفيفًا من لاعِجِ[3] المصيبة.

[٥١/أ] و«طول خمود» أَوْلى بالصواب من «طول وقود» لو كانَ بُنَي المعنَى عليهِ. وقد ذكرتُ هذا في أَغاليطهِ.

وقال أَبو تمام[4]:

[الخفيف]

---

(١) انظر شرح ديوان لبيد: ق ٢٨، ب٧، ص ٢١٤، وتأويل مشكل القرآن: ١٩٨، ومجاز القرآن: ١/: ١٦، والخصائص ٣: ٢٩، ورسائل في اللغة: ١٠٠، وشرح المفصل ٣: ١٣..

(٢) يريد قول أبي تمام، فالضمير في (قوله) ليس عائدًا على لبيد.

(٣) اللّاعج: اسم فاعل من (لَعَجَ) في الصدر، أي: خَلَجَ فيه. ولاعَجَهُ الأمرُ: اشتدَّ عليه. والتعجَ: ارتَمضَ من همٍّ. القاموس المحيط. (لعج).

(٤) (وقال أبو تمام): العبارة مطموسة في النص المخطوط، والبيتان في ديوانه، ق٨، ١٠ و١١، ١: ١١٦ من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب، الموازنة ١: ٥٦٤.

فَـعَـلَـيـهِ الـسَّــلامُ لا أُشــــرِكُ الأَطــــ
ــلالَ فـي لَـوعَـتـي وَلا فـي نَـحـيـبـي[1]

فَـــسَـــواءٌ إِجـــابَـــتـــي غَـــيـــرَ داعٍ
وَدُعـــائـــي بِـــالـــقَـــفـــرِ غَـــيـــرَ مُـــجـــيـــبِ

قوله: «لا أُشرِكُ الأَطلالَ في لَوعَتي» أَي أَجعل ذلك خالصًا لأَحبتي، أَي لا أَقولُ كما قال امرؤ القيسِ: «قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ»، فاستوقفَ ليبكيَ على الحبيبِ والمنزلِ معًا.

وقوله: «فسواءٌ إِجابتي» معنى لطيفٌ. وقد ذكرتُه في (باب استعجام الديار عن الجوابِ)، وبيتُ البحتريِّ الذي حَذَا على حَذْوِه.

قال البحتريّ[2]:

[الكامل]

يَـسَـلُ الـمَـنـازِلَ عَـنـهُـمُ وَعَـلـى الـلِّـوى
دِمَـنٌ دَوارِسُ إِن تَـسَـلْ لا تُـخـبِـرِ

وَمِـنَ الـسَّـفـاهَـةِ أَن تَـظَـلَّ مُـكَـفـكِـفًـا
دَمـعًـا عَـلـى طَـلَـلٍ تَـأَبَّـدِ مُـقـفِـرِ[3]

وقال البحتري[4]:

[الخفيف]

(١) الضمير في: (فعليه) عائد على السقيم في البيت الثامن.

(٢) ديوانه، ق٣٤٣، ب ٤و٥، ص٨٦٠، من قصيدة يمدح بها بني يزداد ويذكر خروج عُبَيْد الله إلى مكّة، والراجح أنها عائدة إلى سنة ٢٤٨هـ. والبيتان في: الموازنة ١: ٥٦٥، والمنازل والديار: ٤٣.

(٣) تأبّد: أقفرَ، ومنه قول لبيد في معلّقته:

عفت الديار محلُّها فمقامها ... بمنى تأبَّدَ غَولها فرجامُها

(٤) ديوانه، ق٢٥٩، ب٢، ص٦٣٢، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات، وهو في: الموازنة ١: ٥٦٥، وهبة الأيام: ٧٧.

مــا بَـكَـيـنــا عَــلــى زَرودَ وَلَــكِــنْــ

ــنــا بَـكَـيـنــا أَيّــامَــنــا فــي زَرودِ

وهذا حَسَنٌ. وأَحسَنُ منهُ وأَحْلى وأَعذبُ – قولُ كثيِّر[١]:

[الخفيف]

وَمَــا بِــرِبَــاعِ الــدَّارِ يــا أُمَّ مَــالِـكٍ

ولا بــالـطُّـلُـولِ الــدَّارِسَــاتِ أَهــيـمُ

هــي الــدّارُ وحْـشًـا غيـر أَنْ قَـدْ يَـحُـلُّـها

ويَــغْـنَــى بِـهـا شَـخْـصٌ عـلـيَّ كَــرِيمُ

وقال البحتري[٢]:

[الخفيف]

لا تَـقِـف بــي عَـلـى الـدِّيـارِ فَـإِنّـي

لَـسـتُ مِـن أَربُــعٍ وَرَسْـمٍ مُـحـيـلِ

[51/ب] فـي بُـكـاءٍ عَـلـى الأَحِـبَّـةِ شُـغلٌ

لِأَخـــي الـحُـــبِّ عَــن بُـكـاءِ الـطُّـلـولِ

وهذا مذهبٌ قدْ تقدَّم الناسُ أَيضًا فيه، إلا أَنّ البكاءَ على الديارِ هو المذْهبُ الأَقدمُ، والأَعمّ الأَشهر. قال امرؤ القيس: «قِفا نَبكِ من ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ»، فجعلَ البكاءَ للحبيبِ والمنزلِ جميعًا. والرّواةُ تزعُم أَنَّ هذا البيتَ أَحسنُ ابتداءَاتٍ وأَبرعُها وأَجمعُها لعدّة معانٍ في لفظٍ قليلٍ، واتّبعته الشعراء على هذا، وأَكثروا فيه القولَ.

(١) ديوانه، ق٦، ب٣-٤، ص١٢٦، مع اختلاف في الرواية. وهما في: الموازنة ١: ٥٦٥.

(٢) ديوانه، ق٦٥٤، ب٧و٨، ص١٦٧٤، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب، محمد بن طَوْق. وهما في: الموازنة ١: ٥٦٥، والزهرة: ٢١٥.

وعلى المعنى هذا[١] حذا البحتري قوله[٢]:

[الخفيف]

عَرِّجوا فَالدُّموعُ إِن أَبكِ في الرَبـ
ـعِ دُموعي وَالاكتِئابُ اكتِئابي
وَكَمِثلِ الأَحبابِ لَو يَعلَمُ العا
ذِلُ عِندي مَنازِلُ الأَحبابِ

وكانوا يرون الوقوف على الدِّيار من الفتوّةِ والمروءَةِ وكرمِ العهدِ؛ ولذلك قال أبو تمام[٣]:

[الكامل]

أَمَواقِفَ الفِتيانِ تَطوي لَم تَزُرْ
شَرَفًا، وَلَم تَندُب لَهُنَّ صَعيدا[٤]
أَذكَرتَنا المَلِكَ المُضَلَّلَ في الهَوى
وَالأَعشَيَينِ وَطَرفَةً وَلَبيدا[٥]
حَلّوا بِها عُقَدَ النَّسيبِ وَنَمنَموا
مِن وَشيِها نُتَفًا لَها وَقَصيدا[٦]

قوله: «لم نَزُرْ شَرَفًا» له ذاكَ فقالَ: «صَعيدا» لأَنَّ الصَّعيدَ الترابُ، وهو يكون في أَغْوَاطِ[٧] الأَرضِ، وما اطمأَن منها – أَكثر منه فيما علا وارتفع. [والله أعلم بالصَّوابِ][٨].

****

---

(١) في الموازنة: (وعلى هذا المعنى...).

(٢) سبق تخريجهما.

(٣) ديوانه، ق٤٠، ب٥–٧، ١: ٤٠٧ و٤٠٨ من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الشيباني. والأبيات في: الموازنة ١: ٥٦٦.

(٤) رواية الديوان: (... لم تزرْ.... تنْدُبْ)، وهي كذلك في الموازنة.

(٥) الملك المضلَّل: هو امرؤ القيس، الذي شُهِرَ بلقب (الملك الضلِّيل). والأعشيان: مثنى (أعشى)، وهما: أعشى قيس، وأعشى باهلة. طَرْفة بتسكين الراء وفتحها: طرفَةَ بن العبد. لبيد: لبيد بن ربيعة.

(٦) في الديوان: (... نُتَفًا لها وقصيدا). قال الخطيب: (ويروى: نثرًا لنا وقصيدا)، ويروى: (رجزًا لنا وقصيدا)، والأخيرة رواية الصّولي. نمنموا: زخرفوا.

(٧) الأغواط والغيط: المطمئنُّ الواسع من الأرض. وجمعه: أغواط، وغيطان، وغِياط.

(٨) ليس في الموازنة.

الفَصْلُ الثّامن عشر(1)

[٥٢/أ] في ذِكْرِ ما قالاه في البكاء على الظَّاعنين مطلقًا(2)

قال أَبو تمام(3):

[البسيط]

يـا بُـعـدَ غـايَـةِ دَمــعِ الـعَـيـنِ إِن بَـعُـدوا
هِـيَ الـصَّـبـابَـةُ طـولَ الـدَّهـرِ وَالـكَـمَـدُ(4)

هذا أَجودُ ابتداءاته في هذا المعنى، وأَبلغُها.

وأَجودُ منهُ وأَحلى قولُ البحتريِّ(5):

[البسيط]

قَـلـبٌ مَـشـوقٌ عَـنـاهُ الـبَـثُّ وَالـكَـمَـدُ
وَمُـقـلَـةٌ تَـبـذُلُ الـدَّمـعَ الَّـذي تَـجِـدُ

قوله: «تبذلُ الدمعَ الَّذي تَجِدُ» معنى ما لحسنهِ نهايةٌ، ولفظٌ في غاية البراعةِ والحلاوة.

---

(١) ليس في الموازنة.

(٢) جاء عنوان الفصل في الموازنة ٢: ٥: (ذِكْر الفراق والوداع والترحُّل عن الديار والبكاء على الظاعنين). وقال الآمدي بعد ذلك: «وأفتتح ذلك بما جاء عليهما من الابتداءات في هذه المعاني، وأبوّبُها أبوابًا، لتصحَّ الموازنةُ بينهما». ثم وضع عنوانًا فرعيًا للفصل هو: (ما قالاه في البكاء على الظاعنين).

(٣) ديوانه، ق٤٥، ب١، ٢: ١٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطّائي. وهو في: الموازنة ٢: ٥.

(٤) الكمدُ: الحزْنُ.

(٥) ديوانه، ق٢٠٨، ب١، ص٤٩٥، وهو مطلع القصيدة التي يمدح بها أبا نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان، وترجع إلى سنة ٢٢٣هـ. والبيت في الموازنة ٢: ٥.

وقال أَبو تمام[1]:

[الكامل]

هِـيَ فُـرقَـةٌ مِـن صـاحِـبٍ لَـكَ مـاجِـدِ
فَـغَـدًا إِذابَـةُ كُـلِّ دَمـعٍ جـامِـدِ

وهذا إِنشَاءٌ[2] جيِّدٌ.

وقال البحتريّ[3]:

[الكامل]

رَحَـلـوا فَـأَيَّـةُ عَـبـرَةٍ لَـم تُـسكَـبِ
أَسَـفًـا وَأَيُّ عَـزيـمَـةٍ لَـم تُـغـلَـبِ

هذا أَيضًا ابتداءٌ جيِّد حسنٌ.

وقال أَيضًا[4]:

[الوافر]

أَكُـنـتَ مُـعَـنِّـفـي يَـومَ الـرَّحـيـلِ
وَقَـد لَجَّـت دُمـوعـي فـي الـهُـمـولِ

وقال أَيضًا[5]:

(١) ديوانه، ق٣٩، ب١، ١: ٤٠١، وهو مطلع قصيدة يمدح بها عليَّ بن الجهم وقد جاء يودِّعه لسَفَرٍ أراده. وهو في الموازنة ٢: ٥.
(٢) في الموازنة: (وهذا ابتداءٌ).
(٣) ديوانه، ق٢٨، ب١، ص٧٨، وهو مطلع قصيدة يمدح بها مالك بن طَوْق، تعود إلى سنة ٢٢٤هـ. وهو في: الموازنة ٢: ٦، والزهرة: ١٩١، وشرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٢٨، وشرحه أيضًا للعكبري ٤: ٤٧.
(٤) ديوانه، ق٦٧٣، ب١، ص١٧٣٢، وهو مطلع قصيدة في مدح الفتح بن خاقان، تعود إلى سنة ٢٣٩هـ. وهو في: الموازنة ٢: ٦، وصدره في: عبث الوليد: ٤٠٤.
(٥) ديوانه، ق٦٤٣، ب١، ص١٦٥١، وهو مطلع قصيدة يمدح بها المعتز، تعود إلى سنة ٢٥٢هـ. وهو في: الموازنة ٢: ٦، وصدره في: عبث الوليد: ٣٧٢، وشرح ديوان المتنبي للواحدي: ٧٢٨، وشرحه أيضًا للعكبري ٣: ٢٩٢، ومعاهد التنصيص: ١١٩ وفيه: (... لمَّا استقلّا). الخليط: القوم الذين يخالطون غيرهم ويشاركونهم. استقلَّ: رحل. استهلَّ: انصبَّ انصبابًا كثيرًا.

[الخفيف]

إِنَّ سَيرَ الخَليطِ حينَ استَقَلا
كانَ عَونًا لِلدَّمعِ حينَ تَوَلَّى

وقال أَيضًا[1]:

[السريع]

لَم تَبلُغِ الحَقَّ وَلَم تُنصِفِ
عَينٌ رَأَت بَينًا فَلَم تَذرِفِ

وهذه كلُّها ابتداءاتٌ جيِّدةٌ، عذْبةٌ، شهيَّةٌ.

وقال أَيضًا[2]:

[الخفيف]

دَع دُموعي في ذَلِكَ الاشتِياقِ
تَتَناجَى بِفِعلِ يَومِ الفِراقِ

[٥٢/ب] وهذا بيتٌ رديءٌ. قد عابهُ «ابنُ المعتزِّ»، وقال: «ما أَقبحَ قوله: في ذلك الاشتياق». وهي –لَعمري– قبيحةٌ، ولا أَعرفُ لهَ مثلَها.

****

(١) ديوانه، ق٥٣٩، ب١، ص١٣٥٦، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا غالب بن أحمد بن محمد المدبِّر، تعود إلى سنة ٢٥٦ هـ. وهو في الموازنة ٢ : ٦، وصدره في: عبث الوليد : ٣١٩.

(٢) ديوانه، ق٥٧٢، ب١، ص١٤٥٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا نهشَل بن حُمَيْد سنة ٢٣١ هـ. وهو في: الموازنة ٢ : ٦.

الفصل[1] التاسع عشر

في ذكْرِ ما قالاه من بكاءِ النِّساء المفارقات

قال أَبو تمام[2]:

[الطويل]

سَـرَتْ تَسـتَجيرُ الـدَّمـعَ خَـوفَ نَـوى غَـدِ
وَعــادَ قَــتــادًا عِـنـدَهـا كُـلُّ مَـرقَـدِ[3]

قوله: «سرتْ» يريد أَنها سهرت فكأَنها قطعتِ اللَّيل بالسَّهر، مُسْتَجِيرَةً بالدَّمع، تبكي ليلَها أَجمعَ. ولم يردْ أَنها سارتْ ليلًا، فجعلَ سهرها سُرىً، وفسَّر ذلك بقوله: «وَعادَ قَتادًا عِندَها كُلُّ مَرقَدِ». وهذا ابتداء ليس من جيِّد الابتداءات، ولا من رديئها.

وقال أَيضًا[4]:

[الخفيف]

بُــدِّلَــتْ عَــبــرَةً مِــنَ الإيمــاضِ
يَــومَ شَــدّوا الــرِّحــالَ بِــالأَغــراضِ[5]

---

(١) في الموازنة ٢ : ٧: (ما لأبي تمّام في البكاء على النساء المفارقات).

(٢) ديوانه، ق٤٦، ب١، ٢ : ٢٣، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الطائي وهو في: الموازنة ٢ : ٧.

(٣) تستجير: تستشفي به. القتادُ: شجر له شوكة كالإبر، والتَّقتيد: أن يقطع هذا الشجر فيحرق ثم تعلفه الإبل. القاموس المحيط (قتد). ويروى: (غَدَت) مجانسة لـ (غد).

(٤) ديوانه، ق٨٩، ب١، ٢ : ٣٠٨، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد. والموازنة ٢ : ٧.

(٥) قال المعرِّي: «يُنْشدُ (عبرة) بالرفع والنصب، فمن رفع لم تجعل في بُدِّلَتْ ضميرًا قبل الذِّكر يعود على المرأة التي ظهر تأنيثها بعد ذلك...». شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ٢ : ٣٠٨.

«الإيمَاض» أَراد تبسُّمَها وبريقَ ثغرها، جعله مِثْلَ وَمِيضِ البرق. يريد أَنها بُدِّلَتْ من الضّحِك البكاء لما استعدُّوا للرحيل، وهذا ابتداء جيد بالغ[1]. وقدْ عابهُ «ابنُ عمّار»[2]، وغيره لقوله: «الأَغراض»[3]؛ ولَحَّنُوه، وقالوا: الأَغراض: جمع غَرْض، وفَعْلٌ لا يجمع على أَفْعَال. أَفَمَا سمعوا بقولهم: فَرْخٌ، وأَفراخ، وفَرْدٌ وأَفراد، وشَكْلٌ وأَشكال، وجَفْنٌ وأَجفان، وعَصْرٌ وأَعصار، وزَنْدٌ وأزناد؟!

وقول الأَعْشَى[4]:

[الخفيف]

وَزَنْـــــــــدُكَ أَثــــقَـــبُ أَزنـــادِهـــا

---

(١) الكلمة ليست في الموازنة، وهي زيادة من المصنّف.

(٢) هو أحمد بن عبيد الله بن عمار القُطْرِبُلِّي، صديق ابن الرومي، وكان ابن الرومي يلقبه (العزير) لكثرة تسخطه على ما تجيء به الأقدار، إذ كان محارفًا في الرزق. له عدة مؤلفات منها (كتاب في تفضيل ابن الرومي)، و(كتاب في مثالب أبي نواس)، و(رسالة يبين فيها أخطاء أبي تمام في الألفاظ والمعاني)، وانفرد الآمدي بذكر مؤلفه في أبي تمام ورد عليه بكتاب (الرَّد على ابْن عمار فِيمَا خطّأ فِيهِ أَبَا تَمام)، ووصفه بالتحامل على أبي تمام وأنه طعن فيما لا يطعن عليه، واحتج بما لا تقوم به حجة؛ ويؤخذ من بعض الأمثلة التي أوردها الآمدي أن ابن عمار كان يورد البيت من شعر أبي تمام دون أن يدل على وجه العيب فيه. اختلف في وفاته، فجعله ياقوت سنة ٣١٤ هـ، ونقل عن معجم المرزباني أنه توفي سنة ٣١٠ هـ، وجعل ابن النديم وفاته سنة ٣١٩هـ. ترجمته في: الفهرست: ١٤٨، وتاريخ بغداد ٤: ٢٥٢، ومعجم الأدباء ٣: ٢٣٢. وانظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٤٨ وما بعدها.

(٣) اعترض الصُّولي على مَنْ لحّن أبا تمام في جمعه (غرضة) على (أغراض). ونقل عن أبي عبيد في الغريب المصنف روايته عن ابن الأعرابي عدم جواز هذا الجمع، قال الصولي: «وأنا أعوذ بالله من أن يكون ذهب مثل هذا على ذلك العالم...». والغُرْضة: شبيه الحزام بالنسبة إلى البعير، وأغراض: جمع غُرَض، و(غَرضُ): جمع: غَرْضة، ومثله فرخ وأفراخ. قال الراجز:

حتَّى إذا ما قلقلت أغراضها ونضحتْ بمائها أعراضها

وسيورد الآمدي شواهد على صحة ذلك. انظر: الموازنة ٢: ٧و٨، وحاشية (٢)، ٢: ٣٠٨. وانظر: القاموس المحيط، (غرض).

(٤) ديوانه، ق٨، ب٤٣، ص٧٣، والموازنة ٢: ٨، والأمالي الشجرية ١: ٣٢٩، وشرح المفصل ٥: ٦. وصدر البيت: (وُجِدْتَ إذا اصطلحوا خيرهم........). قال سيبويه: «واعلم أنه قد يجيء في(فَعْل) (أفعال) مكان (أَفْعُل)، قال الشاعر: [البيت]». الكتاب ٣: ٥٦٨، وتفسير أبيات المعاني ١: ٢٩.

[٥٣/أ] وقولهم أَيضًا: شَرْطٌ وأَشْرَاط، وقولَ الله تعالى: ﴿فَقَدْ جاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد/١٨] فقد نطقتِ العرب بهذا الجمعِ بعينهِ. قال الرّاجزُ في وصف الإِبلِ[(١)]:

[الرجز]

حَـتَّـى إِذا مَـا قَـلِـقَـتْ أَغْـرَاضُـهَـا
ونَـضَـحَـتْ بمـائِـهـا أَعْـرَاضُـهَـا

وقال غَيْلانُ بنُ حُرَيث[(٢)] الرَّبعَي[(٣)]:

[الرجز]

بِـكـلِّ سَـامٍ فـي الـزِّمَـامِ نَـهَّـاضْ
خَـيَّـسَـهُ بـالـذُّلِّ رَوْض الـرُّوَّاضْ
فـي قُـلُـصٍ تَمْـطُـو سَـفِـيـفَ الأَغْـرَاضْ

سَفيف: نَسِيج، والأَغْرَاضُ: جمع غَرَضٍ، وهو للبعيرِ مثلُ الحزامِ للفرسِ.

وأَنشدنا الأَخفشُ لرجل من طيِّءٍ[(٤)]:

[الطويل]

إِذا الـعِـيـسُ أَضْـحَـت بـالـفـلاة كـأَنَّـهـا
وقـد قَـلِـقَـتْ أَغْـرَاضُـهُـنَّ جُـفُـونُ

ومثله في الشعر -إِذا تتبّعتهُ- كثيرٌ.

---

(١) الرجز مجهول القائل، وهو في: الموازنة ٢: ٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥: ٦٨، ومعاني القرآن للنحاس ٦: ١٣.

(٢) في: شرح ديوان أبي تمام ٢: ٣٠٨، ذكره المحقق (جُريث) بالجيم، وهو تصحيف.

(٣) الرجز في: الموازنة ٢: ٨. خيَّسه: أهزله. قُلُص: جمع قلوص، وهي الناقة. تمطو: تمدُّ. وغيلان بن حريث هو صاحب رجز مشهور، وهو قوله:

وهي تنوشُ الحوضَ نوشًا من علا ... نوشًا به تقطع أجواز الفلا

(٤) لم أقف على البيت إلا في: الموازنة ٢: ٨.

وقال أَبو تمَّام[1]:

[الكامل]

بَسَطَت إِلَيكَ بَنانَةً أُسروعا
تَصِفُ الفِراقَ وَمُقلَةً ينبوعا

وهذا ابتداء ليسَ بالجيِّد، ولا بالرديء.

والأُسْرُوع: دُوَيِّبةٌ ناعمةٌ تكون في الرَّمل تشبَّه بها أَصابعُ النِّساءِ.

وقال أَيضًا[2]:

[الكامل]

نَثَرَتْ فَريدَ مَدامِعٍ لَم يُنظَمِ
وَالدَّمعُ يَحمِلُ بَعضَ ثِقلِ المُغرَمِ

وقال أَيضًا[3]:

[الوافر]

أَظُنُّ دُموعَها سَنَنَ الفَريدِ
وَهَى سِلكاهُ مِن نَحرٍ وَجيدِ[4]

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال[5]:

(١) ديوانه، ق٣٩٥، ب١، ٤: ٣٩٠. وهو في: الموازنة ٢: ٨، والبَنانة: واحدة البنان، وهي الإصبع. والأُسْروع: ويقال له: يُسْروع أيضًا، وهو دود أحمر يكون في الرمل تشبَّه به الأصابع المخضوبة.

(٢) ديوانه، ق٤٧، ب١، ٢: ٣٢، وهو مطلع قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشّيباني. وهو في: الموازنة ٢: ٩.

(٣) ديوانه، ق٤٧، ب١، ٢: ٣٢، وهو مطلع قصيدة في مديح أبي سعيد الثغري. وهو في: الموازنة ٢: ٩.

(٤) السَّنَنُ: التسابق. الفريد: الدّرُّ، والمراد بقوله: الفريد: ما يسقط منه. وهو مأخوذ من قولهم: سنَّ الماء: إذا صبَّه بيُسْر.

(٥) ديوانه، ق١٠٤، ب١، ٢: ٤٢٣، وهو مطلع قصيدة في مديح الحسن بن وهب، وكتب بها إليه من الموصل، والحسن بن وهب في بغداد. وهو في: الموازنة ٢: ٩.

[الوافر]

ذَريـــنـــي مِـــنـــكِ ســـافِـــحَـــةَ المَـــآقـــي
وَمِـــن سَـــرَعـــانِ عَـــبـــرَتِـــكِ الـــمُـــراقِ[1]

وهذا قول فيه جفاء.

ووجدتُ النّاسَ يستحسنونَ قولَه[2]:

[الوافر]

خُـــذي عَـــبَـــراتِ عَـــيـــنِـــكِ عَـــن زَمـــاعـــي
وَصُـــونـــي مـــا أَزَلْـــتِ مِـــنَ الـــقِـــنَـــاعِ

[٥٣/ب] زَمَاعُه: إِزْمَاعُه الرَّحيلَ. يقالُ: أَزْمَعَ يُزْمِعُ.

وقوله: «وَصوني ما أَزَلْتِ مِنَ القِناعِ» لأَنَّها برزت عند الفراق جَزَعًا، وكشفت القناع[3].

****

(١) المآقي: مفردها (مأْق) على زنة (مَفْع)، قال الخطيب: «...فيقال: هذا مَأْقٍ ورأيتُ مَأْقيًا، وهذا البناء قليلٌ في ذوات الياء والواو، وإنّما جاء في مَأْوِي الإبل ومَأْقِ العين». شرح الديوان ٢: ٤٢٣.
ونصب (سافحةَ المآقي) على وجهين: أولهما على النداء، والثاني على الحال. قال المعري: «لأنَّ سافحة لا تتعرَّف بالإضافة إلى ما فيه الألف واللام، وكلا الوجهين: النّداء والحال يحتمل فيه (المآقي) أمرين: إنْ شئت كان في تأويل الفاعل، كأنّه قال: يا سافحةً مآقيها، أو أراد: ذريني منك سافحةً مآقيك، وإنْ شئت كانت في تأويل المفعول، كأنَّ المخاطبة من النساء سفحتها؛ لأنه يجوز أن يقال: سفح الباكي ماء عينه وسفح عينه على حذف المضاف». شرح ديوان أبي تمام ٢: ٤٢٣. والسَّرَعان: أول الشيء.
(٢) ديوانه، ق٩٢، ب١، ٢: ٣٣٧، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها مهديَّ بن أصْرم. الموازنة ٢: ٩.
(٣) أراد: وتقنَّعي بالقناع الذي ألقيته عن رأسك. شرح ديوان أبي تمام ٢: ٣٣٦.

الفَصْل العشرون[1]

في ذكر[2] ما قالاه مِنْ باب الفِراقِ في معانٍ شتَّى

قال أَبو تمام[3]:

[الخفيف]

سَـــعِـــدَتْ غَـــربَـــةُ الـــنَّـــوى بِـــسُـــعـــادِ
فَـــهْـــيَ طَـــوعُ الإتْـــهـــامِ وَالإِنجـــــادِ

وقال أَيضًا[4]:

[الطويل]

أَلا صَـنَـعَ الـبَـيْنُ الَّـذي هُـوَ صـانِـعُ
فَـإِن تَـكُ مِـجزاعًـا فَـمـا الـبَـيْنُ جـازِعُ

وهذا ابتداء صالحٌ.

وقال أَيضًا[5]:

(١) ليس في الموازنة، وهو من وضع المصنّف.

(٢) في الموازنة: (ومن ابتداءاتهما من باب الفراق في معان شتَّى).

(٣) ديوانه، ق٣٤، ب١، ١: ٣٥٦، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد. وهو في الموازنة ٢: ١٠. الغَرْبة: النيَّة البعيدة. الإتهام والإنجاد: الدخول في نجد وتهامة. قال الخطيب: «أي سعدت النّوى بموتاة سعاد إيّاها في وجوهها، فتصير بها مرة إلى تهامة ومرة إلى نجدٍ». شرح ديوان أبي تمام ١: ٣٥٦.

(٤) ديوانه، ق٤٨٣، ب١، ٤: ٥٨٠، وهو مطلع قصيدة يفخر فيها بقومه. وهو في: الموازنة ٢: ١٠. المِجْزاع: صيغة مبالغة، من جزع فهو جازع ومجزوع، وهو الشديد الخوف.

(٥) ديوانه، ق١٣٥، ب١، ٣: ١٦٥، في مدح فيها إسحاق بن إبراهيم. وهو في: الموازنة ٢: ١٠. أصغى: أمال أذنه يستمع. والتقدير: أصغى المحبُّ. قال الخطيب: «ولو رفع (مغترّ) لجاز، ويجعل الفاعلَ، ويُخْلى (أصغى) من الضمير... فإذا جعلت (مغترًّا) فاعلًا فالمعنى أنه اغترّ بالبين أو بالحب، وإذا جُعِلَ مفعولًا فالمعنى أنه اغتُرَّ فهو مُغْتَرّ، فيتعدَّى إليه الفعل». شرح ديوان أبي تمام ٣: ٣٦٥.

[البسيط]

أَصغى إِلى البَينِ مُغتَرًّا فَلا جَرَما
أَنَّ النَّوى أَسأَرَت في قَلبِهِ لَمَما

قوله: أَصغى إلى البين؛ أَي: سمعَ ما أَخبروه بِهِ من ذكْر الفُرقةِ، فغَيَّر ذلكَ من عقلهِ. ويريد باللَّمم: الجنون.

وقد أَوضح هذا المعنى في البيت التالي، وهو قوله[1]:

[البسيط]

أَصَمَّني سِرُّهُم أَيّامَ فُرقَتِهِم
هَل كُنتَ تَعرِفُ سِرًّا يورِثُ الصَّمَما

أَي صرتُ لا أفهمُ شيئًا بعدَ ذلك السرِّ الذي دلَّهَني، وأطارَ عقلي، فكأَنّي أصمُّ عنْ كل قِيل. وهذا المعنى ليسَ مِن اختراعاتهِ. وقد ذكرتُه في سرقاتهِ، وما جاءَ في معناهُ لغيرِ واحدٍ من الشُّعراءِ.

وقال أيضًا[2]:

[الكامل]

أَهلوكِ أَضحَوا راحِلاً وَمُقَوِّضا
وَمُزَمِّمًا يَصِفُ النَّوى وَمُغَرِّضا[3]

[٥٤/أ] المُقَوِّضُ: الذي يُقَوِّضُ البيوتَ، ويقتلعُها للرّحيل. ومُزَمِّمًا يَصِفُ النَّوَى: الذي يزمّم الإِبلَ والأَزمّة. والمغرِّض يشدُّها بالغَرْض. وهو كالحِزام للفرسِ.

وهذا ابتداء صالحٌ.

(١) ديوانه، ق١٣٥، ٣: ١٦٥.
(٢) الكلمة ليست في الموازنة.
(٣) ديوانه، ق٨٨، ب١، ٢: ٣٠١، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد. ورواية الديوان: (... شاخصًا ومقوِّضا ...). وهو في: الموازنة ٢: ١١. المقوِّض: الهادم. ومزمِّمًا: اسم فاعل من زمَّم الشيء إذا ربطه. المغرِّض: مأخوذ مِن الغرْض، وهو حِزام الرحْل.

وقال أَيضًا[1]:

[الطويل]

تَحَمَّلَ عَنهُ الصَّبرُ يَومَ تَحَمَّلوا
وَعادَت صَباهُ في الصِّبا وَهيَ شَمأَلُ

قال ذلكَ لأَنَّ الصَّبَا: ريح تُحبُّها العربُ محبتَها للجنوبِ؛ لأَنها ريح ليِّنة عذبة، وقد تَجْلِب المطر في بعض أَقطار الأَرض كما تَجْلِبُه الجنوب. قال امرؤ القيس[2]:

[الرمل]

راحَ تمريهِ الصَّبا ثُمَّ انتَحى
مِنْه شُؤبوبُ جُنوبٍ مُنفَجِرْ

فأَرادَ أَنَّ صَباه -أَي ريحه في الصَّبا التي كانت تُولفُ له ما يهواه ويحبُّه مع من يحبُّه-عادَت شمالا؛ لأَنَّ الشّمال في أَكثر نواحي الأَرض لا تُولِّف السّحاب؛ بل تَمْحَقُه وتَشِينه كما قال[3]:

[الطويل]

لعمري لئنْ رِيحُ المودَّة أَصْبَحَتْ
شمالًا لَقِدْمًا كُنْتُ وهي جَنُوبُ

وقال أَبو تمَّام[172]:

[الطويل]

تَصَدَّت وَحَبلُ البَينِ مُستَحصِدٌ شَزْرٌ
وَقَد سَهَّلَ التَوديعُ ما وَعَّرَ الهَجْرُ

---

(١) ديوانه، ق١٢٤، ب١، ٣: ٧٢، يمدح بها محمد بن شقيق الطّائي، وهو في: الموازنة ٢: ١١.
(٢) ديوان امرئ القيس، ق٢٧، ب٦، ص١٤٥.
(٣) البيت بلا نسبة بهذه الرواية في: الموازنة ٢: ١٢، وبرواية (شَمَالا لقد بُدّلْتُ وَهِي جَنُوبُ) في: الذَّخيرة ٨: ٦٢٨، والمحكم ٧: ٤٦٤، والتاج واللسان (جنب)، والصداقة والصديق: ١٩٩، ومجمع الأمثال ١: ٢٨٩. والبيت ليزيد بن الطثرية مع بيت آخر في ديوانه: ٦١ فيما ينسب له ولغيره، والأغاني ٨: ١١٨.

تصدَّت: أَي بدتْ، وظهرت. ومُسْتَحْصِدٌ: شديد الفَتْل. والشَّزْرُ: الفتل إِلى فوق. واليَسَرُ: الفتل إِلى أَسفل.

وقوله: «وقد سهَّل التّوديعُ ما وعَّرَ الهَجْرُ» – يريد أَنها كانت هاجرةً فبرزت عند التوديع.

وقال أَيضًا[1]:

[البسيط]

مـا لـي بِـعـادِيَـةِ الأَيّـــامِ مِـن قِـبَـلِ
لَـم يَـثـنِ كَـيـدَ الـنَّـوى كَـيـدي وَلا حِـيَـلـي[2]

[٥٤/ب] وهذا من جيد ابتداءات هذا الباب.

وقال البحتري[3]:

[الخفيف]

رَاجَـــعَ الـقَـلْـبَ بَـثُّـهُ وَخَـبـالُـه
لِخَـلـيـطٍ زُمَّـتْ لِـبَـيـنٍ جِـمـالُـهْ[4]

وقوله أَيضًا[5]:

---

(١) ديوانه، ق١٢٧، ب١، ٣: ٨٨، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري حين خرج من عموريَّة إلى مكَّة. وهو في: الموازنة ٢: ١٢.

(٢) العادية: الأيّام التي تمرُّ. والعادية في الأصل: أوّل من يحمل من الرجَّالة، أو هي للفرسان.

(٣) ديوانه، ق٧٠٠، ب١، ص١٨٢٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا بكر المعروف بجرادة الكاتب. وهو في الموازنة ٢: ١٢.

(٤) في الديوان: (عاود ....). الخليط: القوم الذين يخالطون غيرهم. زُمَّتْ: وُضِعَ الخِطام لها. البّثُّ: الحزن. الخَبَال: الفساد في الفعل أو البدن أو العقل.

(٥) ديوانه، ق٣٤٧، ب١، ص٨٧٦، وهو مطلع قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد تعود إلى سنة ٢٣٧ هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٢، والصناعتين: ٣٤٥، وسرّ الفصاحة: ١٧٥، والرواية فيهما: (لك الويل...). وصدره في: الموشّح: ٢٣٨، وروايته: (لك الويلُ من ليلٍ بطاءٍ أواخره). تُزَمّ: تشدُّ الحبال التي بها تقادُ. الأباعر: جمع بعير، وهو الجمل.

[الطويل]

لَـــهُ الـــوَيــلُ مِـــن لَـيـلٍ تَـــطـــاوَلَ آخِـــرُهْ
وَوَشْـــــكِ نَـــوى حَـــيٍّ تُــــزَمُّ أَبــاعِــرُهْ

وقوله أَيضًا[1]:

[الخفيف]

شَـــطَّ مِـــن ســاكِــنِ الــغُــوَيــرِ مَـــزارُه
وَطَـــوَتــهُ الـــبِـــلادُ فَـــالـــلَــهُ جــــارُه[2]

وقوله أَيضًا[3]:

[الطويل]

إِذا عَـرَضَـت أَحــداجُ سَـلـمـى فَـنـادِهـا
سَـقَـتـكِ غَـوادي الُمـزنِ صَـوبَ عِـهـادِهـا[4]

وقوله أَيضًا[5]:

[المتقارب]

تَـــظُـــنُّ شُـــجـــونِـــيَ لَـــم تَــعــتَــلِــجْ
وَقَـــد خَـــلَـــجَ الــبَــيْنُ مَـــن قَـــد خَـــلَـــجْ[6]

---

(١) ديوانه، ق٣٦٣، ب١، ص٩١٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها عليّ بن محمد بن الفيّاض، تعود إلى سنة ٢٦٩هـ، وهو في الموازنة ٢ : ١٢.
(٢) الغوير: يطلق على موضع ماء في بادية السَّماوة، أو بين العقبة والقاع في طريق مكّة، أو على الفرات.
(٣) ديوانه، ق٢٦٨، ب١، ص٦٧٤، وهو مطلع قصيدة يمدح بها المهتدي بالله الخليفة الرابع عشر من خلفاء بني العبّاس، تعود إلى سنة ٢٥٦هـ. وهو في الموازنة ٢ : ١٣، وصدره في: عبث الوليد: ١٣٣، والرّواية فيه: (...سلمى فنادِها...).
(٤) الأحداج: جمع حِدْج، وهو مركب خاص بالنساء. العِهَاد: مطر خفيف يقال له: مطر الوسميّ.
(٥) ديوانه، ق١٦٨، ب١، ص٤١٩، وهو مطلع قصيدة في هجاء يعقوب بن الفرج الجِهْبذ، ويعود تاريخها إلى سنة ٢٣٢هـ. وهو في: الموازنة ٢ : ١٣، والأغاني ١٨: ١٦٨.
(٦) في الأصل المخطوط: (... لم يعتلج...). يعتلج: يضطرب. خلج: انتزع.

وقوله أَيضًا[1]:

[الوافر]

بِمِـــثــلِ لِـقـائِـهـا شُـفِـيَ الـغَـلـيـلُ
غَـــداةَ تَــزايَـلَــت تِـلـكَ الحُـــمــولُ[2]

وقال[3]:

[الطويل]

فُـــؤادٌ بِـــذِكــرِ الـظـاعِـنـيـنَ مُـوَكَّـلُ
وَمَـــنــزِلُ حَـــيٍّ فـيـهِ لِـلـشَـوقِ مَـنـزِلُ

وقوله أَيضًا[4]:

[الطويل]

لِمـا وَصَـلَـت أَسـمـاءُ مِـن حَـبلِنا شُكْرُ
وَإِن حُـمَّ بِـالـبَـينِ الَّـذي لَـم نُـرِد قَـدرُ

وقوله أَيضًا[5]:

[الطويل]

عَـلـى الـحَـــيِّ سِـرنـا عَـنـهُـمُ وَأَقـامـوا
سَـــلامٌ، وَهَـــل يُـدنـي الـبَـعـيـدَ سَـلامُ

---

(١) ديوانه، ق٦٩٧، ب١، ص١٨١٨، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا عيسى العلاء بن صاعد. وهو في: الموازنة ٢: ١٣.

(٢) الغليل: العطش. تزايلتْ: تباعدت. الحمول: هوادج المرأة أو الجمال التي تحملها.

(٣) ديوانه، ق٦٨٦، ب١، ص١٧٨٨، وهو مطلع قصيدة في مدح محمد بن عبد الله بن طاهر، وتعود إلى سنة ٢٤٨ هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٣.

(٤) ديوانه، ق٣٤٦، ب١، ص٨٧٠، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا عامر الخِضْر بن أحمد، وقيل: هي في أبي الصقر إسماعيل بن بلبل، ويعود تاريخها إلى سنة ٢٦١ هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٣، وصدره في: عبث الوليد: ٢٢٣. حُمَّ: نزل بنا.

(٥) ديوانه، ق٧٨٤، ب١، ص٢٠٦٦، وهو مطلع قصيدة يمدح بها يعقوب بن أحمد بن صالح بن شيرزاد ويعتذر إليه، وتعود إلى سنة ٢٧٠ هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٣، وصدره في عبث الوليد: ٤٧٦.

[٥٥/أ] وقوله أَيضًا[١]:

[الطويل]

لَأَوشَكَ شَعبُ الحَيِّ أَن يَتَفَرَّقا
فَيَدمى الجَوى أَو يُصبِحَ الحُبُّ أَولَقا

أَي يصير الحبُّ جُنونًا. وهذا كقول أَبي تمام[٢]: «أَسْأَرَتْ في عَقْلِهِ لمَمَا».

وقال[٣]:

[الخفيف]

عادَ لِلصَّبِّ شَجوُهُ وَاكتِئابُهْ
بِبِعادِ الَّذي يُرادُ اقتِرابُهْ

وقال أَيضًا[٤]:

[الخفيف]

أَصُدودٌ غَلا بِها أَم دَلالُ
يَومَ زُمَّت بِرامَةَ الأَجمالُ

وهذه كلها ابتداءات جيادٌ، حسانٌ، مختارة المعاني.

وقال أَبو تمام[٥]:

---

(١) ديوانه، ق٥٨٠، ب١، ص١٤٩٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها يوسف بن محمَّد بن يوسف، وتعود إلى سنة ٢٣١هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٣، وصدره في عبث الوليد: ٣٤٢. الأَولَقُ: الجنون أو قريبٌ منه.

(٢) بعض عجز بيت لأبي تمام سبق تخريجه.

(٣) ديوان البحتري، ق٣٧، ب١، ص١١٥، وهو مطلع قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل يعود تاريخها إلى سنة: ٢٦٩ هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٤، وصدره في: عبث الوليد: ٨٣. الشجو: الحزن.

(٤) ديوانه، ق٦٩٣، ب١، ص١٨٠٦، مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، تعود إلى سنة ٢٣٣هـ، وهو في: الموازنة ٢: ١٤. رامة: موضع بالعقيق.

(٥) ديوانه، ق١٢٣، ب١، ٣: ٦٦، وهو مطلع قصيدة يمدح بها نوحَ بن عمرو السَّكسكي. وهو في: الموازنة ٣: ١٤.

[الكامل]

يَـــومَ الــفِــراقِ لَـقَـد خُـلِـقـتَ طَـويـلا
لَــم تُـبـقِ لــي جَــلَـدًا وَلا مَـعـقـولا

فجعل يوم الفراق طويلًا.

وقال البحتريّ كأنه يَرُدُّ هذا المعنى على أَبي تمام، ويَنْسُبُ يومَ الفراق إلى القِصَر، وذَكَرَ العلّة في ذلك فقال[1]:

[الكامل]

وَلَـقَـد تَـأَمَّـلـتُ الـفِـراقَ فَـلَـم أَجِـد
يَـومَ الـفِـراقِ عَـلـى امـرِئٍ بِـطَـويـلِ
قَـصُـرَت مَـسـافَـتُـهُ عَـلـى مُـتَـزَوِّرٍ
مِـنـهُ لِـدَهـرِ صَـبـابَـةٍ وَعَـويـلِ[2]

وهذه إنّما هي حال من كان محبوبه محبوبًا منه، ورؤيته متعذِّرة عليه قبل يوم الفراق.

وقد بين هذا المعنى بقوله[3]:

[الخفيف]

إِنَّ لِـلـبَـيـنِ مِـنَّـةً مـا تُـؤَدّى
وَيَــدًا فـي تُـمـاضِـرٍ بَـيـضـاءَ[4]

---

(١) ديوانه، ق٦٤٥، ب١٠ و١١، ص١٦٥٧، من قصيدة يمدح بها الفضل بن عباس الهاشمي تعود إلى سنة ٢٢٧هـ. وهو في: الموازنة ٢: ١٤، وسرّ الفصاحة ٢٢٩ والرواية فيه: (... صبابةٍ وغليلِ). وخزانة الأدب لابن حجة الحموي: ١٢٩. وروايته فيه: (لوَ هُن صبابةٍ وغليل).

(٢) المتزوِّر: الزائرُ.

(٣) ديوانه، ق٢، ب ٧-١٠، ص١٤، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثّغْري الطائي سنة ٢٢٨هـ. والأبيات في الموازنة ٢: ١٥، وعبث الوليد:١٤، والمثل السائر ٢: ٢٤٠، والطّراز ٢: ٢٨١، وروايته فيه: (... لا تؤدَّى).

(٤) قال ابن الأثير معلّقًا على هذا البيت: (فتغزّله بهذا الاسم مما يشوِّه رقة الغزل ويُثْقل من خفَّته).

حَـجَـبـوهـا حَـتّـى بَـدَتْ لِـفِـراقٍ
كـانَ داءً لِـعـاشِـقٍ وَدَواءَ

أَضـحَـكَ الـبَـيْنُ يَـومَ ذاكَ وَأَبـكـى
كُـلَّ ذي صَـبْـوَةٍ وَسَـرَّ وَسـاءَ

فَـجَـعَـلـنـا الـوَداعَ فـيـهِ سَـلامًـا
وَجَـعَـلـنـا الـفِـراقَ فـيـهِ لِـقـاءَ

[٥٥/ب] وهذا مذهبٌ صحيحٌ، ومعنى واضحٌ.

وقال البحتريُّ في نحوهِ أَيضًا:

[الطويل]

وَيَـومِ تَـلاقٍ فـي فِـراقٍ شَـهِـدتُـهُ
بِـعَـينٍ إِذا نَـهـنَـهـتُـهـا دَمَـعَـت دَما

فكيفَ يكونُ يومُ تلاقٍ طويلًا؟

وقال في نحوه أَيضًا[1]:

[الكامل]

إِنَّ الـفِـراقَ جَـلا لَـنـا عَـن غـادَةٍ
بَـيـضـاءَ تَجـلـو عَـن شَـتـيـتٍ أَشـنَـبِ[2]

أَلـوَت بِمَـوعِـدِهـا الـقَـديمِ وَآيَـسَـت
مِـنـهُ بِـلَـيِّ بَـنـانَـةٍ لَـم تُـخـضَـبِ[3]

(١) ديوانه، ق٩٨، ب١ و٢، ص٢٨٢، من قصيدة يمدح بها أبا صالح ابن يزداد سنة ٢٤٩ هـ. وهما في: الموازنة ٢: ١٥.

(٢) الشتيت: المتفرِّق، ويقال له: المفلَّج. الأشنب: أسنانه بيضاء، والشنب: البياض في الأسنان خاصة.

(٣) ألوتْ بموعدها: ذهبت به.

وقال أَيضًا فيما يؤكِّد هذا المعنى، ويزيدُه صحةً[1]:

[الخفيف]

مِــن وَراءِ الــعـيـون كُـثـبـانُ رَمـلٍ
تَــتَـثَـنّــى أَفــنــانُــهُــنَّ فُـنـونَـا
وَبِــــوُدِّ الـقُـلـوبِ يَـــومَ استَـقَـلَّـت
ظُـعُـنُ الحَــيِّ أَن تَـكـونَ عُـيُـونَـا

وقد قالَ بعضُ الأَعرابِ: أنشدناهُ الأَخفشُ عن المبِّرد[2]:

[الطويل]

جـزى اللـه يـومَ الـبـينِ خَـيْـرًا؛ فـإنَّـهُ
أرانـــا -على علَّاتِها- أُمَّ ثَـابِـتِ
[أرانـــا رفـيـعـات الخـــدود ولــم تكن
نــراهــنَّ إلّا بـانـتـعـات الـنـواعـت][3]
تُـبَـاهِـي بـهـا الأَرضُ الـسَّـماءَ إذا مَشَتْ
عَـلَـيْـهـا وتُـحْـيِـي غَـشْـيَـة الـمُـتَـمَـاوِتِ

---

(١) ديوانه، ق٨١٥، ب٤ و٥، ص١٢٦١، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الصَّامتي. ورواية الأول منهما: (من وراء السُّجوف...). ورواية الثاني: (... أن تكون...). والبيت الثاني منهما في: الزهرة: ١٩١. الأفنان: الغصون المستقيمة. استقلَّت: رحلت. ظُعن الحي: جمع ظعينة، وهي المرأة في الهودج.

(٢) الأبيات لعُبَيْد الله بن طاهر بن ماهان الخزاعي. كان شاعرًا أديبًا، ولي الشرطة في بغداد زمن المعتز بالله مع شرطة (سرّ مَنْ رأى). وعرف بجوده. توفي سنة ٣٠٣هـ، وترك مصنفات منها: أخبار الشعراء، والسياسة الملوكية. ترجمته في وفيات الأعيان ٣: ١٢٢ (ترجمة رقم ٣٥٨)، والوافي بالوفيات ١٩: ٢٥٣ (ترجمة رقم ٧٤٨٣) انظر مصادر ثمَّة. والبيت الأول والثاني في: وفيات الأعيان ٣: ١٢٢، والوافي ١٩: ٢٥٣ وفيه: (أرانا ربيبات)، والمحب والمحبوب ١: ٧٦ منسوبًا لابن ميادة وليس في ديوانه، والأول منهما في: ديوان المعاني: ٢٨٣، ونهاية الأرب ٢: ٢٤٣ وفيه: (... على علّاته...). والبيتان الأول والثالث في: الموازنة ٢: ١٥.

(٣) ما بين حاصرتين ليس في الموازنة.

وقال بعضُ الظرفاء[1]:

[الخفيف]

مَـــنْ يَــكُــنْ يَــكْــرَهُ الــفِــراقَ فـإنِّـي
أَشـتـهـيـه لِمَـــوْضِـــعِ الـتَّـسْـلِـيـمِ
إِنَّ فـيـه اعـتْـنَـاقَـةً لِـــــوَدَاعٍ
وانـتـظـارَ اعْـتِـنَـاقَـةٍ لِـقُـدُومِ

[٥٦/أ] وقال البحتري[2]:

[الخفيف]

مـا كَـفـى مَـوقِـفُ الـتَـفَـرُّقِ حَـتّـى
عــادَ بِـالـبَـثِّ مَـوقِـفُ الإجـتِـمـاعِ
أَعِـنـاقُ الـلِـقـاءِ أَثـلَـمُ فـي الأَحـ
ـشاءِ وَالـقَـلـبِ أَم عِـنـاقُ الـوَداعِ

وقال أَيضًا[3]:

[الخفيف]

لَـم يَـكُـن يَـومُـنـا طَـويـلاً بِـنَـعْـمـا
نَ، وَلَـكِـنْ كـانَ الـبُـكـاءُ طَـويـلا

---

(١) البيتان بلا نسبة في: الموازنة ٢: ١٦، وأمالي المرتضى ٢: ٢٥٧، وديوان المتنبي بشرح العكبري ٢:٦٠ مع بيت ثالث. وهما لأبي الوليد الباجي في معجم الأدباء ٣: ١٣٨٩، ونُسبا لأبي تمام في: المنصف للسارق والمسروق منه: ٣١٧، ولمحمد بن عبد الله بن طاهر في: ديوان المعاني ١: ٢٧٠، ولمُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد اليزيدي في: تحسين القبيح وتقبيح الحسن: ٣٤، ولأبي حفص الشَّطرنجي في: المحب والمحبوب ٢: ٢٠، ولابن أبي مرة المكي في: سفط الملح: ١٣٢ مع بيتين آخرين.

(٢) ديوانه، ق٤٩٩، ب ٥و٦، ص١٢٤٣، من قصيدة يمدح بها المعتزّ بالله. وهما في: الموازنة ٢: ١٦. أَثْلَم: أكثر ثَلْمًا في القلب، وهو اسم تفضيل من الفعل ثَلَم يثلُمُ الإناء والسيف: إذا كسر حرفه.

(٣) ديوانه، ق٦٧٧، ب٩، ص١٧٦٣. وهو في: الموازنة ٢: ١٦، والزهرة: ٢١٤. نعْمان: واد ينبت فيه الأراك، ويقع بين مكة والطائف. وقيل: هو واد لبني هذيل على بعد ليلتين من عرفات.

وإنما ذهبَ أبو تمَّام في معنى طولِ يومِ الفراقِ إلى ما يعهدُه النّاسُ، ويتعارفونه من أَنَّ وقت البؤس، وزمانَ المحنة أَبدًا طويلٌ. ولعلَّه ما كانَ مَهْجُورًا قبلَ يومِ الفراقِ، ولا كانت حالُه حالَ التي وصَفَها البحتريُّ. وعلى أَنَّ البحتريَّ قد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه أبو تمام فقالَ[1]:

[الخفيف]

يابنةَ العامِريِّ عَمّا قليلِ
يأذَنُ الحَيُّ فاعلَمي بِالرَحيلِ

قَد سَمِعتُ الغُرابَ يذكُرُ بَينًا
وَانصِرامًا لِحَبلِكِ المَوصولِ[2]

إِنَّ يَومَ النَوى لَيَومٌ طَويلٌ
لَيسَ يَفنى وَيَومُ حُزنٍ طَويلِ

كَيفَ لي بِالسُلُوِّ لا كَيفَ وَالبَيـ
ـنُ غَدًا نازِلٌ بِخَطبٍ جَليلِ[3]

وإنَّما قالَ البحتريُّ هذا لأَنَّ من يهواهُ كانَ مُوَاصِلًا له، وذلك قوله: «وانْصِرامًا لحبلك المَوْصُولِ». ولم يقتنع بأَنْ قال: «إِنَّ يومَ النَّوى لَيَوْمٌ طويلٌ» حتّى قال: «ليسَ يفْنى، ويوم حزنٍ طويلِ».

فلعلّ أَبا تمام كانت هذه حالَه أَيضًا في مُوَاصَلَةِ مَنْ فَارَقَ واستطال يوم الفراق لذاك.

---

(١) ديوانه، ق٦٥٤، ب١-٤، ص١٦٧٣ من قصيدة يمدح بها أبا أيوب محمد بن طوق، وهي في: الموازنة ٢: ١٦و١٧. وصدر البيت الأول منها في عبث الوليد: ٣٨٤.

(٢) رواية الديوان: (... يوعد بينًا).

(٣) رواية الديوان بتقديم البيت الرابع على الثالث. الخطب: المصيبة. الجليل: العظيم.

ومن رديءِ ابتداءات أَبي تمام في هذا البابِ قولُه[1]:

[الطويل]

هُــنَّ عَـــوادي يــوسُــفٍ وَصَــواحِــبُــه
فَـعَـزمًـا فَـقِـدمًـا أَدرَكَ الـسُّـؤلَ طـالِـبُـه

[٥٦/ب] وإِنَّما[2] جعله رديئًا قوله: «هن»، فابتدأَ بالكنايةِ عن النساء، ولم يجر لهن ذكر بعد.

ثم قال: «عوادي يوسف»، ومعناها: صَوَارِفُ، يقال: عَداني عنكَ كذا: أَي صرفني. أَراد: هُنَّ صَوارِفُ يوسفَ، وصواحبُه، وصوارفُ ههنا: لفظه ليستْ قائمةً بنفسها، لأَنه يحتاج أَن يُعْلَمَ صوارفه عنْ ماذا. واللفظة القائمة بنفسها أَنْ لو قالَ: «فواتن يوسف»، أَو «شواغِف يوسف»، أو نحو ذلك. وكأَنه أَراد صوارف يوسف عن تقاه، أَو عن هداه، أَو عن صحيح عزمه حتى همَّ بالمعصية. وإِنما يتم معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ أَلَّوْ وَصَلَها بها. ثم أَلحق بيوسفَ التنوينَ، فجاءَ بثلاثة أَلفاظٍ متواليةٍ كلُّها رديئةٌ في موضعها.

وتمم البيت بعجزٍ لا يليق بصدرهِ، وهو أَردأ معنىً منَ الصَّدْرِ، وذلكَ قوله: «فَعَزْمًا فَقِدْمًا أَدْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهْ».

فتصير جملة معنى البيت: هُنَّ صَوَارِفُ يوسف فَاعْزِمْ؛ فَقَدِيمًا أَدْرَكَ البُعْدَ طالبُه.

وهذا كلام لا يلائمُ بعضُه بعضًا، ولا يتشابَهُ. وإِنَّما كانتْ أَلفاظُه ومعانيه تتشابَهُ لو قال:

---

(١) ديوانه، ق١٦، ب١، ج١ ص٢١٦، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا العبّاس عبد اللَّه بن طاهر. وهو في الموازنة ٢ : ١٧. قال المعري: «ويروى: هنَّ بغير استفهام، وربَّما جُعِلت في أوَّله الألف، وهو أحْسنُ في السمع وأجوف». شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢١٦.
عوادي يوسف: النساء. وأجاز المعري أن يكون عوادي مقلوب (عوايد) من عاده يعوده إذا طرقه وزاره، ويجوز أن يكون عوادي غير مقلوب من (عوايد) ويكون كلُّ واحد منهما على حياله، ويكون معنى عوادي (صوارف).

(٢) نقل التبريزي عن المعري هذا النص إلى قوله:... لعذلهنَّ. انظر شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢١٦ و٢١٧.

[الطويل]

هُــنَّ عَـــوادي يــوسُــفٍ وَصَــواحِــبُــه
فــلا يَــعْــدُوَنْــك مَــطْــلَــبٌ أَنــتَ طــالِــبُــه

أَو «فلا يَعْدُوَنْك العَزْمُ فيما تُطالِبُهْ». أَي لا يتجاوزُك.

أَو «فلا تعدلَنْ عنْ مطلبٍ أَنتَ طالِبُهُ». أَيْ هنَّ صوارفُ يوسفَ عنْ عزمِه، فلا تنصرفْ أَنتَ عن عزمِكَ ومطلبِكَ لِعَذْلِهِنَّ، ومن أَجلهن[1].

[٥٧/أ] وقد عابَ أَبا تمام بهذا البيت - أَبو سعيدٍ الضَّريرُ[2]، وأَبو العَمَيْثَلِ الأَعْرَابيّ[3]، وكانا على خزانة الأَدب لعبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ بخراسانَ وكانَ الشاعر إِذا قَصَدَهُ، عَرَض عليهما شعرَهُ، فإِنْ كانَ جيدًا عرضاهُ عليهِ، أَو دَعا به فأَنشدَهُ. وإِنْ كانَ رديئًا نبذاهُ، ودفع إِلى صاحبه البِرَّ على غير الشِّعر. فلما قدم أَبو تمام على عبد الله قَصَدَهُما، ودفعَ القصيدة إِليهما فَضَمَّاها إِلى أَشعارِ الناس. فلما تصفَّحا الأَشعارَ مرّتْ هذه القصيدة على أَيديهما. فلمَّا وقفا على هذا الابتداء طرحاها مع الشعر المنبوذ[4].

---

(١) قال المعري فيما نقله عن الخطيب: «... وليس الإضمارُ قبل الذّكر بعيبٍ إذا كان المعنى مفهومًا؛ لأنَّ هذا المعنى مأخوذ عن الحديث المروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرضه الذي مات فيه وهو يعني النساء: (إنكنَّ صويحبات يوسف)، ولحاق التنوين في الشعر ليس بعيب أيضًا كما ذكره، لأن أصل الأسماء الصَّرف، وردُّ الاسم إلى أصله في الشعر ليس عيبًا». شرح ديوان أبي تمام ١: ٢١٧.

(٢) هو أحمد بن خالد، أبو سعيد الضرير النحوي. كان عالمًا باللغة، استقدمه طاهر بن عبد الله من بغداد إلى خراسان، وأقام في نيسابور، وهناك أملى كتابيه: المعاني والنوادر. لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي، وتأدّب على يد الأعراب الذين جاء بهم عبد اللّه بن طاهر، ومنهم أبو العميثل. صنف عددًا من الكتب منها: الرد على أبي عبيد في غريب الحديث، والغريب المصنف، وكتاب الأبيات، وغيرها.

(٣) هو عبدالله بن خليد، ومولى جعفر بن سليمان. كان كاتب عبدالله بن طاهر بخراسان وشاعره ومؤدب ولده. كان مكثرًا من نقل اللغة، عارفًا بها شاعرًا مجيدًا، من مؤلفاته: الأبيات السائرة، ومعاني الشعر، وغيرهما. توفي سنة ٢٤٠هـ. ترجمته في: معجم الأدباء ٣: ١٥ - ٢٦، وبغية الوعاة ١: ٣٠٥، ترجمته رقم (٥٦٣). وانظر: كتاب الأعرابيات: ٤٩، ١٠٩.

(٤) يروى في ذلك أنَّ أبا العميثل قال لأبي تمام بعد سماعه البيت المذكور: «يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم؟ فقال: يا أبا العميثل لمَ لا تفهم ما يقال؟» الأعرابيات: ١٠٩، وشرح ديوان أبي تمام ١: ٢١٧. وروي الخبر فيه على أن الكلام لأبي العميثل وأبي سعيد الضرير.

فأَبطأَ خَبَرُها على أَبي تمام فكتبَ إِلى أَبي العَمَيْثَل أَبياتًا يعاتبهُ فيها، ويقول[1]:

[الكامل]

وَأَرى الصَّحيفَةَ قَد عَلَتها فَترَةٌ
فَتَرَت لَها الأَرواحُ في الأَجسامِ

ثم لقيهما فقالا لهُ: لِمَ لا تقولُ ما يُفْهم؟ فقالَ: ولِم لا تفهمان ما يقالُ؟ فاستحسن هذا الجواب من أَبي تمام.

والرجلان ما عابا إِلّا مَعيبًا، وما أَنكرا إِلا مُنْكرًا. وكانَا منْ أَعلم الناس بالشعر وبكلامِ العربِ.

مضت ابتداءاتهما بذكر الفراق فلنذكر الآن ما جاءَ عنهما من ذلكَ في وسَطِ الكلامِ.

****

(١) ديوانه، ق١٥٦، ب٥، ٣: ٢٨١، والموازنة ٢: ١٩.